دراسات

في شعوب الشرق القديم

الأموريون . الكنعانيون . الآراميون . العبريون . الفلسطينيون

دكتور
خالد الدسوقي
كلية البنات
جامعة عين شمس

الناشر
مكتبتي أحمد حسن سعد

دراسات
في شعوب الشرق القديم

الأموريون . الكنعانيون . الآراميون . العبريون . الفلسطينيون

دكتور
خالد الدسوقي
كلية البنات
جامعة عين شمس

١٩٨٢

الناشر
مكتبتي أحمد حسن سعد

مقـــدمة

لقد عاش فى الشرق القديم مجموعة من الشعوب المختلفة التى كان لها أثرها الواضح فى تاريخه وحضارته وكان لها دورها الفعال فى توجيه دفة الأحداث التى مرت به أو مر بها وتجاوبت اصداؤها فى جنباته ردحا من الزمن ليس بقصير. وتشمل هذه الدراسات التى نقدمها للباحثين فى تاريخ الشرق القديم خمس شعوب سكنت العراق وسورية وفلسطين فى الأزمنة القديمة وكان تأثيرها على تاريخ وحضارة ذلك الوقت جليا واضحا. وهذه الشعوب هى : الأموريون والكنعانيون والآراميون والعبريون ثم الفلسطينيون.

وإذا كان بعض الباحثين قد تناول هذه الشعوب قبل ذلك بالدراسة والبحث فإن هذه الدراسات تقدم وجهة نظر جديدة بشأن أصل هذه الشعوب وعلاقاتها مع جيرانها ومعطياتها الحضارية وذلك فى ضوء الابحاث الحديثة والدراسة الفاحصة للنصوص القديمة التى تحدثت عن هذه الشعوب أو ذكرت بعضا من تاريخها، بجانب القراءة المتأنية للعهد القديم التى جعلت هذه الشعوب تظهر فى صورة مغايرة لما هو معروف عنها.

ولقد اتبعت فى ترتيب هذه الشعوب من الناحية التاريخية ما تعارف عليه العلماء بشأن تواريخ هجرتها من الجزيرة العربية أو من منطقة البحر المتوسط. وأملى كبير فى أن أكون قد اسهمت بهذا العمل المتواضع فى أيضاح بعض معالم الشرق القديم وأن يحوز جهدى هذا برضاء اساتذتى الاجلاء الذين

كان لهم قصب السبق فى مجال دراسة تاريخ الشرق القديم كما كان لهم الفضل الأكبر فى توجيه هذه الدراسات إلى أن تصبح عملا مفيدا وخطوة على طريق دراسة شرقنا القديم .

والله الموفق إلى سواء السبيل .

فبراير ١٩٨٢

خالد الدسوقى

الفصل الأول

الأموريون

الأموريون

لقد ترك لنا الأموريون [١] نتفا من تاريخهم وصورا من حياتهم دونت فى وثائق غطت فترة طويلة من الزمن جاوزت الفى عام . ولعل أقدم هذه الوثائق التى تناولت ذكر الأموريين وأكثرها عددا هى الوثائق العراقية القديمة التى تكاد تكون المصدر الوحيد لمعلوماتنا عن هؤلاء القوم طيلة العصر الذى كانوا فيه مجموعة بشرية ذات خصائص مميزة .

لقد ذكرت المصادر السومرية هذا الشعب تحت اسم « مارتو » Martu ، بينما جاء ذكرهم فى المصادر الأكدية بأسم « أمورو (م) » Amurru (M) [٢] وإذا كانت قوائم المفردات اللغوية وتشابه الاستعمال قد اثبتا أن هذين الأسمين يشيران إلى مدلول واحد ، فسيظل أصلهما وتطابقهما اللغوى محاطين بالغموض [٣] .

---

(١) الأموريون أحد فروع الساميين الذين هاجروا من الجزيرة العربية فى نهاية الألف الرابع وأوائل الألف الثالث قبل الميلاد متجهين إلى منطقة الهلال الخصيب (الساميون والأراء التى دارت حول موطنهم الأصلى ، بحث الدكتور محمد بيومى مهران نشر بمجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية . المجلد الرابع ص . ٢٧ (١٩٧٤ م) . ولقد دفعهم إلى ذلك دافعين : دافع نقل التجارة والتبادل فى السلم ودافع الأنبعاث تحت وطأة الفقر أو العوز أما متسللين فرادى وجماعات بشكل سلمى وأمـــا غزاة فاتحين (الهجرات البشرية الكبرى ، بحث الدكتور محمد السيد غلاب نشر بمجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية : المجلد السادس ص ١٠٥ (١٩٧٦م) .

(٢) فى اللغة السومرية يظهر الاسم « كورمار — تو » للدلالة على منطقة والاســـم « لومارتو » للدلالة على إسم جنس ، وفى اللغة الأكدية « أمورو (م) » — للدلالة على إسم منطقة و« أمورو » للدلالة على إسم جنس .

(٣) أنظر : CAD, 92—4 ومن أجل أصل مقترح للكلمتين أنظر :
G. Buccellati, The amorites of the Ur III Period (Naples, 1966). pp. 133-4.

ويبدو أنه منذ العصور السحيقة فى القدم شاع استعمالان مختلفان للـكلمة مارتو / أمورو فى النصوص السومرية والأكدية . وأول هذين الاستعمالين هو الاستعمال الجغرافى حيث نجد أن هذه الـكلمة تعنى « الغرب » أما الاستعمال الثانى فبشرى حيث يجعلها تعنى أشخاص أو جماعات يرجعون فى أصولهم إلى مناطق خارج منطقة سومر ـ أكد (أى جنوب العراق على وجه الدقة) ويبدو أنهم قدموا من الغرب .

أما الاستعمال الجغرافى للـكلمة الذى ظل مستخدما لفترة طويلة فى الوثائق العراقية القديمة ، فقد ثبت أنه استخدم منذ العصر الأكدى القديم . ففى أحد النصوص التى نقشت على مسلة مانشتوسو (حوالى ٢٣٠٠ ق . م) والتى تصف بعض الحقول ، أشارت إلى الجانب الغربى بالعبارة « تومار ـ تو » tu-mar-tu (١) ونفس هذا الاستعمال يظهر فى مصادر أخرى من العصر الأكدى القديم وعصر أسرة أور الثالثة ، الأمر الذى يدل على أنه كان شائعا أبان النصف الثانى من الألف الثالث قبل الميلاد . (٢) وإذا كان استخدام نفس هذه الـكلمة لتدل على منطقة وما يعيش فيها من سكان فيمكن القول يقينا بأن الاستعمال الجغرافى لهذه الـكلمة الذى يدل على أحدى الجهات الأصلية الأربعة (الغرب) كان استعمالا ثانويا بالرغم من أنه يرجع إلى عهد سحيق فى القدم . وعلى ذلك فإن جهة الغرب كانت تسمى مارتو / أمورو لوجود منطقة غرب بلاد العراق القديم كانت تسمى

---

1. V. Scheil, Textes élamites-sémitiques (Paris, 1900) 12 (Aix 16), 20 (Bvi 16), 29 (C xiii 23), 36 (D ix5).

2. Cf. F.R. Kraus, "Provinzen des neusumerischen Reiches von Ur" Z A 51 (1955), 46 (1.12), 52.

بهذا الأسم (١) وعلى غرار هذا المثال نجد أن الشمال أصبح يعرف بأسم سوبارتو والشرق بعيلام والجنوب بسومر وبذلك تكتمل لدينا صورة جغرافية اطارها الجهات الأصلية الأربعة بينما تحتل أكد / بابل المركز منها (٢) ولعل أقدم دليل لدينا على أستعمال كلمة مارتو / أمورو بمعنى « الغرب » ينير الطريق إلى معرفة الجهة التي وفد منها الأموريون إلى بلاد مابين النهرين لأن كثيرا من الباحثين القدامى قد أهملوا هذه الحقيقة خاصة الذين نادوا بأن الأموريين قدموا إلى العراق القديم من الشمال الشرقي (٣) .

ولعل أقدم ماوصلنا من النصوص تلك التي وردت فيها الكلمة « مارتو » بمعناها البشري . ففي نص من فارا يرجع تاريخه إلى حوالي ٢٦٠٠ ق.م. سجل قائمة بأسماء بعض الفلاحين ورد ذكر لأحد الأشخاص يدعى إ - ا ج - جيد مار - تو الذي يعتبر بدوره أول أموري يذكر بالتحديد (٤) وأبان العصر الأكدي

---

(١) لقد نادى البعض أحتمالا بأن هذه الكلمة تشير إلى قبيلة أو مجموعة من القبائل ثم أصبح أسما عاما يطلق على بدو الصحراء السورية العربية :
أنظر :

Moscati, The Semites in Ancient History (Cardiff, 1959), p. 54.

(٢) ولعل فكرة أن العالم مكون من أربع مناطق كل منها يتجه إلى أحدى الجهات الأصلية الأربعة قد أختلف في مفهومها باختلاف العصور ، قارن :

K. Tallquist, "Himmelsgegenden und Winde", Studia Orientalia 2 (1928), 105-85.

ففي أسطورة أنمركار يظهر تتابع الجهات الأربعة سوبارتو — سومر — أكد — مارتو.
أنظر :

3. B. Landsberger, "Ueber die Völlker Vorderasiens in dritten Jahrtausend, 4 : A murru", Z A 35 (1923), 236-8.

S.N. Kramer, Enmerkar and the Lord of Aratta (Philadelphia, 1952), LL. 141-6

كما ظهر على التوالي سومر - مارتو - ملوها - عيلام - سوبارتو والذي قصد به أعطاء صورة كاملة للعالم الذي تحتل سومر المركز فيه . أنظر: S.N. Kramer in ANET 648

4. A. Deimel, Wirtschafttexte aus Fara (Leipzig, 1924), No. 78, L. 1.

كثرت الاشارات إلى افراد أو جماعات من الناس نعتوا بأنهم « مارتو » وذلك في مدن مثل لجش واوما وأداب وسوسا. (١) ومن فحص محتويات النصوص ومقارنتها بالنصوص المتأخرة من عهد أسرة أور الثالثة، أصبح واضحا أن هذه الجماعات من الناس عبارة عن مهاجرين أتوا ـ في أغلب الظن ـ من الغرب بهدف الاستقرار في مدن بلاد الرافدين السفلى بحثا عن العمل في إدارتها. وقد اطلق على هؤلاء المهاجرين اسم « مارتو » تأكيدا لمركزهم كأجانب بين غالبية السكان الوطنيين العاملين في هذه المنطقة. وقد ورد في نصوص العصر الأكدى القديم اسماء الموظفين كان يطلق على الواحد منهم اللقاب مثل « أوجولا مارتو » Ugula Martu » ونو ـ باندا مارتوني « nu-banda martune والتي تعني « مفتش المارتو » (٢) الأمر الذي يوحي بأن وجود هؤلاء المهاجرين بشخصيتهم المميزة كان يسبب بعض المشكلات التنظيمية في أدارات المدن التي حلوا فيها.

وإذا كان ما أمدتنا به الوثائق حتى الآن عن الأموريين يقف عند مستوى الأفراد أو الأسر فى العصر الأكدى القديم خاصة في عهد شار ـ كالي ـ شاري (حوالي ٢٢٥٠ ق. م) أطلق على أحد سنوات حكمه « السنة التي هزم فيها (الملك) المارتو عند جبل باسار » (٣) مما يدل على أن الأموريين أصبحت تضمهم وحدة سياسية لها علاقاتها مع دويلات المدن في العراق القديم. وفي هذه العبارة أيضا ما يشير إلى معركة حربية بين الطرفين دارت رحاها خارج حدود بلاد

---

1. CF. J.R. Kupper, Les nomades en Mesopotamie au temps hes rois de Mari (Paris, 1957), 150-1.
2. Ibid., 150.
3. Hidsch, "Die Inscriften der Könige von Agade", AFO 20 (1963), 28-9 (No. 2); cf. Kupper, op. cit. 149 (No. 3)-150.

الرافدين وعلى وجه التحديد عند جبل بشرى [1] فى الصحراء السورية غرب الفرات الأوسط أى فى المنطقة التى أطلق عليها أهل الرافدين اسم « أمورو » . ويظهر الارتباط جليا بين جبل بشرى والأموريين من التعريف الذى اطلقه الملك جوديا على هذا الجبل حينما سماه « باسال - لاخور - ساج مارتو » [2] وهى عبارة تعنى « باسالا جبل امورو » وكذلك من تفسير عبارة « كوررشار » بأنها تعنى « كور - أمورى » فى معرض ذكرها فى ابتهالات ليبشور [3] وإذا كانت نصوص العصر اللاحق للعصر الاكدى القديم قد أكدت أن شعب المارتو رعاة رحل ، فإن نشوب هذه الحركة فى هذه المنطقة الجبلية بعيدا عن المناطق الزراعية الآهلة بالسكان توضح لنا أنها كانت حملة تأديبية شنتها الجيوش الاكدية ضد هذه الجماعات الرعوية التى اعتادت أساليب السلب والاغارة على أرض الزراعة من العراق القديم .

وفى عهد أسرة أور الثالثة تكثر الاشارات عن الأموريين وتتنوع بعد أن كانت متفرقة وتحتوى على معلومات محددة عنهم [4] . فنصوص هذا العصر الادارية تتكلم عن أفراد وصفتهم بأنهم « مارتو » تماما كما حدث فى العصر الأكدى القديم أسلوبا ومضمونا . وأن المعلومات التى نستقيها من نصوص هذا العصر من الكثرة والتنوع بحيث يمكن أن تعطينا فكرة واضحة عن خصائص الوجود الأمورى فى مواقع مختلفة من أمبراطورية أور . ومعظم هذه المعلومات وردت إلينا من نصوص مدينة درهم (بوزريش — داجان) التى تقع بالقرب

---

(١) لقد كان Smith أول من أقترح بأن جبل باسار هو بعينه جبل بشرى الذى يقع فى الصحراء السورية شمال بالميرا . أنظر :

S. Smith, Early History of Assyria (London, 1928), p. 98.

2. A. Falkenstein, Die 1 nschriften Gude as von Lagas, I (Rome, 1966), pp. *51 F*; cf. *ANET, p. 269.*

3. E. Reiner, "Lipsur Litanies", JNES 15 (1956), 134 (1.39).

4. E.g. G. Buscellati, op. cit.; M. Lambert, Tablettes économiques de Lagash (Paris, 1968), nos. 50: 6: 139, 3: 276, 11.

من نيبور والتى كانت تعتبر أكبر مركز لتجميع الماشية واحد مراكز الادارة الاقتصادية فى امبراطورية أور . ولقد أشارت نصوص درهم إلى الدور الرئيسى الذى كان يلعبه شعب المارتو باعتبارهم موردين للاغنام والماعز وهو دور يتفق مع طبيعة حياتهم الرعوية . ويبدو أن توريد هذه الماشية كان يتم فصلها الأمر الذى يجعل وجودهم فى هذه المنطقة يتفق مع عادة الانتقال الفصلى الذى تمارسه الجماعات الرعوية مصحوبة بما شيتهم[١] .

أما فى المدن الأخرى مثل اسين نجد أن شعب المارتو يقومون بدور المشترى للبضائع الجلدية بينما فى لاجاش وأوما نراهم يتسلمون حصصهم من الأطعمة ربما فى مقابل أعمال أدوها فى هاتين المدينتين . من هذا نتبين أنه فى المدن التى تقع فى أقصى الشمال (درهم واسين) والقريبة من الموطن الأصلى لشعب المارتو جاء ذكر المارتو فى نصوصها باعتبارهم أجانب علاقتهم بالادارة فى أور — لاتتعدى العلاقات التجارية مثل بيع الماشية وشراء المنتجات الصناعية ، بينما فى سومر نفسها ظهر المارتو كأفراد مقيمين يأخذون أجورا من الإدارة فى أور لقاء أعمال قاموا بها . ولعل هؤلاء المقيمين ماهم الا مهاجرين من وطنهم الأصلى وفى سبيلهم إلى الذوبان فى المجتمع الذى هاجروا إليه على الرغم من أنه لايزال ينظر إليهم كعنصر متميز بين السكان الأصليين . كما نرى الاختلاف واضحا أيضا فى أسماء الأشخاص فى المدن الشمالية عنها فى الجنوب . ففى درهم واسين تسمى المارتو باسماء سامية غربية (آمورية) بصفة عامة ، بينما فى لاجاش وأوما تسموا بأسماء سومرية وأكدية فى أغلب الأحيان أى الأسماء الشائعة فى المنطقة التى أقاموا وعملوا فيها . من هذا يتضح أن المهاجرين من شعب المارتو سواء كانوا جماعات أو أفراد وجدوا أنه لامفر من الاختلاط بالسكان الوطنيين عن طريق الزواج وتعلم واستخدام

1. M. Liverani, RSO 43 (1968), p. 121, n. 2.

اللغة المحلية . (١) وبالتدريج نسى شعب المارتو عاداته القديمة وسرعان ماذاب فى العالم السومرى ـ الأكدى .

ولكن ماهى الفكرة السائدة التى كانت لدى سكان بلاد الرافدين الأخرين عن الأموريين ؟

لقد أمدتنا بعض النصوص التى يرجع تاريخها إلى عصر أسرة أور الثالثة والسنوات التى أعقبتها مباشرة بصورة واضحة عن صفات الأموريين بالرغم من أنها صفات نمطية بسيطة التركيب ولعل الوصف الذى تقدمة لنا « اسطورة مارتو » عن الآلة مارتو (٢) يعكس بوضوح الخصائص الحضارية لهذا الشعب الذى يحمل نفس الأسم . فتصف هذه الأسطورة هذا الالة بأنه : « هو الذى يعيش فى خيمة معرضا للرياح والمطر والذى يحفر الأرض بحثا عن الكمأة عند سفح الجبل والذى لايثنى ركبتيه (ليزرع الأرض) والذى يأكل طعامه نيئا والذى لايملك بيتا طوال حياته ولاقبر عند وفاته » (٣) وهناك نصوص أخرى تؤكد ملامح هذه الصورة فتذكر : « المارتو الذى لايعرف الحبوب » « المارتو الذى لايعرف المنازل والذى لايعرف المدن ، الرجل الجلف الذى يعيش فى الجبال لعله يحضر ضأننا وأغنامنا « المارتو الذى له قوة دفع الرياح الجنوبية والذى لايعرف المدن » ،

---

(١) بشأن ما أثاره إختلاف اللغة بين المهاجرين الأموريين والسكان السومريين من مشاكل . أنظر الإشارة إلى عبـارة « مترجم أمورى eme-bal mar-tu ؛
G. Buccellati, op. cit., 328-9.

(٢) عن الآلة مارتو / أمورو وصلته بالأموريين ، قارن : J.R. Kupper,
L'iconographie du dieu Amurru dens la glyptique de la Première ère dynastie babylonienne (Brussels, 1961).

3. E. Chiera, Sumerian Epics and Myths (Chicago, 1934), No. 58 iv, 24-9; cf. G. Buccellati, op. cit. 92 f

« المارتو المغيرون ذووا الغرائز الحيوانية مثل الذئاب »[١] من هذا نتبين أن الأموريين كانوا شعبا من الرعاة يعيش فى الجبال بعيدا عن الوديان الزراعية الخصبة ، لايعرف الزراعة أو حياة المدينة سمته التأخر وعدم المشاركة فى حياة المجتمع المدنى فى بلاد النهرين . ولكن يجب ملاحظة أن هذه الصورة التى رسمها أهل العراق القديم للاموريين لم تكن منصفة إلى حد ما بالنسبة لأسلوب حياتهم وتراثهم الحضارى ، حيث أنها خضعت للعموميات وسوء التقدير الذى داءما ما يصاحب الوصف العام « للاجنبى » فى الحضارات التى تتعصب لعرقها وإذا كانت بعض عناصر هذة الصورة قد تكونت نتيجة للملاحظة المباشرة مثل « المارتو الذى يعيش فى خيمة » أو « الذى لا يعرف الحبوب » فإن العناصر الأخرى كونها التحيز أو عدم المعرفة مثل « الذى ليس له قبر » أو « الذى يأ كل طعامه نيئا »[٢] .

وهكذا يبدو أن الفكرة التى كونها سكان بلاد الرافدين القدماء عن الأموريين ينقصها الدقة والمعرفة إلى حد ما لأنها كانت تخص الأموريين الذين وفدوا إلى مدنهم بحثا عن عمل أو مجموعات المغيرين الذين كانوا يعترضون طريق التجار وحاملى الرسائل حينما كانوا يغادرون مدنهم ويخترقون « الجبال » لقد انخدع بعض العلماء بهذه الصورة عن الأموريين فرأوا فيهم بدوا رحل سكنوا الصحراء الغربية السورية حيث كانوا يمارسون ضغطهم على العراق

أنظر

1. G. Buccellati, op. cit. 92-5; Ur Excanations, Texts, I.N. 206, p. 6; L. Legrain, Historical Fragments (philoclelphia, 1922), pp. 28-32, nos. 3-6.
2. Cf. M. Livrani, "Per una considerazione storia del problema amorreo, "Oriens antiquus 9 (1970), 22-6

حيث يظهر أن عناصر أخرى من هذا الوصف الأدبى تتعارض مع نصوص هى أقرب إلى الحقيقة مثل التى تصف المارتو بعدم الاستقرار أو ممارسة الزراعة .

القديم [1] ، ولكن الأمر المشكوك فيه هو ما إذا كان كل الأموريين ، بما فيهم أولئك الذين يعيشون فى وطنهم الأصلى سوريا ، ينطبق عليهم الوصف الذى ذكره عنهم أهل بلاد الرافدين الذين كانوا على غير معرفة كبيرة بالحضارة السورية . [2]

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو ما إذا كان كل الأموريين رعاة رحل كما صورهم سكان بلاد الرافدين أم أن هناك أموريين آخر فيما وراء « الجبال » ـ يعيشون فى مدن وينتظمون فى هيئات سياسية واجتماعية ويملكون مقومات الحياة المدنية التى لا تختلف كثيراً أو تقل عن تلك التى كانت سائدة فى بلاد الرافدين . ولاعطاء أجابة مرضية عن هذا السؤال يجب أولا فحص المعطيات الأثرية التى خرجت من سوريا ـ الوطن الأصلى للاموريين — وهذا قد يؤدى بنا إلى رأى أقرب إلى الصواب عن حضارة الأموريين من ذلك الرأى الذى يحمل طابع التحيز الذى يتردد كثيرا فى النصوص الأدبية السومرية . كذلك من الأهمية بمكان التحليل اللغوى للاسماء الأمورية الذى يظهر ما إذا كانت اللغة الأمورية أحدى اللغات أو اللهجات الكثيرة المتعاصرة والتى كان يتكلم بها شعوب يختلفون فى أصلهم وأسلوب حياتهم أم أنها كانت تمثل كل مجموعة اللغات السامية الغربية خلال الفترة حوالى نهاية الألف الثالثة وبداية الألف الثانية قبل الميلاد . وهناك من يميل إلى الاعتقاد بأن الأموريين لكونهم بدوا رحل ويكونون مجموعة بشرية متماسكة يمكن مقابلتهم بالكنعانيين المستقرين الذين كانوا يسكنون سوريا فى الوقت الذى وصل فيه الأموريين إليها أى حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م . ولعل هذه النظرية الخاصة بوصول الأموريين الرحل إلى سوريا وبلاد الرافدين من الصحراء السورية حوالى ٢٠٠٠ ق . م مرتبطة إلى

---

1. Moscati, The Semites, p. 54.
2. cf. G. Roux, Ancient Iraq (Bungay, 1966), p. 161.

حد كبير بالرأى القائل بأن حياة البداوة السامية استلزمت انتقال مجموعات كبيرة من البشر ، كما هو شأن الحياة البدوية فى وسط آسيا ومرتبطة أيضا بوجهة نظر القائلين بأن الشعوب السامية خرجت من الصحراء على فترات وفى موجات كبيرة [١] . ومن الصعب قبول هذين الرأيين فى ضوء ما هو معروف الآن من أن حياة البدوة أبان العصر البرونزى لم تكن الا تحركات لمسافات قصيرة تقوم بها جماعات تنتمى إلى مجتمع مزدوج الحرفة يعمل أفراده بالزراعة والرعى معا بحيث يكونون وحدة بشرية متكاملة [٢] .

علاوة على ذلك فقد اثبتت الابحاث اللغوية عدم وجود أى أثر للهجة كنعانية مستقلة عن اللهجة الأمورية حتى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد ، ذلك الاستقلال الذى قد يوحى باختلاف فى أصلهما أو فى وقت وصولهما إلى منطقة سوريا ـ فلسطين . فاللهجة الأمورية هى اللهجة السامية الشمالية الغربية الوحيدة التى ثبت ظهورها بين عامى ٢٣٠٠ ، ١٦٠٠ ق . م ، بل فى الحقيقة هى اللهجة التى تطلق اليوم على اللغة السامية الشمالية الغربية التى كانت سائدة فى ذلك العصر . بجانب هذا لا يوجد أى أثر للهجة « الكنعانية » قبل منتصف الألف الثانية قبل الميلاد علاوة على أن الخصائص اللغوية التى تميز « الكنعانية » عن « الأمورية » ليست الا عناصر مستحدثة وجدت فى « الكنعانية » وتعتبر تطورا محليا ظهر حوالى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد . وحوالى نفس الوقت بدأت اللغة الامورية تنشعب إلى لهجات عديدة بصورة واضحة وقد

---

(١) هناك عرض مستفيض لهذه النظرية فى Moscati, The Semites, pp. 52 ff.

(٢) عن أنماط حياة البداوة فى الشرق القديم وعن فكرة « المجتمع مزدوج الحرفة » أنظر :

M.B. Rowton, "The physical Environment and the Problem of Nomads, "in J.R. Kupper (ed.), La Civilisation de Mari (Paris, 1967), pp. 109-21.

استمرت هذه الظاهرة حتى الألف الأول قبل الميلاد الأمر الذى أدى إلى الاختلاف بين اللهجة « الآرامية » و « الكنعانية » . وفى الحقيقه ليس هناك ما يبرر ارجاع حدوث هذه الظاهرة إلى زمن اسبق معتبرين « الأموريه » نوعا من لغة « ما قبيل الارامية » التى تميز الرحل فى مقابل « الكنعانية » التى تميز السكان المستقرين . (١)

وتتناقض هذه الوحدة اللغوية التى تميز الساميين فى سوريا خلال العصر الأمورى مع ما تمدنا به المصادر الأدبية والأثرية من دلالات وذلك نتيجة لاختلاط حضارة مدنية زراعية مع إسلوب الحياة الذى يميز جماعات البدو الرحل. ومن الواضح من نقوش سرجون ونرام سين وكذلك من النصوص الإدارية من عهد أسرة أور الثالثة يمكن أن نستدل على وجود مدن فى سوريا مثل إبلا وإرمانوم وجوبلا كانت ذات صلة تجارية وسياسية بحكومات بلاد الرافدين التى أحيانا ما إخضعت هذه المدن لسيطرتها . (٢) ولقد أكدت الحفائر الأثرية فى العمق وحماه وتل مارديخ وجود مدن متطورة فى القرون الأخيرة من الألف الثالث تشبه تلك التى ثبت وجودها فى فلسطين . فهذه المدن التى تنتمى إلى الدور الاخير من العصر البرونزى المبكر كانت ذات ـ حضارة زاهرة يظهر فيها تأثير حضارة بلاد الرافدين خاصة فى الفنون التصويرية كما تتميز بتطور ملحوظ فى هندسة قصورها ومعابدها وقلا عها . ومما هو جدير بالملاحظة إن هذه الخصائص الحضارية بعيلها من اقتصاد زراعى إلى طراز بناء القصور إلى علاقات

---

(١)أنظر :

S. Moscati, "Il Semitico di nord-ovest", Studi orientalistici in onore di G. Levi Della Vida, ii (Rome, 1956), pp. 201-21.

(٢)أنظر :

H. Hirsch, AFO, 20 (1963), 38, 74-5; D. Luckenbill A M essenger from Ibla", AJSL 39 (1922-3), 65-6; I.J. Gelb, "Studies in the Topogrophy of Western Asia", AJSL, 55 (1938), 77.

تجارية ودبلوماسية مع حكومات بلاد الرافدين ، توجد أيضا فى حضارة سوريا وفلسطين التى ترجع إلى العصر البرونزى المتوسط فى النصف الاول من الالف الثانى قبل الميلاد وتبين النصوص التى وصلتنا من مأرى والالاخ (VII) أن الأساس البشرى الذى قامت عليه هذه الحضارة آمورى فى معظمه . ويضع المؤرخون الحضارة المسماه بالحضارة « المتوسطة بين العصر البرونزى المبكر ـ المتوسط » بين هاتين الحضارتين ويميل البعض وخاصة Kenyon إلى نسبتها إلى شعب رحل (١) . ولقد أرجع هذا العصر « الوسيط » الذى يتميز بخصائصه الرعوية إلى حوالى ٢٠٠٠ ق . م ولقد أدت المقارنة بالنصوص السومرية التى تصف الأموريين فى نفس هذا العصر إلى الاستنتاج بأن هذه الحضارة « الوسيطة » ما هى الا بقايا « الأموريين الأثرية . ولكن يجب أن نتقبل هذه النظرية بشىء من الحذر حيث أن ضغط الأموريين على بلاد الرافدين حدث منذ ٢٦٠٠ ق . م كما هو واضح من نصوص فاراو ازداد قوة أبان اسرة أكد وأور الثالثة بل استمر بعد ذلك لفترة طويلة كما سنرى . وبناء على ذلك فإن الضغط الأمورى على بلاد الرافدين قد حدث فى زمن أقدم بكثير من زمن الحضارة السورية الفلسطينية « الوسيطة » علاوة على ذلك فإن الصلة الرعوية التى الصقت بهذه الحضارة الأخيرة يجب رفضها خاصة بالنسبة لسوريا . فلو أن التغيير المفاجىء بين العصر البرونزى ـ المبكر والمتوسط استلزم انقلابا اجتماعيا وسياسيا فيصبح من المستحيل ايجاد علاقة بين موطن واصل المناصر المادية المستحدثة فى هذه الحضارة وبين الموطن الأصلى للاموريين الذين نسبت إليهم هذه

---

1. Cf. K.M. Kenyon, Amorites and Canaanites (Lodon, 1966); id., "Syria and Palestine, C. 2160-1780, in CAHI/2, (Cambridge, 1971), Fasc. 29,)1965), pp. 38-61.

الحضارة . [١] وبالرغم من أن نظرية Kenyon تتناسب تماما مع الفكرة القديمة الخاصة بموجات الغزو التى قامت بها الشعوب السامية وخاصة مع وصول الأموريين الرحل إلى سوريا وفلسطين حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م فإنها لم تعد تتفق مع الفكرة التى تؤكد أن البدو الرحل مجتمع مستقر مزدوج الحرفة ولا مع التجانس العرقى واللغوى بين الشعوب الرعوية والمستقرة التى عاشت فى سوريا أبان العصر البرونزى . ونتيجة لذلك يجب التخلى نهائيا عن الفكرة التى نادت بأن الأموريين هم أصحاب هذه الحضارة « الوسيطة » بل الأفضل أعتبار هذا « العصر المتوسط » والحضارة المدنية التى شهدتها نهاية العصر البرنزى المبكر (والعصر البرونزى بعد ذلك) البيئة التى عاش فيها الأموريين كبدو رحل وكشعب مستقر .

ومن الواضح أن هناك اختلاف ملحوظ بين الأدلة المباشرة المتوفرة والخاصة بالضغط الذى مارسه الأموريون الرحل على دويلات بلاد الرافدين والأدلة الثانوية القليلة التى تتعلق بالأموريين المستقرين فى سوريا . ولعل مرجع هذا الاختلاف هو نوع الأدلة التى ترجع فى أصلها إلى بلاد الرافدين والتى لاترق إلى المستوى التاريخى . وعلى الرغم من أن الظاهرة البارزة فى مصادر الفترة حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م . هى تحرك جماعات الرحل نحو وادى دجلة والفرات فإن مركز العالم الأمورى كان لايزال فى سوريا . وهناك أدلة صريحة على وجود آموريين مستقرين فى المدن السورية فى تلك الفترة فعلى سبيل المثال ماجاء فى نص من كبادوكيا من ذكر لاثنين من الأموريين كانا يعيشان فى مدينة نهريا

---

(١) وقد لاحظ P. Lapp أن العناصر المتحدثة فى الحضارة المادية لهذا العصر مستمدة من حضارة البحر الاوسط بينما الغزو الأمورى المحتمل يجب أن يكون قد بدأ من الصحراء السورية العربية ، أنظر .

P. Lapp' The Dhahr Mirzbaneh Tombs (New Haven, Conn, 1966)

وما ذكر عن تجار أبلا الذين كانوا يتعاملون « بالفضة الأمورية » (١) .

لقد بلغ الأندفاع الأمورى تجاه بلاد الرافدين شدته حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م أى فى السنين الأخيرة من عصر أسره أور الثالثة . وقبل ذلك حدثت بعض الأغارات الأمورية أيام حكم شار ـ كالى ـ شارى آخر ملوك أكد حوالى ٢٢٥٠ ق . م منذره بقرب هبوب العاصفة . وهناك قوائم عديدة تسجل أنواع الأسلاب التى استولى عليها ملوك أ ورمن الأموريين (٢) كما أن هناك أيضا أشارات إلى أسرى أموريين فى نصوص من عهد شولجى (٢٠٩٤ ـ ٢٠٤٧ ق . م) (٣) وكل هذا يشير إلى حملات حربية ومعارك بين الجانبين. وقد سجلت أحدى هذه المعارك فى نقش من أيام شو ـ سين (٢٠٣٧ ـ ٢٠٢٩ ق . م) حيث وصفت وقائعها بالتفصيل (٤) . ويبدو أن هذه العمليات الحربية التى قام بها ملوك أور ضد الأموريين كانت ردا على هجماتهم المستمرة على ممالكتهم . ويبد وأيضا أن الوقف كان جد خطير حيث أتخذ ملوك أرر موقف الدفاع عن مدنهم وأخذوا على عاتقهم بناء سلسلة من الاستحكامات ربطت نهر دجلة بالفرات لحماية المدن الأكدية والسومرية من أى اعتداء آمورى يأتى من الشمال (٥) وقد بدأ العمل فى هذه التحصينات فى عهد شولجى • ونعرف من الرسائل المتبادلة بين الملك وموظفيه أن حائط الدفاع هذا قد تم بناءه فى العام الرابع من حكم شوسين

1. S. Smith, Cuneiform Texts from Cappadocian Tablets, ii (London, 1924), No. 49a, 13-14, and B. Kienast, Altassyrische Texte (Berlin, 1960), No. 32, 17-22.
2. Cf. S.J. Lieberman, JCS, 22 (1968-9), 53-62.
3. G. Roux, Ancient Iraq, p. 161.
4. M. Civil, "su-Sin's Historical Inscriptions, Collection B", JCS, 21 (1967), 31-2.
5. C. Wilcke, "Zur Geschichte der A murriter in der ur-II-Zeit", WO 5 (1969). 1-31; C.J.. Gadd," Babylonia c. 2120/1800 B.C." in CAHI. Part ii (1971), pp. 612-13.

والذى سمى : « العام الذى شيد فيه شو ـ سين ملك أور الحائط الأمورى (المسمى) « الذى يصد ديد (أ) نوم » [١] كما نعرف من خطاب آخر أرسله أحد الموظفين للملك أن طول هذا الحائط بلغ ٢٨٠ كيلوا مترا .

وبفضل بناء هذا الحائط استطاع ملوك أور مراقبة تحركات الأموريين والتحكم فى محاولاتهم للتسلل إلى بلاد الرافدين حيث لم نعد نسمع عن الأموريين خلال السنوات العشر التى تلت بناء هذا الحائط ، ولكن ذلك كان مرتبطا بمقدرة الحكومة فى أور على الاستمرار فى صيانة هذا الحائط ، وامداد حصونه بالجند اللازمين لادارتها . ولكن يبدو أن الأمور بدأت تسوء فى عهد الملك أبى ـ سين (٢٠٢٨ ـ ٢٠٠٤ ق . م) آخر ملوك أسرة أور الثالثة . ففى أيامه اهتزت أركان الإمبراطورية بسبب الأزمات التى توالت عليها . وبالرغم من أننا لانستطيع تحديد أسباب هذه الأزمات ، إلا أنها كانت ذات نتائج سيئة للغاية . ففى السنوات الأولى من حكم أبى ـ سين توقف اعتماد إدارات الاقليم على الإدارة المركزية تماما ولم تعد توفى بالتزاماتها نحو الحكومة فى أور . علاوة على ذلك فقد أدت قلة المحصولات الزراعية واستحالة الحصول على مواد غذائية من المدن الشمالية إلى ارتفاع أسعار السلع الغذائية فى العاصمة نفسها فعلى سبيل المثال زادت أسعار الحبوب ستون ضعفا والأسماك خمسون ضعفا والزيت ستة أضعاف [٢] ولقد كان اقتحام الأموريين للاستحكامات التى شيدها ملوك أسرة

---

1. Cunneiform Texts from Balylonian Tablets in the British Museum, xxxii, n. 103354; H.F. Lutz, Sumerian Temple Records of the Late Ur Dynasty I (Barkeley, 1928), Tab. 8, 44, 85.

وتعنى كلمة « ديد (أ) نوم » بالأكدية البلاد التى تقع غربى الفرات وسكانها وهى ترادف الكلمة « مارتو » فى السومرية أنظر .

G. Roux, Ancient Iraq, p. 161.

2. T. Jacobsen, "The Reign of Ibbi-Suen", JCS 7 (1953), 36-47.

أور الثالثة جزءا من هذه الصورة العامة حيث تبع ذلك انتشارهم فى البلاد التى كانت تعانى قلة الموارد والعجز فى الدفاع عن نفسها [(١)] .

لقد بدأ الأموريون هجومهم على حصون أور فى السنة الخامسة من حكم أبى سين وتوغلوا عميقا فى داخل سومر . [(٢)] وإذا كان أبى ـ سين قد أطلق على أحد سنوات حكمه « السنة التى فيها استسلم الأموريون ، الأعصار الجبار ، الذين لم يعرفوا المدينة منذ القدم » [(٣)] إلا أنه يبدو أن هجوم الأموريين كان كاسحا ولم تستطع تحصينات أور أن تصدهم وفى النهاية دخلوا أور نفسها ، الأمر الذى يمكن الاستدلال عليه من أحد نصوص هذا الملك التى ذكرت أن « العدو ، أمورو الذى دخل المدينة ، فى المنطقة الآن » . [(٤)] ولقد حاول أبى ـ سين فى السنة السادسة من حكمه القيام باصلاح خطوط الدفاع حول المدن الهامة مثل أور ونيبور ولكن الأمور كانت تزداد سوءا . فيدلنا خطاب كتبة أشبى ـ أرا أحد قواد الملك واحد مواطنى مدينة مارى إلى أنه كلف بشراء كمية كبيرة من الحبوب من منطقة أسين وكازالو إستطاع شرائها بثمن معتدل ولكنه إتضح أن ثمن الحبوب قد تضاعف وأن الأموريين قد بدأوا فى الهجوم على البلاد وأخذوا يستولون على القلاع الواحدة بعد الأخرى بل قطعوا كل الطرق المؤدية إلى العاصمة ، الأمر الذى أعاقة من أرسال الحبوب التى اشتراها إلى أور ولقد اقترح على الملك أن يعينه لحماية اسين ونيبور فأجيب إلى طلبه . وأن رخص ثمن الحبوب التى اشتراها اشبى ـ أرا ليدل على أن الأموريين قد بدأوا هجومهم بعد جمع المحصول مباشرة . ويبدو أن الموقف فى العاصمة أور أصبح سيئا للغاية لأن أبى ـ سين أشار على أشبى ـ أرا بأن يدفع ثمن الحبوب مضاعفا

1. Ibid; 39-40; C. Wilcke, WO5 (1969), 12-13.
2. G. Roux, Ancient Iraq, p. 162.
3. Ur Excavations, Texts, I, No. 206, p. 6.
4. L. Legrain, Historical Fragmants, p. 33, No. 9.

إذا تمكن من أرسالها إلى العاصمه . وقد نتج عن هذا ارتفاع الأسعار فى أور نفسها خاصة فى السنة السابعة والثامنة من حكم أبى – سين ، كما بدأ شبح المجاعة يخيم على كل مكان لاستيلاء الأموريين على حقول القمح كما تشير الوثائق الأدبية اللاحقة لهذا العصر إلى قيام ثورات ضد أبى – سين نفسه (١) .

لقد أدت الازمة الاقتصادية والغزو الأمورى إلى تفكك امبراطورية أوروتولت كل مدينة مسئولية الدفاع عن نفسها وحماية مواردها حيث لم يعد يرد إليها شىء من العاصمة . وليس أدل على التفكك الذى أصاب امبراطورية أورانه فى السنة الحادية عشرة من حكم أبى – سين أعلن أحد موظفيه المدعو اشبى – أرا استقلاله فى اسين وقد استمرت هذه الأسرة فى الحكم من عام ٢٠١٧ حتى عام ١٧٩٤ ق . م (٢) كما سيطر شيخ آمورى يدعى نابلانوم على الأمور فى لارسا التى تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من أور مكونا أسرة فيها كانت معاصرة لأسرة اسين وحكمت من حوالى ٢٠٢٥ إلى ١٧٦٣ ق ، كما استقلت المدن التابعة للامبراطورية مثل سوسا وماری واشنونا بحيث لم يعد لاور الا مساحة محدودة تسيطر عليها وأخيرا سقطت فريسة فى يد العيلاميين الذين أعملوا فيها كل وسائل التخريب والتدمير الأمر الذى كان له صداه فى عالم ذلك الزمان . (٣)

لقد لعب الأموريون دورا هاما فى هذه الأحداث كما كان لهم الفضل

1. H.W. Saggs, The Greatness that was Babylon (London, 1962), p. 58.

(٢) ولقد تركت أسرة أسين آثارا تدل على أهتمام ملوكها بالعمران وكان خامس ملوكها لبت — عشتار شريعة سبقت قوانين حامورابى بأكثر من قرن ونصف القرن كتبت باللغة السومرية . أنظر : عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ص ٧٤ (القاهرة ١٩٦٦).

(٣) قارن المرثيتين اللتين تطمتا حزنا على تدمير أور فى :
ANET, pp. 455-63, 611-19.

فى أدخال نظام سياسى جديد [١]. فأحيانا نجدهم يعملون فى جماعات حتى أن كلمة « أموريين » قد تشير إلى مجموعة صغيرة أو قبيلة أو إلى جيش من المرتزقة وليس بالضرورة ألى كيان سياسى يعمل أفراده فى وحدة متماسكة لقد طلب أبى - سين نفسه المساعدة من الأموريين ضد العيلاميين وقوات عدوه أشبى-ارا [٢] وقد صرح اشبى - ارا نفسه أنه حطم مدينة آمورية [٣]. ولقد سجل ملوك اشنونا الأوائل احداثا تنم عن علاقتهم بالاموريين فنقرأ فى وثائقهم: « السنة التى ضرب فيها المارتو أرض أبى - سين »، « السنة التى فيها خرب المارتو آشور »، « السنة التى فيها عهد المارتو بالسيطرة على آشور لبيلالاما »، « السنة التى فيها ضرب بيلالاما أشاكو اشنونا المارتو على الرأس »، « السنة التى فيها سلم المارتو نفسه » [٤]. ولم تكن هذه الأحداث إلا صدى الانشطة العسكرية وأعمال السلب والنهب التى قام بها الأموريون فى الفترة التى أعقبت اقتحامهم لتحصينات أور والتى شهدت غياب حكومة مركزية قوية . وفى نفس الوقت تمكن أفراد من الأموريين من تبوء مناصب كبيرة بل أن بعضهم أصبحوا ملوكا . ومن الأمثلة المعروفة المدعو نابلانوم حاكم لارسا وقد تبعه آخرون مثل سومو - أبوم وسومو - لا - ال

---

(١) انظر :

D.O. Edzard, Die Zweite Zwischenzeit Babyloniens (Wiesbaden, 1956), p. 31.

(٢) انظر الخطاب الذى أرسله أبى سين إلى بوزور - نوموشدا حاكم كازالو فى :

ANET, pp. 480-1; cf. A. Falkenstein, "Ibbisin-Isbierra", ZA 49 (1950), 59-79.

3. G. Buocellati, op. cit. 93.

4. T. Jacbsen, The Gimmilsin Temple and the Palace of the Rulers at Tell Asmar (Chicago, 1940), 175-82 (Nos. 55. 64-8. 70, 81).

فى بابل[1] ويامسى — ال وسومو نومحيم فى ماراد، ويونو — تاحتون — ايا فى سيبار ، وعبدى — أراح وسومو — ديتانا ياويوم فى كيش، وياجيد — ليم وياخدون — ليم فى مارى على الفرات الأوسط وشمس — اداد الأول فى آشور الذى تدل وثائق مارى على أنه كان معاصرا ومنافسا لحامورابى ملك بابل وغيرهم فى مدن آخرى[2] .

وقد وضع ظهور هذه الأسر الأمورية نهاية للحكم السومرى الأ ندى فى المدن التى قبضوا فيها على السلطة . وكان مؤسسو هذه الأسر من الذين أستوعبوا الحضارة السومريه الأكدية بحكم أتصالهم المستمر بها ولم تمثل اللغة الأكدية مشكلة لديهم إذ سرعان ما استخدموها فى كتاباتهم . كما أنهم عبدوا الالهة السومرية التى كانت تحمل أسماء سامية[3] . بل يمكن القول أن مجيئهم لم يغير إلا قليلا فى مجموعة الألهة السومرية ـ الأكدية . وبجانب الآلهة العراقية القديمة ، استمر الأموريون يتعبدون لالههم « أمورو » فى معابد شيدوها خصيصا له ولكنه ظل الها على قدر قليل من الشهرة[4] . وبالرغم من أن كثيرا من أسماء الأعلام فى العصر البابلى القديم قد دخل فى تركيبها اسماء الآلهة السورية والفلسطينية مثل « ال » و « ليم » و « خامو » فينقصنا الدليل على أنها كانت

---

(١) قامت هذه الأسرة بعد أن قامت اسرتى اسين ولارسا بأكثر من قرن أى عام ١٨٤٩ ق . م وكان أشهر ملوكها حورابى الذى ذاع صيته من أجل مجموعة قوانيقية ، أنظر (عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ص٧٥) .

(٢) قارن بصفة عامة :

D.O. Edzard, op. cit. 99-184.

3. G. Roux, Ancient Iraq, p. 165.

(٤) كان الآله « أمورو » إله الصيد والحرب وتعرف زوجته بأسم « عاشرة » وتتصف بحب السرات والنشاط وتشبه نموذج عشتار المعروف . كما عرف الأموريون عبادة الأنثى التى كانت تتصل بعبودة لها علاقه بالقمر ويقابل اسمها « أشيرا » بالعبرية وهى عبارة عن عمود مقدس أو جذع شجرة يستعملان فى بعض الطقوس الدينيه (نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ، ص ٢٧ (دار المعارف ١٩٦٦) .

تتمتع بعبادة منتظمة فى العراق القديم [1] كما عبد الأموريون قوى الطبيعة وأهمها « حدد » وهو اله المطر والعواصف ثم الآله « رشف » ويحتمل أنه كان له صلة بالنار ثم الآله « دجن » اله السمك عبد فى غزة كان فى الأصل من آلهة الأموريين .[2] ولقد ادخل الأموريون فى المدن التى حكمو فيها نظم جديدة خاصة علكية الأرض التى إعتبروها أما من ممتلكات القبيلة أو الملك أو الأفراد الأفراد وهذا بخلاف الاعتقاد الذى ساد المجتمع السومرى بأن الأرض يملكها الاله المحلى وحده .[3]

وكثيرا ما قامت الحروب والمنازعات بين حكام هذه الأسر الجديدة مثل ذلك النزاع الذى نشب بين ابت ـ عشتار (١٩٣٤ ـ ١٩٢٤ ق.م) حاكم اسين وبين حاكم لارسا جونجونوم الذى هاجم اسين فى السنة الثامنة من حكمه (١٩٢٤ ق . م) كما احتل أور وبذلك حق له أن يدعى السيطرة على سومر وأكد وبعد سنوات قلائل سقطت سوسا ولاجاش وربما أوروك فى يديه وبهذا امتلكت لارسا نصف العراق الجنوبى ومنفذا على « البحر الأسفل ». وبوفاة لبت عشتار حاكم اسين حل مكانه مغتصب على العرش الذى بدوره هزم وقتل بيدابى ـ سار حاكم لارسا ، وبعد ذلك بعشرين سنة فقد مغتصب آخر يدعى ارا — أميتى بنثور ليستولى عليها منافسة سومو ـ ال وسرعان ما انكمشت مملكة أسين إلى مدينة اسين نفسها والأراضى الملاصقة لها . وفى نفس الوقت تمكن كل من نور — أدادوسين ـ اديتام حاكمى لارسا من أرسال قواتهما شمالا فاتحة مدينة بعد أخرى . [4] .

وفى السنة الأولى من حكم سومو ـ ال ملك لارسا (١٨٩٤ ق . م) اختار

---

1. G. Roux, Ancient Iraq, p. 190.

(٢) عبد الحميد زايدة الشرق الخالد ص ٢٣٩ .

3. Saggs, op. cit., p. 60.

4. G. Roux, Ancient Iraq, p. 167 f.

أحد شيوخ الأموريين وهو سومو ـ أبوم عاصمة له مدينة تقع على بعد أميال قليلة إلى الغرب من كيش على الضفة الغربية من الفرات وهي باب ـ اليم «بابل واستطاع الخمس ملوك الأول فى بابل من فتح بلاد أكد كلها . وفى عام ١٨٣٤ ق . م قتل سيسلى ـ اداد حاكم لارسا أثناء حروبه مع بابل فأصبح عرش لارسا شاغرا حتى تمكن كودور ـ مابوك ، أحد الوظفين العيلاميين الذى كلف بمراقبة القبائل الأمورية بين دجلة وزواجوراس ، من احتلال لارسا حيث عين أحد أبنائه ملكا فى هذه المدينة قانعا بلقب « والد (أى حامى) أمورو » « ويجب أن نلاحظ أن أبنى كودور ـ مابوك المدعوان ورأد ـ سين وريم ـ سين اللذين حكما فى لارسا يحملان اسماء سامية وليست عيلامية . وقد تمكن ريم ـ سين من هزيمة تحالف بقيادة منافسة البابلى ونجح فى عام ١٧٩٤ ق . م فى الاستيلاء على اسين وبعد ذلك بسنتين اعتلى حامور أبى عرش بابل [١] .

وبعد سقوط الإمبراطورية السومرية أصبحت آشور مستقلة . وإذا كان بوزور آشور الأول أول سلسلة الملوك الذين حملوا اسماء أكدية ، فإن مؤسسى القوة الاشورية الحقيقية كانوا من الأموريين . وقد استطاع هالى أحد شيوخ القبائل الأمورية أن يثبت نفسه فى مكان ما بين الخابور ودجلة وحكم خلفاؤه فى ذلك ملوك آشور الأكديين . وأخيرا نجح أحدهم ويدعى الا ـ كابكابو فى الاستيلاء على المدينة وأعلن نفسه ملكا مبتدئا بذلك سلسلة من الملوك الأموريين فى آشور كان أولهم شمس ـ اداد العظيم (١٨١٤ — ١٧٨٢ ق . م) [٢] .

وحوالى عام ١٩٠٠ ق . م أحتل مدينة مارى جماعة من الأموريين يحتمل أنهم جاءوا من منطقة خابور واتخذوها عاصمة لمملكة امتدت على طول الفرات

---

1. Ibid., p. 169.
2. Ibid., p. 172.

من نهر الخابور حتى قرب مدينة عناة وهى منطقة تشكل ممرا طبيعيا له أهميته من الناحية التجارية ونقل التراث الحضارى وكان من الناحية الغربية يؤدى إلى البحر المتوسط ومن الناحية الشرقية إلى منعرج الفرات . ويعتبر ياجيد ليم أول ملك آمورى حكم مملكة مارى وكان معاصر لالا ـ كابـ كابو ملك آشور . وسرعان ماقامت الحرب بين الاثنين تحطمت اثناءها قلمة ياجيد ـ ليم ولكن ابنه ياحدون ـ ليم تمكن من أستعادة ملك والده بل وصلت فتوحاته حتى البحر المتوسط . وأخير سقطت مارى فى يد شمسى ـ اداد الأول ليضمها إلى إلى الإمبراطورية الأشورية [1]. وقد استطاع André Parrot أن يكشف عن تراث حضارة « مارى » حينما قام بحفائره فى تل الحريرى ،التى تقع على بعد ميل واحد تقريبا من غربى الفرات بالقرب من بلدة أبو كمال ، وقد وفق للعثور إلى جانب العدد الكبير من المبانى الضخمة بما فيها القصر الملكى الكبير الذى كانت مساحته مايقرب من ستة أفدنة والذى يحوى حوالى ثلاثمائة حجرة مزينة بالصور الملونة وملحق بها عدد كبير من الحمامات ، على أكثر من عشرين ألف لوح من الألواح الطينية نقشت بالخط المسمارى واللغة الأكدية استطاعت أن تميط اللثام عن مرحلة حضارية من أهم المراحل فى هذه العصور ، إذا أنها تشير إلى قيام علاقات تجارية وتنظيم إدارى متقدم وكانت تمثل كلها الارشيف الخاص بالملك زمرى ـ ليم آخر ملوك مارى (١٧٧٩ ـ ١٧٦١ ق . م) الذى قضى حامورابى ملك بابل على دولته . وكان العثور على هذه المجموعة من الوثائق مما ساعد على القاء ضوء على مختلف الوان الحياة فى هذا الاقليم فى الألف الثانية قبل الميلاد وعلى العلاقات السياسية بينه وبين جيرانه . ولعله من المهم أن نشير إلى بعض أسماء البلاد السورية التى وردت فى هذه الألواح فمن بينها خلبو (حلب)

---

1. G. Dossin, "L'inscription de fondation de Iahudun-Lim roi de Mari", Syria, 32 (1955), pp. 1-28.

عاصمة مملكة يامخد الأمورية وكذا جوبلة (جبيل - بيلوص) التي كان أميرها ينتمين مو يرجع إلى أصل آموري ، كما ورد ذكر غيرها من البلاد الهامة . كما وردت بها بعض اسماء الآلهة مثل « أمورو » وزوجة عشرتا وحدد اله الرعد والمطر والعاصفة ورشف اله الغار الذى أنتقلت عبادته إلى مصر ودجان اله الخصب والطعام [١] .

وتوضح لنا المراسلات بين ملوك هذه الدويلات الأمورية الأعداد الهائلة من الجنود التي كانت تقدر بالآلاف والتي كانت تعسكر في حاميات هذه الدويلات لحماية سكانها المستقرين من غارات الرحل المتنقلين . فها هو ياسما - اداد ملك مارى يكتب إلى أخيه شمس - داجان موضحا له أن خمسمائة جندى كلفوا بحراسة المدينة بينما خمسمائة أخرى انيط بهم حماية قطعان الماشية . كما كان التعاون قائما بين الحكام الأموريين سواء فى النواحى الاقتصادية أو الحربية أو السياسية [٢] .

وتشير وثائق مارى وكذلك « نصوص اللعنة » المصرية على أن القرون الأولى من الألف الثانية قبل الميلاد التي شهدت قيام ممالك آمورية فى كثير من المدن العراقية ، شهدت أيضا وجود ممالك أمورية فى سوريا وفلسطين ومن أهمها مملكة قرقميش وقطنة وخلبو والالاخ [٣] .ولقد خطت هذه الممالك خطوات كبيرة فى ميدان الحضارة حيث أنها ظلت لمدة طويلة تحت تأثير الحضارة السومرية - الأكدية . فحول قصور الحكام الحلبيين شيدت مدن كبيرة محصنة وأن ما عثر عليه من أدوات ومنحوتات فى قصر ياريم - ليم ملك الالاخ (تل عطشانة الحالية) - على سبيل المثال - كانت أدنى فى صناعتها من مثيلاتها

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٨ ، وما بعدها .

2. Saggs, op. cit.. p. 67.

3. G. Roux, op. cit., p. 214.

التى عثر عليها فى قصر زمرى ـ ليم ملك مارى المعاصر له [1] . كما تقدم لنا أرشيفات مارى دليلاً كافيا على الصلات الودية بين بلاد الرافدين وسوريا فى تلك الفترة ، بل لقد توسعت الصلات التجارية فى ذلك الوقت أيضا بين سوريا وكريت فنجد أن جالية من التجار المينوبيين قد استوطنت فى ميناء أوجاريت (رأس شمرة) كما تجددت العلاقات بين مصر ولبنان إذ عمات مصر إلى الوقوف فى وجه النفوذ الحورى المتزايد فى شمال سوريا وذلك بإغداق الهدايا للملوك الأموريين وهذا مايفسره لنا مجموعة الأوانى والحلى والتماثيل الملكية التى أرسلها فراعنة الأسرة الثانية عشرة إلى ملوك وحكام بيلوص وبيروت وأوجاريت وقطنة ونيراب (قرب حلب) [2] .

ولقد حاول البعض ربط قيام هذه الممالك الأمورية فى بلاد الرافدين بحركة الغزو الأمورى التى عاصرت حكم أبى ـ سين ملك أور وافترضوا أن هؤلاء الغزاة لم يفدوا من سوريا التى لم تكن تعرف الوحدة السياسية فى ذلك الوقت ، بل كانوا من البدو الرحل الذين كانوا يقطنون الصحراء العربية السورية [3] حيث أن أسماء أفراد هذه الاسر الحاكمة من طراز أسماء هؤلاء الرحل [4] . وقد دللوا على ذلك بأن العناصر الأمورية تغلب بين سكان مدينة مارى كما تدل على ذلك أسماء الأشخاص ، بينما تقل هذه العناصر فى الجنوب والشرق والشمال وتندر فى المدن البعيدة عنها مثل بابل وآشور حيث كان الأموريون يمثلون أقلية استطاعت أن تقبض على السلطة فى يدها [5] .

---

1. L.Wooley, A Forgotten Kingdom, 2nd ed.(Harmondsworth, 1959).
2. W.A. Ward, "Egypt and the East Mediterranean in the Early Second Millennium B.C.", Orientalia 30 (1961), pp. 22-45; 129-155.
3. Moscati, The Semites, p. 55.
4. Kupper, Les Nomades, pp. 34-5, 68-72.
5. Moscati, The Semites, p. 56.

ولكن ربط ظهور هذه الممالك الأمورية بالغزو الأمورى فى عهد أبى-سين وبأعمالهم الحربية التى تلت ذلك أمر غير مؤكد . ومن غير المؤكد أيضا وصول هؤلاء الأموريين إلى مراكز السلطة نتيجة لأعمال حربية وسياسية قامت بها قبيلتهم . ولكن يبدو أن هذه الممالك قامت على أكتاف أشخاص قبضوا على السلطة أثناء اقامتهم فى مدن الرافدين . ولقد ساعدهم على ذلك موقعهم كمهاجرين وأنتمائهم لشعب نزاع إلى الحرب ومعيشتهم فى ظل حياة قبلية متماسكة . وفى هذه الأثناء لم يبد السكان الأصليين من السومريين والأكديين أى مقاومة بسبب انحلال السلطة المركزية بسقوط مملكة أور . وفى ظل هذه الظروف اصبحت الفرصة موانية للاموريين ليأخذوا بأيديهم زمام البادأة السياسية ويسيطروا على البلاد . ويظهر أزدياد نفوذ الأموريين السياسى فى الألقاب التى حملها ملوكهم مثل لقب « أد — داكورمارتو » الذى يعنى « والدامور » ولقب « أد — دا اموتبالا » أى « والديامو تبال » (أحدى القبائل الأمورية) وقد حمل هذين اللقبين كودور -- ما بوك حاكم لارسا وكذلك لقب « لوجال مارتو » « أى ملك أمورو » الذى أتخذه حامورابى ملك بابل [(١)] . وأحيانا يشير لقب الملك الأمورى إلى أن رعيته تشمل الأموريين والسومرين والأكديين كما هو الحال فى اللقب « ملك أوروك وملك امنانوم (اسم قبيلة أمورية) الذى حمله سين كاشيد ملك أوروك [(٢)] ويبدو ذلك أيضا من الرسالة التى كتبها أحد الموظفين فى مارى إلى مليكة غاطيا أياه بقوله « لوكنت ملكا للخانيين (اسم قبيلة أمورية) فأنت أيضا ملك الاكديين [(٣)] وتتضح ظاهرة هذا الشعب الخليط بصورة منتظمة فى سوريا فنجد أن قائمة أعداء ياخدون — ليم الأمورى ملك مارى تذكر : « لاؤم ملك سامانوم وأرض أوبرابوم وباخلوكوليم ملك توتول وأرض امنانوم وأيالوم ملك أبانوم وأرض رابوم » [(٤)]

1. Kupper, Les Nomades. 174-7.
2. G. Pettinato, "Unveröffentlichte Texte des Königs Sinkasid von Uruk", OA 9 (1970), 97-112.
3. ARM, 4, No. 76, 20, I.
4. Dossin, op. cit. 14 (iii. 4-9).

لقد بدأت أعداد الأموريين تزداد بين سكان بلاد الرافدين نتيجة التسلل البطيء الذى استغرق قرونا ونتيجة الغزو المفاجىء اثناء السنة الخامسة من حكم أبى ـ سين والانسياح التدريجى الذى اعقب ذلك . ولقد تأثرت بهذه الهجرات المناطق المكشوفة من العراق القديم مثل وادى الفرات الأوسط وآشور وحوض نهر ديالا كما كان هذا التأثير ملحوظا إلى حد كبير فى سومر وأكد أى فى بلاد الرافدين . وإذا كان من اليسير تمييز العنصر الأمورى أبان عصر مملكة أور الثالثة ، فقد أصبح ذلك من الصعوبة بمكان الان خاصة حينما توقفت النصوص الإدارية بعد حكم أشى ـ ارا وخليفته من تعريف المهاجرين الأموريين بأنهم «مارتو» ولعل فى هذا أشارة بأن الإدارة الملكية لم تعد تنظر بعين الاهتمام إلى ظاهرة أصبحت من الأمور العادية ، وبان عدم الأكتراث بهؤلاء الأموريين أصبح أمرا مألوفا فى بلاد الرافدين . وإذا كان من الممكن تتبع أنتشار أسماء الأعلام التى يدل أصلها اللغوى على أنها آمورية ، فإن الاعتماد على مثل هذا المصدر لن يفيد كثيرا بسبب ظاهرة ذوبان الأموريين فى المجتمع السومرى الأكدى كما حدث أبان عصر مملكة أور الثالثة لذلك فكثير من الأموريين وأبنائهم اتخذو اسماء أكدية فى مكان اقامتهم الجديد خلال العصر البابلى القديم . (١)

ولقد اثير كثير من الجدل حول ما إذا كان الأشخاص الذين وصفوا بأنهم « مارتو » فى نصوص أسرة أور الثالثة ينتمون إلى نفس المجموعة البشرية التى ينتمى ـ إليها أصحاب الأسماء الأمورية (السامية الغربية) فى نصوص العصر البابلى القديم (٢) . ولكن ثبت يقينا انتماء كلا الفريقين إلى جنس واحد حيث كشف لنا تحليل أسماء « المارتو » عن التشابه الكبير بينها وبين الأسماء السامية الغربية من العصر البابلى القديم . (٣) ومن جانب آخر فهناك قائمة

---

1. Cf. G. Buccellati, op. cit., 100.
2. Cf. B. Landsberger, ZA 35 (1923), 236-8.
3. Buccellati, op. cit. 213-31, cf. Moscati, The Semites, p. 57.

مارتو من العصر البابلي القديم لا تحتوى إلا على أسماء سامية غربية (١).

فمن المؤكد اذن أن الصفة « اموري » أصبحت عامة وبالتالى قل استعمالها ، بينما ظهرت مسميات خاصة ذات طابع قبلى كما يظهر من اسم الخانيين (خا — نا) والبنياميين (دوموبا — ى — نا) والسوتيين (سو — تى أوم) وهناك مجموعات اصغر مثل الأمنانو والرابو ودومو سمل ويأخرور وغيرها (٢).

وتعتبر هذه أهم المسميات فى عالم أصبح آموريا بصفة عامة . وليس بالمستغرب أن تكثر مثل هذه المسميات فى نصوص مدينة مارى التى كانت قريبة من هذه القبائل بسبب موقعها الجغرافى حيث يجاور نهر الفرات وروافده المنطقة التى كانت تسكنها القبائل البدوية ويمارس فيها أفرادها حياتهم كرعاة ومغيرين .

ولأول مرة تمدنا نصوص مارى بصورة واضحة عن حياة هؤلاء الرحل الغربيين أى القبائل المختلفة ذات الأصل الاموري فى بيئتهم الحقيقية وأيضا عندما أصابهم التفكك بعد اتصالهم بالمدن المجاورة . فما كان يذكر من قبل تلميحا ، أصبح الآن مؤكدا وبصورة واضحة فتصور لنا نصوص مارى أن حياة هذه القبائل الأمورية كانت تعتمد أساسا على تربية الأغنام والماعز بينما لم يكن الجمل معروفا لديهم (ربما عرف على نطاق ضيق) كما استخدموا الحمار كدابة حمل (٣) وكان جل أعتماد حياة الترحال على الأماكن التى يتوفر فيها المرعى والماء القريبة من الأراضي الزراعية ونعرف أيضا أن هؤلاء الرحل كان لديهم خبرة محدودة بالزراعة فتراهم أحيانا يبذرون الحبوب ويحصدون محاصيلهم الفترة من الوقت فى مكان

---

1. J.J.Gelb,"An Old Bebylonion List of Amorites," JAOS 88(1968), 39—46.

1— Cf. J.R. Kupper, op. cit.

2 - Cf. J. Henninger, Uber Lebensraum Und Lebensformen der Früh-semiten (Köln-Opladen, 1968).

معين وأحيانا أخرى يتركون وراءهم من يكمل العمل . فلا تعجب إذن أن تكون مواطن استقرارهم عبارة عن قرى صغيرة ذات بيوت مبنية توحي بنوع من حياة الاستقرار لدى هؤلاء الرحل [1] ولقد كان للمجموعات المختلفة منهم نظام داخلية تعتمد على صلة الدم والقرابة التي تجعل من الأسر عشائر وقبائل بل اتحادات قبلية . [2] وكان الكبار يحفظون التقاليد ويدعون لاصدار الاحكام أو لتوجيه الارشادات للمجموعة كافة [3] وهناك أيضا اشارات إلى رؤساء ذوى مراكز متميزة يحتمل أنهم كانوا يشغلونها بصفة مؤقته وكان يطلق عليهم لقب « ملك » الذى كان من سمات الجماعات المستقرة .

ولقد أظهرت علاقات هذه الجماعات البدوية مع ممالك المدن لمحات مختلفة توضح ماسبق أن لاحظناه أبان عصر أسرة أور الثالثة . فلا زلنا نستبين ذلك التهديد المستمر من جانب هؤلاء الرحل لطرق الاتصال بين هذه المدن وعزمهم الدؤب لامتلاك الأراضي الزراعية التي يتوفر فيها الماء والمراعي عوضا عن أراضيهم القاحلة الجرداء . كما نلاحظ أيضا التدفق المستمر لهؤلاء الرحل داخل المدن بحثا عن العمل أما كجنود مرتزقة أو كموظفين فى الإدارة الحكومية أو كزارعين وأخيرا تلك المحاولات التى كانت تقوم بها إدارات المدن لاخضاع هذه الجماعات والاستفادة منها فاستدعاء أفرادها للخدمة العسكرية والعمل فى السخرة وأرهاقهم بدفع الضرائب .

---

(١) بخصوص خبرة الرحل الزراعية . أنظر :
J.R. Kupper, Les Nomades, p. 58.

وعن « مدينة الرحل » قارن على سبيل المثال « مدينة خامان » التى بناها آباء الخانيين — فى . G. Dossin, Syria 32 (1955), 15 (iii, 28-9).

(٢) ومن الأمثلة على ذلك قبائل أو بوابو وياخررو وامنانو التى كانت ضمن اتحاد البنياميين الكبير ، أنظر . ARM iii, No. 50, 10-13.

3. H. Klengel, "Zu den Sibutum in altbabylonischer Zeit", Orientalia 29 (1960), 357-75.

وتعتبر نصوص مارى مصدرا هاما عن حياة الأموريين الرحل فى شمال بلاد الرافدين وتمدنا أيضا بمعلومات وفيرة عن ممالك المدن الأمورية فى سوريا والتى بدأت تلعب دورا هاما بعد منتصف الألف الثانية بقرن من الزمان . ومن هذا يتضح لنا أن الأموريين عاشوا رحلا ورعاة وكذلك كمواطنين فى مدن ومزارعين حيثما تتوفر الامكانات الزراعية . فتذكر هذه النصوص أخبارا عن مراكز أمورية كبيرة مثل قرقميش وخلبو (يامخد) وقطنه والالاخ وحازور وهذه كلها شاركت فى سياسة وتجارة عالم ذلك الوقت ، كما شاركت مراكز الحضارة فى بلاد الرافدين حضارة متجانسة بالرغم من وجود بعض الاختلافات المحلية[1]. وهكذا نجد أن الأموريين قد جمعوا فى حياتهم بين الرعى والترحال وبين الزراعة والاستقرار . ففى الوقت الذى نجد فيه موظفا أموريا فى مدينة خابو ، نجد أيضا راعيا أموريا فى وادى الخابور أو فى صحراء تدمر .

وفى هذه المرحلة من تاريخ الأموريين ، لا زلنا نطلق عليهم هذا الأسم طالما يتخذون نفس الأسماء التى كان يتخذها المارتو الذين عاشوا فى العصر السابق . ولاشك أنهم قد ورثوا طرائق الحياة القديمة واستمروا فى الموكب التاريخى الذى بدأه المارتو . وبالرغم من ذلك فلم يعد لديهم الاحساس بالإنتماء إلى جنس واحد بل سادت بينهم حاسة الانتماء إلى قبيلة أو مدينة بعينها . ففى بلاد الرفدين نفسها ، كما لاحظنا من قبل ، قل استخدام الـكلمة « أمورى » تدريجيا فى الوقت الذى زادت فيه استعمالاتها الثانوية ، فعلى سبيل المثـال نجد أن الالقاب البابليـــة Wakil Amurri « المشرف على الأموريين »

---

(١) وعن دويلات المدن الأمورية فى سوريا وفلسطين ، أنظر : J.K. Kupper
"Northern Mesopotamia and Syria," CAH. II, Rev. edt. (Cambridge, 1963), Fasc; 14; H. Kengel, Geschichte Syriens in 2. Jahrtausend v.u z. i-ii (Bertin, 1965, 1969).

و Rab Amurri «رئيس الأموريين» و Tupsar Amurri «كاتب الأموريين»[1] التى حملها الموظفون الإداريون والعسكريون فى بابل ومارى توحى بأن استخدام الـكلمة «أمورى» يشير إلى جماعة من المرتزقة أو على الأقل أن الأموريين كانوا يعملون فى خدمة دويلة المدينة . ونجد نفس هذه الظاهرة فى مدينة سوسا التى تقع عند نهاية الحدود الشرقية لوطن الأموريين . فتدل وثيقتان تتعلقان بمنح أرض «لرعاة وجنود أموريين»[2]. على أن استخدام الـكلمة «أمورى» قد حاد عن معناه الأصلى الذى يشير إلى جنس معين إلى مفهوم وظيفى جديد . ويرجع تاريخ هاتين الوثيقتين إلى نهاية العصر البابلى القديم . ولـكن فى نفس الوقت يشير نص من عهد أمى ـ صادوقا ملك بابل (١٦٤٦ ـ ١٦٢٦ ق . م) على أن الـكلمة لا تزال تستعمل بمعناها الجنسى . ففى هذا النص أستخدمت الـكلمة «أمورى» فى مقابل الـكلمة «أكدى» لتشير إلى العناصر السامية الغربية التى عايشت سكان بلاد الرافدين من الاكديين ولتدل أيضا على أن الأموريين كانوا فى زيادة مستمرة بعد قرون من التسلل والغزو وكيف أنهم ذابوا فى المجتمع البابلى الذى أصبحوا فيه على قدم المساواة مع السـكان الأصليين[3].

ويعتبر نص أمى ـ صادوقا آخر مرجع يذكر فيه الأموريون كمجموعة بشرية مستقلة . لقد أخذ نفس هذا الاصطلاح يتغير حوالى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد بسبب الظروف التاريخية من ناحية وبسبب أن معلوماتنا عن الأموريين أصبحت ترد إلينا الآن من الغرب أى من أرض أمورو نفسها من

---

1. Cf. J.R. Kupper, Les nomades, 185-95; J.M. Sasson, The Military Establishments at Mari (Rome, 1969), pp. 12-13.
2. V. Scheil, Actes juridiques susiens (Paris, 1932), pp. 147-51, (Nos. 282-3).
3. J. Finkelstein in ANET, pp. 526-8.

ناحية أخرى . لقد بدأ التسلل الأمورى فى بلاد الرافدين ينحصر تدريجيا وبدأ المهاجرون الاوائل فى الذوبان فى المجتمع الأكدى الذى يفوقهم حضارة وعددا . ولـكن يجدر ملاحظة أن تدفق الرحل الغربيين لم يتوقف نهائيا حيث أصبح فى حقيقة الأمر مظهرا دائما من مظاهر تاريخ بلاد الرافدين مرتبط بحقائق جغرافية واقتصاديةولـكن بدأ ينضوى تحت اسماء أخرى بعضها استخدم قبل ذلك وكان يشير احتمالا إلى فرع من المجموعة الأمورية ولـكنه الآن أخذ صفة أكثر تحديدا . فأضحى الرحل يعرفون بالاحلامو فى أعالى بلاد الرافدين وبالسوتيين فى سوريا .

أما فى سوريا نفسها ، حيث توافرت الشواهد المحلية ، فقد استخدم الاصطلاح « أمورو » بمعانى مختلفة . ولـكن بكل تأكيد لم تعد هذه الـكلمة تعنى « الغرب » عموما أو الشعوب الساميه الغربية حيث أن هذا المعنى كان يعبر عن وجهة نظر سكان بلاد الرافدين . ومما هو جدير بالملاحظة أن الـكلمة «أمورو » بدأت تستخدم لتعبر عن منطقة معينة فىسوريا . ولقد ظهرت الـكلمة بهذا المعنى قبل ذلك فى نصوص مارى ، ففى أحد هذه النصوص ارتبط ذكر « رسل ملوك أمور الأربعة » مع رسل حازور ، بينما فى نص آخر ذكرت « أرض أمورو » فى تتابع جغرافى مع « أرض ياخد وأرض قطنة » (١) . ومن هذا نرى أن الـكلمة « أمورو » تعنى منطقة فى جنوب سوريا . وتشير نصوص الالاخ من القرن السابع عشر قبل الميلاد إلى « أمورو » باعتبارها منطقة تقع — فى أغلب الظن — فى وسط أو جنوب سوريا (٢) . — ولـكن لازال الاصطلاح يتسم بالغموض ولايدل على كيان سياسى بالرغم من أنه أصبح يشير إلى منطقة محددة .

1. J.R. Kupper, Les Nomades, 178-9; H. Klengel, Geschihte Syriens ii. 182.
2. J.R. Kupper. Les Nomades, 179-80.

ولكن بنهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد دخلت هذه المنطقة نفسها فى اطار سياسى محدد وذلك مع بداية مملكة أمورو تحت حكم عبدى ـ اشيرتا وخلفائه [1] . وفى بداية الأمر كان معظم هذه المملكة يقع فى منطقة جبلية تشمل جبال لبنان فى الشمال وجبل انصاريه فى الجنوب بينما يحدها شرقا وادى نهر الأورنت ونهر الليطانى وغربا الشريط الساحلى المطل على البحر المتوسط . ومن هذا نتبين أنها كانت منطقة تحوطها المناطق الزراعية المتحضرة . وفى أغلب الظن أن سكان مملكة عبدى ـ اشيرتا الاصليين كانوا عناصر متفرقة تعيش على رعى الأغنام فوق الجبال وفى عزلة عن الحياة المدنية الزراعية وعن الاتصالات الاجتماعية والسياسية التى تميز الممالك المجاورة . ولعل طبيعة سكان هذه المنطقة الرعوية وعزلتها عاملان يؤكدان الصلة بين مفهوم هذه الكلمة الآن والمفهوم الذى سبق أن لاحظناه فى العصور السابقة . وليس من العسير تبيان هذه الصلة إذا أدركنا أن سكان سلسلة جبال لبنان هم الورثة المباشرين للقبائل الأمورية الذين لم يشتركوا فى التطور التاريخى لدويلات المدن . وبعبارة أخرى نلاحظ أن الاصطلاح « آمورو » الذى استخدم فى العصور السابقة ليشير إلى إلى سوريا بأكلها ، أضحى الآن يطلق على الجزء الجبلى الداخلى منها خاصة بعد أن قامت وحدات سياسية فى الأجزاء الأخرى واصبح لها مسميات خاصة . فهناك قامت ممالك مثل مملكة موكيش ونهيا أو اتحادات لممالك صغيرة مثل نوخاشية أو ولايات مصرية مثل كيماخى وأوبى . ولقد كان لمملكة أمورو هذه نشاطا ملحوظا أثناء عصر العمارنة . لقد كان عبدى ـ اشيرتا قائدا محليا أكثر منه ملكا حقيقيا فلم يعرف سكنى القصور ولم تكن له عاصمة معينة وحينما وافته المنية انتقلت السلطة إلى أولاده لا إلى وريث بعينه كما كانت العادة فى مثل هذه الأحوال . ولكن عزيز وتمكن من القبض على السلطة فى يديه

---

1. H. Klengel. Geschichte Syriens, ii. 178-325.

ليصبح ملك أمورو الوحيد المعترف به بالرغم من أن أخوته ظلوا يلعبون دورا في إدارة شئون المملكة . لقد ساعدت الطبيعة الجغرافية والديموغرافية لمملكة أمورو بغاباتها ومراعيها وسكانها الذين يعيشون حياة التنقل ، لأن تكون مكانا يأوى إليه الفارين من جماعات الخابيرو الذين اضطروا إلى ترك بلادهم تحت وطأة الظروف الاقتصادية والسياسية ليكونوا بمنأى عن سيطرة حكام دويلات المدن .[1] لقد جند عبدى ـ أشيرتا وعزيرو أعداد كبيرة من هؤلاء اللاجئين أثناء حروبهم التوسعية ضد الدويلات ـ الساحلية (خاصة بيلوص) وضد المدن الداخلية مثل تونيب ونيا . ويبدو أن هذه الحروب لم تكن الا دفاعا عن النظام الاجتماعى الذى كان الأموريون يعيشون فى ظله ، يتجلى ذلك من عبارات الدعاية السياسية التى خاطب بها عبدى ـ أشيرتا الزارعين فى هذه الدويلات قائلا لهم : « إقتلوا أسيادكم وكونوا مثلنـــا ، حينئذ ستنعمون بالسلام » . ومن توجيهاته إلى جنوده من اللاجئين قوله « وحدوا أنفسكم ولنهاجم بيلوص فلن ينقذها أحد من أيدينا ستطرد الحكام من الأرض وستصبح كل البلاد للاجئين » .[2]

لقد أعقب هذه الصفحة البطولية فى تكوين مملكة أمورو، خاصة بعد موت عبدى ـ اشيرتا وتولى عزيرو تداخلها المتزايد فى شئون السياسة العالمية فى ذلك الوقت ، ولم يحدث هذا الا فى عصر العمارنة المضطرب حينما أصبحت أمورو دويلة حاجزة بين مناطق توزعت السيطرة عليهـــا بين المصريين

---

1. M.B. Rowton. "The Topological Factor in the Hapiru Problem" Studies in Honor of B. Landsberger (Chicago, 1965), pp. 375-87.

2. M. Liverani "Implicazioni Sociali nella politica di Abdi Asirta di Amurru". RSO 40 (1965), 267-77.

والحيثيين (١) . فقبل ذلك بعدة سنوات كانت مصر قد بدأت توسعها الخارجى أيام تحتمس الثالث (١٥٠٤ ــ ١٤٥٠ ق م) فأصبحت مملكة أمورو تحت السيطرة المصرية وفى نفس الوقت ظهر الحيثيون فى الشمال . ومما يدل على مقدار خضوع مملكة آمور للحكم المصرى فى ذلك الوقت ، الخطاب الذى أرسله عبدى أشيرتا إلى أمنحتب الثالث(١٤١٧ ــ ١٣٧٩ ق . م) أحد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة المصرية قائلا : « إلى الملك الشمس ، سيدى ، هكذا يقول عبدى ـ اشيرتا عبدك وغبار قدميك ، عند قدمى الملك سيدى سبع مرات وسبع مرات اجثو أنظر ، أنى خادم الملك وكلب بيته وجميع أمورو احرسها للملك سيدى » . وكان يقيم هذا الملك فى أرقة الفينيقية (وهى رقت فى النصوص المصرية) على بعد أثنى عشر ميلا شمال شرق طرابلس (وقد عرفها العرب بأسم عرقة) وكان هذا الملك منافقا أذانه ساعد الحيثيين على فتح سهل العمق (بين أنطاكية وجبال الأمانوس) (٢) . ولكن يبدو أن الوضع الجغرافى لأمورو جعل منها على الدوام مجال تنافس فى أرضائها أو اغتصابها طبقا لما تقضى به الظروف السياسية وكان هذا من غير شك عاملا من عوامل الأنهيار فى نهاية الأمر ذلك لأن قسما من الأقسام كان يرتبط بمصر مواليا لها وأضطر قسم آخر إلى أن يمالىء الحيثين رهبة وخوفا أوبدافع الخيانة أو عن طريق شراء الذمم والضمائر أو التلويح بالمغانم وقسم ثالث جهد فى الاحتفاظ بالحياد مجتنبا الميل لأحد الطرفين مفضلا البعد عن مشا كل الصراع بين عدوين لم يقدر لمن منهما يكون النصر فى نهاية الأمر ، وهناك قسم رابع ظل حائر بين ابهام عدو سافر مبين وسبابة منافق طامع أو كاشح مشتتر . . . ولعل قصة أنهيار أطراف الإمبراطورية المصرية فى آخريات أيام اخنتاتون تروى قصة الصراع واضحة جلية وتبين

---

1. H. Klengel "Aziru Von Amurru Und Seine Rolle in der Geschichte der Amarnazeit." MIO 10 (1964), 57-83.

(٢) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ .

كيف انتهى بالقضاء على الدولة الأمورية أو تقطيع أو صالها على الأقل وقد أسدل الستار بعد ذلك على الأموريين فى سوريا الوسطى وأنتقل مركز الحوادث إلى الجنوب (١) .

ولـكن مصر رزئت بعد امنحتب الثالث برجل من طراز غير الذى كانت ترتجيه فبدلا من السياسى الحنك الذى كان يرجى أن يقابل تدبيرات ومؤامرات بوغازكوى بتدابير ومؤامرات اشد منها حنكة ، نرى على العرش حالما مثاليا ذا خيال عريض يطمع فى أن يخلق عالما يعيش فيه الناس على الحق وللحق وبالحق ذلك هو اخناتون (١٣٨٩ ـ ١٣٦٢ ق . م) وكنتيجة لهذا الوضع الجديد تأثرت سوريا تأثرا شديدا من جراء ما استهدفت له من مؤامرات . وخطابات جبيل وصاحبها ربعدى صرخة متصلة إلى فرعون مصر تتوسل إليها فيها أن يرد عنها غائلة المؤامرات والدسائس وأطماع الطامعين وكان يشبه فى ولائه ابو ملـكى صاحب صور واكزى فى قطنة ولـكن جبيل تعرضت أكثر من غيرها لضغط الحيثيين ، فـكتب صاحبها مرة لفرعون يقول : « جبيل الجارية الأمينة للملك منذ أيام آبائه ، ها هوذا الملك قد سمح أن تخرج المدينة المخلصة من يده . . . ليقلب الملك سجلات بيت آبائه ليرى أن كان الرجل الذى فى جوبله ليس خادما مخلصا » . وإدرك ربعدى خطر هجمات الأموريين الذين يدفعهم الحيثيون ويساندونهم فراه يقول : « عبدى ـ اشيرتا كلب . وهو يسعى لامتلاك مدن الملك » . وقد كان عبدى ـ اشيرتا يسعى فعلا لتحقيق ذلك الغرض ، فبدأ كما رأينا بالاستيلاء على المدن الداخلية ثم المدن الساحلية والشمالية وأخذ يتجر على حساب جبيل حتى أفقرها ودفعها إلى الهوان بعد أن أجاعها . ولـكن كتب ربعدى لم تلق إذنا صاغية من الملك المصرى الحالم الذى وصلته من عبدى ـ اشيرتا كذلك كتب لا تجمل ولاء ربعدى فوق مستوى الشبهات حتى ضل بين المتناقض

(١) نجيب ميخائيل . مصر والشرق الأدنى القديم حـ ٣ ص ٢٩ ، ص ٣٠ .

من الكتب ، فبعدى ـ اشيرتا فى كتبه كان يظهر ولاء أشد من ولاء ربعدى والملك لا يستطيع أن يميز بين الصحيح والزائف . ومات عبدى ـ اشيرتا وخلفه ابنه عزيرو الذى سار على سياسة سلفه وأدرك ربعدى أن خصمه أغلظ من متن أبيه وإن لم يكونا معا سوى قطع على رقعة اللعب يحركها بوغاز كوى حتى يستنفذ أغراضه فيخلص منه بعد أن ينحدر حطاما . واستمر ربعدى يرسل الخطابات إلى مصر وفى احداها يقول : «أن ملوك كنعان عندما كانوا يرون مصرياً يهربون من أمامه ، ولكن ابناء عبدى ـ اشيرتا يهزأون بشعب مصر ويهددونى بأسلحة دموية » ومما يدل على نفاق هذا الملك أنه يخاطب فرعون مصر بعدم تمكنه من الاستجابة لأمر فرعون ليشاهد « وجه سيدى الجليل »[1] ثم دق عزيرو ابواب سيميرا حتى لتقرأ فى أحد كتب ربعدى « بالسيميرا طير فى فخ ليلا ونهارا يهاجمها أبناء عبدى ـ اشيرتا برا ورجال ارواد بحرا » وقاست أركاتا كذلك من وطأة أبناء عبدى ـ اشيرتا فنراها ترسل خطابا تقول فيه « هذا خطاب مدينة أركاتا إلى الملك مولانا هكذا تقول أركاتا ومواطنوها . على قدم الملك ومولانا اسبع مرات نسقط ... إلى مولانا الشمس هكذا تقول اركاتا : ليعلم قلب مولانا أننا نحرس أركاتا من أجله . . . الا لا يبرحنا نفس الملك ! لقد حصنا بوابات المدينة حتى يأتينا نفس الملك . . . أن العداوة ضدنا شديدة جدا !

وهكذا أخذت الأمور تسوء فى سوريا فسقطت سيميرا فى أيدى الأموريين وحاولت مصر أن تنقذ الموقف بعد أن أدركت خطورته ولكن العداوة ثارت فى جبيل نفسها ضد ربعدى واستطاعت المؤامرات أن تتسلل إلى بيته فهجر جبيل ـ وكان من اخلص من عرفته من أعوانها السوريين ـ بعد أن أهاج أخوه الدنية ضده بفضل دسائس أبناء عبدى ـ اشيرتا وقبض عليه الأموريون ولم تستطع مصر أن تتغاضى عن هذه اللطمة فتحرك فرعون.. ولكن متأخرا...

---

(١) عبد الحميد زايد . المرجع السابق ص ٢٣٨ .

وجاء عزيرو إلى مصر ليعلن ولاءه بعد أن سبقته رشاه إلى بلاط الملك تمهد له الطريق وابتلع البلاط المصرى الطعم فى يسر دون أن يفقد وقاره وعاد عزيرو إلى سوريا حاكما على ولاية مستقلة من الناحية العملية فكان جل طموحه أن يرى مركزه معترف به من جانب البلاط المصرى [1].

ولكن سوبيلو ليوما (١٣٧٥ ـ ١٣٣٥ ق . م) ملك الحيثيين كان يرقب نشاطه فى اهتمام وحين رآه يشتد ساعده أسرع إلى شمال سوريا . وأدرك عزيرو الموقف وود لو تجنب الصدام حتى لا يتحطم بل أراد أن ينتهزها فرصة ليستقل سياسيا عن مصر بتأييد الحيثيين ولكن حساباته خانته لأن قوة الحيثيين كانت كبيرة جدا حتى أن عزيرو اضطر أن يدفع الجزية صاغرا وأن يعترف بخضوعه لسيطرة سوبيلوليوما الذى فرض عليه معاهدة مثل التى أعتادت حيتاأن تفرضها على الولايات التابعة لها . وهكذا استبدل عزيرو حليفا بسيد ... بل استبدل علاقة ود وصداقه بحكم بربرى لارحمة فيه ولا اطمئنان . ظلت مملكة أمورو تحت سيطرة الحيثيين الحازمة بينما كان يحكمها ملوك من سلالة عبدى ـ اشيرتا حتى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ومن هؤلاء الملوك تعرف أر ـ تشوب ودوبى ـ تشوب و نابيلى وبنتشنيا وشاوشجاموا الذين حكموا على التوالى فوق عرش آمور . ويتضح مدى خضوعهم للحيثيين من المعاهدات التى فرضت عليهم من جانب مورشيل الثانى (١٣٣٤ — ١٣٠٦ ق . م) وخاتوشيل الثالث (١٢٧٥ — ١٢٥٠ ق . م) وتود هالياس الرابع [2] كما نعرف أيضا طرفا من علاقات أمورو السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى تلك المرحلة مع جارتها الشمالية أو جاريت التى كانت أكثر منها ثراء وأقل منها قوة [3] .

---

(١) محمد بيومى مهران . المرجع السابق ص ١٠٨ وما بعدها .

2. E.F. Weidner, Politische Dokumente aus Kleinasien (Lepsiz, 1923) Nos. 4, 5, 9; O. Szernerenvi. "Vertrag des Hethitukönig Tudhaliya IV mit I starmuwa von Amurru" OA 113-29.

3. Cf. M.S. Drower, "Ugarit". CAH ii. Rev. ed. ch. xxi (b) (Cumbridge, 1968), fasc. 63, pp. 14-16.

ولم تـكن مملـكة آمور التى لعبت دورا هاما فى كل هذه الأحداث الا واحدة من ممالك كثيرة عاصرتها فى سوريا . وبالرغم من أنها حملت أسم « أمورو » الا أنها لم تختلف كثيرا عن جيرانها . وبجانب هذا المعنى الضيق لـكلمة « أمورو » نجد أنها احتفظت أيضا بمعناها الواسع كأسم يطلق على سوريا كلها وبالتالى اطلاق اسم « بحر أمورو العظيم » على البحر المتوسط التى تطل عليه . وأحيانا يصعب علينا التمييز بين هذين المعنيين فى النصوص المصرية والحيثية والاوجاريتيه التى يرد فيها كثيرا أسماء موادومنتجات وصفت بأنها «أمورية» (١) ونفس صعوبة التمييز نجدها فى حالة «الحمير الأمورية» التى ورد ذكرها فى وثائق العهد البابلى المتوسط (٢)، أو فى حالة الأسلاب التى أستولى عليها الملك الأشورى توكولتى ـ نينورتا الأول (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ ق . م) من آمورو (٣) .

لقد وضعت الغزوات الـكبرى والأزمات الاجتماعية والسياسية التى أجتاحت سوريا حوالى ١٢٠٠ ق . م نهاية لوجود أمورو كدولة ذات كيان

1. E.g. A. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica. i. (Oxfor. 1974) 187; A. Goetze. “The Inventory IBOT I 31, JCS 1¾ (1956), 32 (11, 2-3); J. Nougavrol. Le palais royal d’Ugarit. iii (Paris, 1955), p. 183 (1.11).

2. L.W. King, Babylonian Boundary Stones (London, 1912) No. 7, 17

وفى نصوص القرن الرابع عشر والثالث عشر البابلية نقابل استخدام الـكلمة « أمورو » لتشير إلى مكان معين مثال ذلك العبارة التى وردت على لسان الملك الـكاسى كاداشمن — انليل . « لقد قتلوا (رجالى) التجار فى أرض آمورو وفى أرض أوجاريت أنظر .

A.L. Oppenheny Letters
from Mesopotamia (Chicago- & London, 1967), p. 144.

3. E. Ebeling. Keilschrifttexte aus Assur Juristischen Inhalts (Leipzig, 1927), 180, 14.

مستقل[١] ، كما أدت إلى انقطاع الوثائق التي ترد من سوريا . وأيا ما كان الأمر ، فحينما قام — تيجلات — بيلزر الأول الأشوري حوالى عام ١١٠٠ ق . م بحملة إلى البحر المتوسط ليحصل على خشب الأرز ، كان لايزال الأسم «أمورو» يطلق على منطقة أرواد وسيميرا أى المنطقة التي شهدت تطور مملكة أمورو . فيقول هذا الملك : « بعد أن وصلت جبل لبنان ، قطعت وحملت كتل الأرز لمعابد أنو واداد الآلهة العظمى ، أربابي ورجعت إلى أمورو وغزوتها بأكلها وأخذت الجزية من بيلوص وسيدون وارواد وغادرت على سفن أرواد (التابعة) لأرض أمورو وعبرت من أرواد التي تقع فى وسط المحيط إلى سيميرا التي فى أرض أمورو »[٢] والجدير بالملاحظة فى هذا الصدد أن المنطقة التي يشار إليها على وجه التحديد بأمورو تقع فى مقابل الجزء الشمالى من سوريا الداخلية المعروفة باسم خاتى ويتضح ذلك من حديث الملك : « وأثناء رحلة العودة استوليت على بلاد خاتى بأكلها وفرضت الجزية و (عويل) خشب الأرزعلى آنى — تشوب ملك خاتى الكبرى (أى قرقيش) »[٣] وهكذا يبدو الموقف وكأنه استمرار لما كان عليه الحال خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر . فأمورو هى المنطقة الساحلية شمال بيلوص مع الجبال التي تقع خلف الساحل ، بينما احتلت خاتى المنطقة التي سيطر عليها الحيثيون ايام امبراطوريتهم (قرقيش وموكيش وكانت لاتزال فى أيدى أسر ذات اصل حيثى (قرقميش وخاتينا) .

وحدث أن انقطعت وثائق بلاد الرافدين عن ذكر سوريا لفترة طويلة ، ولكن حينما بدأت التقارير تشير إليها مرة أخرى فى عهد اشور — ناصر — ابال الثانى

---

(١) يوضح لنا نقش من عهد رمسيس الثالث عبور واقامة شعوب البحر فى أمورو — وا لحق بها من دمار بعد ذلك ، قارن ،

W. Edgerton & J. Wilson,
Historical Records of Ramses III (Chicago, 1936), p. 53.

2. E.F. Weidner, "Die Feldzuge Und Bauten Tiglatpilesers I "AFO 18. (1957-8), 343 F. (11.16-24).

3 Ibid. 344 (11.26-8).

(٨٨٣ — ٨٥٩ ق . م) فان سورة الموقف قبل عام ١٢٠٠ ق . م كانت لاتزال تحتفظ بملامحها . ففى فترة من حوليات هذا الملك نلاحظ أن « اموررو » استخدمت بمعنى محدد تشير إلى منطقة بين بيلوص وأرواد ، على الرغم من ذكر الكلمة بمعناها العام الذى يشير إلى سوريا كلا فى نفس الوقت . فيقول الملك : « وصعدت إلى بلاد أمورو وغسلت أسلحتى فى البحر العظيم وقدمت القرابين للالهة وتسلمت الجزية من ملوك البلاد الساحلية ومن صور وسيدون وبيلوص وماخالاتا وما يصا وكايصا وأمورو وارواد التى فى وسط البحر . وتسلمت فضة وذهبا وقصديرا وبرونزا ٠٠٠٠ جزية منهم »[١] وأياما كان الأمر ففى نقوش اشور ـ ناصر ـ أبلى الثانى وشلمنصر الثالث (القرن التاسع قبل الميلاد) ثم بعد ذلك فى نقوش إداد ـ نيرارى الثالث وسرجون الثانى وسنحاريب (القرن الثامن قبل الميلاد) . نجد أن الاسم « أمورو » استخدام بصفة عامة ليعنى كل منطقة سوريا — فلسطين . فهنا يصف الأسم منطقة ذات تركيب سياسى وجغرافى كما هو واضح من تعبيرات مثل « ملوك أرض أمورو جميعهم و « أمورو كلها » و « أرض أمورو الواسعة » . وحينما توضح هذه الاصطلاحات بقوائم منفصلة بالبلاد التى تضمها ، نجد أن كل هذه البلاد تقع فى المنطقة بين الفرات وحدود مصر . ويتضح لنا ذلك من نص من عهد شلمنصر الثالث حيث أعتبر ملوك خاتينا وقرقيش وسمال وبيت — أجوزى وكوموه (أى ملوك شمال سوريا من الأراميين وملوك العصر الحيثى الحديث) « ملوك أمورو »[٢] وفى نص من عهد سناخريب نجد أن ملوك سيدا وارواد وبيلوص الفينيقيين وكذلك ملوك أشدود وعسقلان الفلسطينيين وملوك بيت ـ عون ومؤاب وأدوم ، قد أطلق عليهم « ملوك أمورو » أيضا[٣] وأخير بذكر سرجون الثانى عبارة « دمشق من أرض أمورو » و « خاتى

1. Cf. L.W. King, Annals of the Kings of Assyria, i (London, 1902), pp. 372 F. (iii 85-8).
2. D.D. Luckenbill, ARAB, i. 601.
3. D.D. Luckenbill. The Amnals of Sennacherib (Chicago 1924), p. 30 (11.50-64).

من أرض أمورو »[1] الأمر الذى يوحى بأن الكلمة « خاتى » كان لها فى ذلك الوقت معنى أكثر تحديدا . ونعرف من نص من عهد سناخريب شيئا عن لغة أمورو فيه يقول « بنيت رواقا ، كان مثل قصر حيثى والذى يسمونه فى لغة أمورو « بيت ـ خيلانى »[2] ولم يستخدم الملوك الأشوريون المتأخرون الاصطلاح « أمورو » الا قليلا وفى تعبيرات نمطية لا تعنى كثيرا من وجهة النظر الجغرافية . فيما هو أسار حدون يلقب نفسه « ملك سوبارتو وأمورو وجوتيوم وبلاد خانى العظيمة ... ملك ملوك دلون وماجان وملوخا وملك اجزاء العالم الأربعة »[3] ويروى آشوربانيال أن شمش شوم ـ أوكين ملك بابل تحالف مع « ملك جوتيوم وأمورو وملوخا »[4] وكانت جوتيوم وما جان وملوخا مثل آمورو مسميات لها معنى محدد فى الماضى ولكنها اصبحت الأن تستعمل لتشير بطريقة مجرده إلى « جزء من العالم » أو لتدل على كيانات سياسية جديدة لا تمت لها بأى صلة ، كأن تشير « جوتيوم » إلى الميديين و « ملوخا » إلى مصر .

أنهم المنجمون ومفسرو النبوءات الذين ابقوا على هذه الاصطلاحات القديمة وحاولوا أعادة تفسيرها واطلاقها على الكيانات السياسية القائمة . وبما أنهم كانوا يستخدمون اصطلاحات جغرافية ـ كونيه قديمة مجردة وجدوها فى مجموعة نصوصهم الكهنوتية التى أنحدرت إليهم من المأثورات القديمة، فكان لزاما عليهم أن يطلقوها على مدلولات « حديثة » حتى تناسب الكيانات العصر الذى يعيشون فيه ومن ثم يتحتم على الملك تعميم استخدامها . وفى بعض الحالات

---

1. ARAB, ii, §§ 6,9.
2. D.D. Luckenbill, The Annals of Sennacherib, 97 (1.82)
3. R. Borger, Die Inscriften Asarhaddons Königs Von Assyrien (Graz, (Graz, 1956), p. 80 (11.27-9).
4. ARAB, ii, § 789.

تـكون عملية اطلاق الأصطلاح القديم على مدلول حديث سهلة واضحة إذا ماوجد توضيح له مثل ماجاء فى عبارة « ـ الأومان ـ ماندم الـكيميريون » . أما فى الحالات الأخرى التى تخلو من أى توضيح فيصبح من الصعب معرفة معناه الدقيق . وتتجلى هذه الصعوبة فى معرفة معنى الاصطلاح « أمورو » الذى غالبا مايذكر فى التقارير المتعلقة بالتنجيم لأنه دائما مايستخدم حينما يراد التعبير عن جهة الغرب وذلك بأعتباره أحد أجزاء العالم الأربعة [١] . ولهذا السبب يصعب معرفة ما يقصد به من استخدام هذا الأصطلاح الذى ورد فى التقارير التى قدمت لاسار حدون وأشور بانيبال والمليئة بالاشارات الخاصة بعبير « ملك أمورو » . فتذكر أحدى هذه التقارير : « أن خسوف القمر الذى حدث فى شهر كانون يخص أمورو فملك أمورو سيموت وبلاده ستتكمش أو تتحول إلى خرائب . أما بالنسبة لأمورو ، فسيخبر الخبراء الملك سيدى أن أمورو هى خاتى أو سوتو أو خالديا ، فأحد ملوك خاتى أو خالديا أو العرب سيتحمل (نتائج) هذه النبؤه » [٢] .

فالتعريف الذى يمـكن استنتاجه لـكلمة أمورو من هذه النبوءة أنها تعنى البدو الرحل الذين كان الغرب موطنهم الأصلى أى الأراميون (السوتو) والخالديون (بالرغم من وجودهم فى الجنوب) والعرب . ولـكن هذه التعريفات غير دقيقة من وجهة النظر التاريخية لأنها تظهر نوعا من العلاقة النمطية بين الأموريين القدماء والشعوب التى تمر الآن بدور تاريخى مماثل .

ولعل هذا التحول التدريجى فى استعمال كلمة « أمورو » بمعناها القديم لتعبر عن حقيقة كونيه فضلا عن حقيقة جغرافية ، صحبة بالضرورة ظهور

---

1. R. Campbell Thompson, The Reports of the Magicians and Astrologers of Niniveh, and Babylon (London, 1900 No. 268, obv. 11-12.)
2. ANET, p. 626.

اصطلاح آخر يعبر عن سوريا كـكل . ذلك الاصطلاح هو « خاتى » الذى أصبح يستخدم ليشير إلى كل المنطقة الممتدة من الفرات إلى الحدود المصرية بعد أن فقد ما كان يعنيه فى النصوص الأشورية المتأخرة ونصوص الإمبراطورية البابلية الجديدة (من القرن الثامن إلى السادس ق . م) أى شمال سوريا . وهناك نص من عهد بنوخذ رزار ــ يقول فيه : « أن حكام بلاد خاتى فيما وراء الفرات حيث تغرب الشمس أحضروا كتلا ضخمة من خشب الأرز من جبال لبنان إلى مدينتى بابل » [1] من نقوش نابونيد تشير كلمة « خاتى » إلى كل النصف الغربى من الامبراطورية البابلية فى مقابل أكد التى تشمل النصف الشرقى منها . وفى أحد نصوص هذا الملك كتب يقول : « لقد جعل شمش شعب أكدو خاتى موالين لى قولا وقلبا ... لقد جمعت سكان أكدو خاتى الذين تمهدنى بهم الاله سين ملك الآلهة من حدود مصر على البحر الأعلى (البحر المتوسط) إلى البحر الأسفل » [2] وظل الأصطلاح « خاتى » يستعمل كثيرا فى مدونه من العد الفارسى ليدل على منطقة سوريا وفلسطين التى وصفت باتساعها حيث امتدت من قرقميش إلى الحدود المصرية متضمنة حماه وعسقلان والقدس كما كانت تحدها الصحراء المأهولة بالعرب [3].

وفى منتصف الألف الأول قبل الميلاد حل الاصطلاح « خاتى » نهائيا محل « أمورو » ليعبر عن منطقة سوريا وفلسطين . وإذا كان قد جاء فى نقش من عهد كيروس (٥٣٩ ــ ٣٥٠ ق . م) . ذكر « لملوك أمورو الذين يعيشون

---

1. S. Langdon, Die neubabylonischen Königsinscriften (Leipzig, 1912), pp. 148 f. (iii. 8-18).

2. C.J. Gadd. "The Harran Inscriptions of Nabonidus", Amat. Stud. 8 (1958), 60 ff.

3. D.J. Wiseman, Chronicles of Chaldean Kings (London, 1961), pp. 66-75.

فى خيام » (١) فإن ذلك ذاك احتمالا لم يكن الا آثار ذكرى بقيت على مر الايام . ولكن لا يمكن أهمال الاحتمال بأنه يشير إلى شعب رحل جديد كان يقطن فى فى الغرب أو مرب كما جاء فى تأويل مفسرى الكهانات :

الأموريون فى العهد القديم .

ويظهر الأموريون فى العهد القديم وكأنهم يحتلون جزء أمن بلاد يهوذا كما يحتلون كذلك جزءا من منطقة شرق الاردن (٢) حيث كانت لهم مملكتين ، أحدها مملكة سيحون وتقع بجانب الاردن من أرنون (وادى مؤاب) إلى يبوق (وادى الزرقاء) ومن الاردن إلى الصحراء (٣) والأخرى مملكة عوج ملك باشان من يبوق حتى جبل حرمون (جبل الشيخ) (٤) ويرى البعض أنه حينما دخل الخابيرو إلى فلسطين وجدوا الأموريين يشغلون جانبا منها وأن مراكزهم تغيرت بتغير الزمن ، بل يذهب إلى أنه ربما كانوا يمثلون فى مرحلة من المراحل الطبقة الحاكمة فى الجنوب قبل دخول الإسرائيليين وأنهم كانوا يسيطرون فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد على المواقع الهامة فى سوريا الجنوبية حتى وقفوا فى وجه الاسرائيليين وحالوا دون تقدمهم فى المراكز التى تطورت فيما بعد إلى تلك المدن الكنعانية ذات الاسوار المنيعة (٥) . وتذكر أحدى الروايات التى يوردها سفر العدد (٢١:٢٥) كيف دخل الاسرائيليون أرض الميعاد بعد أن أرسلوا رسلا إلى سيحون ملك الأموريين لطلب المرور فى أرضه ولكنه يخرج إليهم ويحاربهم

---

1. F.H. Weissbach, Die Keilinscriften der Achämeniden (Lipzig, 1911), pp. 6 f. (11.29-30).

(٢) تكوين ١٤ : ٧ ، يشوع ٢٤ : ١٨ ، عدد ١٣ . ٢٨ ، ٢٩

(٣) قضاة ١١ : ٢٢

(٤) تثنية ٣ : ٤ ، ٨ وأيضا ، محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم — إسرائيل (القاهرة ١٩٧٣) ص ٣٣٢ .

(٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٠ .

ويغلبونه ويمتلكون أرضه من أرنون إلى بنى عمون « فأخذ اسرائيل كل هذه المدينة وقام اسرائيل فى جميع مدن الأموريين فى حشبون فى كل قراها » ثم صعدوا فى طريق باشان حيث لاقاهم مليكها عوج ولكنه هزم على يد الاسرائيليين كصاحبه سيحون ملك الأموريين الساكن فى حشبون وارتحل بنو اسرائيل بعد ذلك إلى عربات موآب من عبر اردن أريحا .

وكما تصور لنا عبارات العهد القديم لم يكن الأموريون وحدهم سكان « أرض الميعاد » بل شاركهم فى سكناها شعوب أخرى : « غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب والحيثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون فى الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الاردن » (١) .

ولقد ورد فى سفر عاموس (٢ : ٩ ، ١٠) شيئا عن وصف الأموريين هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة : « وأنا قد أبدت من أمامهم الأمورى الذى قامته مثل قامة الأرز وهو قوى كالبلوط . . . » ومن هذا الوصف يمكن القول أنه فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد (٢) أصبحت ذكرى هذا الشعب وكأنها ظلال باهتة تنتمى إلى ماض اسطورى رجاله عمالقة لا يمكن التغلب عليهم إلا بتدخل إلهى مباشر . ولكن يبدو أن الاصطلاح « أمورو » فى أيام عاموس لم يكن له مفهوم محددا إذا ما طبقناه على الواقع المعاصر وظل مجرد تسمية عرقية للشعب الذى يسكن كل منطقة سوريا وفلسطين ولكن الاعتقاد الذى مازال سائدا أنه فى زمن سابق قبل غزو القبائل الاسرائيلية « لأرض الميعاد » كان هذا الاصطلاح يشير إلى شعب معين يعيش فى هذه الأرض مع

---

(١) عدد ١٣ : ٢٨ ، ٢٩

(٢) عن مراحل كتابة العهد القديم ، أنظر : محمد بيومى مهران : اسرائيل ص ٢٤ — ٤٨

شعوب أخرى كثيرة . ولعل ذكرى الخصائص المميزة لهذه الشعوب قد دخلت فى نطاق النسيان تقريبا وأصبح من الصعب تحديد مكانهم التاريخى فى سياق أحداث العهد القديم . ولم يعد فى مقدرة المؤرخين المحدثين التمييز بين العناصر الاسطورية الخالصة والعناصر التى يمكن ربطها بالحقائق التاريخية داخل الشعوب التى سكنت فلسطين قبل الغزو الاسرائيلى ، ولامعرفة التغييرات التى حدثت أثناء عملية الأنتقال التاريخى . وأياما كان الأمر ، فإن اكتشاف نصوص معاصرة وأقدم عهدا فى مناطق أخرى من الشرق القديم قد ساعد - إلى حدما - فى أعادة البناء التاريخى لبعض هذة الشعوب — خاصة الأموريين - ووضعها فى اطار تاريخى محكم ، كما أصبح فى الأمكان معرفة المعانى المحددة لمدلولات العهد القديم .

وكثيرا ما أدى عدم فحص النصوص بعين النقد إلى سطحية الفهم التاريخى التى تؤدى إلى أن ننسب إلى الأموريين المذكورين فى العهد القديم خصائص الأموريين المذكورين فى النصوص الأخرى . وبهذا تتكون لدينا صورة زائفة عنهم تشبه تماما الصورة التى تبدوا أمامنا الأن إذا مانسبنا إلى الرومان القدماء خصائص الرومانيين المعاصرين أو إلى الفرنجة صفات الفرنسيين . ولعل لب المشكلة ينحصر فيما إذا كان من الممكن ايجاد توافق تام بين الاسم والمجموعة البشرية التى تمثله ، فمن الواضح أن هذا التوافق كان موجودا فى التاريخ القديم الذى كان يتسم بأهتمامه بالاسماء والمسميات . لقد أخذ المؤرخون القدماء ، الذين حاولوا فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد رسم صورة للكيان السياسى والبشرى فى فلسطين أبان الغزو الاسرائيلى لها ، اسم الأموريين من المأثورات القديمة وكان لا ينازعهم شك فى أنه ينطبق على مجموعة بشرية بعينها . فحينما وجد هؤلاء المؤرخون أن ما قدمته المأثورات القديمة من أسماء كان كثيرا ومتداخلا ، لجأوا إلى حل هذه المشكلة

بأن اعتبروا أن كل اسم ينطبق على مجموعة بشرية مستقلة ونتيجة لذلك تنوعت العناصر البشرية فى فلسطين قبيل الغزو الاسرائيلى فنجد فيها القينيون والقنزيون والقدمونيون والحيثيون والفرزيون والرفائيون والاموريون والكنعانيون والجرجاشيون واليبوسيون .[1] هذه الشعوب أدعى هؤلاء المؤرخون أن الغزو الاسرائيلى اكتسحها فى طريقه حينما اقتحم فلسطين .

ولفترة طويلة قبل العلماء المحدثون هذا الرأى القديم بدون مناقشة وهو أن الأموريين والكنعانيين وغيرهم كانوا شعوبا متباينة عاشت فى فلسطين قبل الاسرائيليين . زيادة على ذلك اعتقدوا أن هذا التنوع يعزى أما إلى لغة هذه الأقوام المشتقة من أصول لغوية مختلفة كما فى حالة الحيثيين أو إلى أنهم ينتمون إلى الموجات السامية المختلفة التى وفدت على فلسطين من الصحراء السورية ـ العربية حوالى عام ٣٠٠٠ ، ٢٠٠٠ ق . م كما فى حالة الكنعانيين والأموريين وكلاهما شعب سامى من الشمال الغربى .

ولكن فى الوقت الحاضر أصبح الرأى لايميل إلا الاعتقاد بأن استبدال الشعوب يسايربالضرورة استبدال اسمائهم . ولم يعد مقبولا أيضاأن نشأة مجموعة بشرية يتوافق بالضرورة مع أول استخدام لاسم محدد لها ، أو أن هذه المجموعة البشرية لم يعد لها وجود بمجرد أن بطل استعمال الأسم الدال عليها . واليوم هناك إدراك كبير بأن تاريخ أى أسم بشرى ـ جغرافى يمكن أن يتطور بطريقة خاصة مبتعدا بنفسه عن تاريخ وحده بشرية معينة وأن هذا يعتمد أساسا على حقائق حضارية تتطور طبقا لمؤثرات خارجية وتغيرات داخلية . أما بخصوص الأموريين فقد أصبح واضحا الآن أن اللهجة « الكنعانية » ماهى الا اشتقاق محلى من « الأمورية » وأن العناصر الحضارية التى قدمتها لنا الآثار والمرتبطة

(١) تكوين ١٥ / ١٩ ـ ٢٠ ، وهناك قوائم أخرى مختصرة وذات ترتيب مختلف ، قارن :

F Böhl. Kanaanäer Und Hebräer (Leipzig, 1911), pp. 63 F.

بالـكنعانيين (العصر البرونزى المتأخر فى سوريا وفلسطين) ماهى إلا تطور على لعناصر حضارية ترجع أصولها إلى الأموريين (العصر البرونزى المتوسط فى سوريا وفلسطين ، وعلى ذلك يجب عدم اعتبار الأموريين والـكنعانيين شعبين منفصلين بسبب الأصل أو الحضارة أو تاريخ الهجرة . كما يجب أن نسلم بأن كلمة « كنعانى » بدأت ـ تستعمل على الأقل منذ منتصف الألف الثانى قبل الميلاد لتشير ـ على الأقل جزئيا ـ إلى ذلك الشعب الذى كانت تدل عليه قبلا الـكلمة « أمورى » . وأياما كان الأمر فالموقف لم يعد بعد سهلا حيث أن كلا الاصطلاحين يدلان أيضا على منطقتين محددتين متزامنتين ، وأن استخدام كلا الاصطلاحين استمر لفترة طويلة مع التعديلات الحتمية الناتجة عن التغيرات فى الحقل السياسى وعن تـكيف الاصطلاحين أحدهما بالآخر .

وبعد هذا الذى قدمنا من فحص تاريخى للمصادر التى تداولت ذكر الأموريين ، أصبح فى الأمكان تناول ماجاء فى العهد القديم عن الأموريين على أساس ثابت . وأول مانلاحظه أن معنيين من المعانى الأربعة لـكلمة « أمورو » لايتفقان مع عبارات العهد القديم . فالمعنى الأصلى لهذه الـكلمة الذى يدل على أن الأموريين شعب سامى كان يسكن فى الشمال الغربى بين الألف الثالث والثانى قبل الميلاديعيش جزء منه مستقرا فى سوريا بينما الآخر رحل فى حركة دائبة صوب بلاد الرافدين ، هذ المعنى يبدو واضحا بعده زمنيا عن نصوص العهد القديم التى دونت بعد ذلك بالف عام . فالعلاقة هنا تشبه العلاقة بين الرومان والرومانيين المذكورة آنفا حيث أنها علاقة لغويه ولـكنها متغيرة من وجهة النظر التاريخية . كذلك الحال بالنسبة لمعنى « أمورو » الذى يدل على جهة « الغرب » حيث أنه يعبر فقط عن وجهة نظر سكان بلاد الرافدين وليست وجهة نظر سكان فلسطين التى يحدها البحر غربا أما المعنيان الأخران اللذان يدلان على أن « أمورو » دويلة ثم منطقة معينة فى سوريا شمال بباوص وعلى أنها اسم عام لسوريا وفلسطين ، فإنهما ، على العـكس ، متشابهين مع الاستعمال المستخدم فى العهد القديم

ويمكن أن يساهما فى أيضاح مفهوم الكلمة الصحيح .

فمعنى « أمورو » كمنطقة معينة شمال بيلوص هو نفس المعنى الذى نتبينه من نصوص العهد القديم القديمة ، حيث أن هذا المعنى ، الذى كان شائعا فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر (حينما كان هناك كيان سياسى ينطبق عليه هذا الأسم) كان لايزال مستعملا أيام تيجلات بيلزر الأول (حوالى ١١٠٠ ق. م .) وأحيانا أبان عصر آشور ـ ناصر ـ ابلى الثانى (حوالى ٨٥٠ ق . م .) ثم بطل استخدامه نهائيا بعد ذلك . وبالنسبة للتاريخ الأسرائيلى ، فقد كان هذا هو المعنى السائد أيام غزو « أرض الميعاد » ولعل حدود أرض كنعان المذكورة فى سفر يشوع (١٣ : ٤ ـ ٥) : « من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التى للصيد ونيين إلى أفيق (أى) إلى تخم الأموريين. وأرض الجبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى لبوا ـ حاه »[1] ترجع صدى الموقف خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر أى العصر الذى تشير إليه هذه الفقرة . فأمورو هى المنطقة شمال افيق (أى شمال نهر الكلب) وجنوبها مملكة بيلوص وأرض كنعان ، كما أن الطرف الشرقى لحدودها يعتبر صحيحا أيضا حيث أن لبوا ـ حاه مكان فى منطقة غابات تمثل الحدود بين البقاع ومنطقة قادش على نهر الأورنت[2] . فهذا الخط الممتد من افيق إلى لبوا ـ حاه يمثل الحد بين ولاية كنعان المصرية (با كنعن) ومملكة أمورو التابعة للحيثيين . ولقد كان هذا الحد ضروريا بين عالمين يختلفان عن بعضهما سياسيا منذ حملات سوبيلوليوما (حوالى ١٣٧٠ ق . م) حتى غزو شعوب البحر (حوالى ١١٩٠ ق . م) .

1. Cf., in general, Y. Aharoni, The land of the Bible London, 1966), pp. 66 F., 21 6 F.

(٢) وهذه هى « غابة لبوا » المذكورة فى نصوص امنحتب الثانى (Anet, p. 246) وفى نصوص رمسيس الثانى (J. Brestead, Ancient Records of Egypt, iii (Chicago, 1906), § 340.

وتعتبر هذه الفقرة من سفر يشوع الوحيدة التى تشير فيها كلمة « أمورو » إلى منطقة أمورو (بمعناها المحدود) التى كان لها نشاطها أيان العصر البرونزى المتأخر . والأمر يختلف تماما فى كل الفقرات الأخرى من العهد القديم حيث استخدمت هذه الكلمة أما بصورة عامة أو لتشير إلى مناطق معينة لم تكن لها صلة بالاسم « أمورو » فى المصادر الأخرى . كما نلاحظ غموض الاشارات العديدة إلى هذا الأسم والموجودة فى القوائم النمطية لسكان فلسطين قبل مجئ الاسرائيليين فالاصطلاح « آمورى » يظهر فيها دائما بسبب ذيوع شهرته بالمقارنة بالاصطلاحات الأخرى الأقل شهرة .

كما أن هذه القوائم لاتمدنا بمعلومات محددة بل تفصح عن جهل كبير بالموقف البشرى والسياسى فى فلسطين قبل الغزو الاسرائيلى . بالاضافه إلى هذا فإن « قائمة الأمم » التى جاءت فى سفر التكوين (١٠ : ١٦) والتى ذكرت أن « الأمورى » أحد ابناء « كنعان » يتضح أنها موضوعة بغرض ايجاد تفسير رمزى للعلاقات التاريخية . وعامة أيضا الاشارات الأخرى عن الأموريين التى تجعلهم الممثلين الوحيدين للشعوب التى سكنت فلسطين قبل الاسرائيليين كما فى سفر التثنية (١ : ٤٤) : « فخرج الأموريين الساكنون فى ذلك الجبل للقائكم وطردوكم كما يفعل النحل وكسروكم فى سعير إلى حرمه » . وأيضا فى سفر التكوين (٤٨:٢٢) « وأنا قد وهبت لك سهما واحدا فوق احوتك أخذته من يد الأموريين بسيفى وقوسى » وأيضا فى سفر يشوع (١٠:٥) : « فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموت وملك لخيش وملك عجلون وصعدوا هم وكل جيوشهم ونزلوا على جبعون وحاربوها » . وتعتبر هذه الاشارات من أصدق ماذكر عن الأموريين حيث أنها تعكس المعنى الحقيقة للكلمة . وقد يبدو فى أول الأمر أن هناك اشارات أخرى أكثر تحديدا تتضمن تلميحات عن مناطق أمورية ذات خصائص بيئية وطبوغرافية معينة ومن نوع هذه الاشارات تلك التى تبين علاقة الاموريين بالجبال والتى نجدها فى سفر القضاة

(٣٤:١) وفى سفر يشوع (٣:١١) وفى سفر العـدد (١٣ : ٢٩) حيث ترد بصورة واضحة : « العمالقة ساكنون فى أرض الجنوب والحيثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون فى الجبل والـكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الاردن » . ومن نوع هذه الإشارات أيضا تحديد شرق الاردن كـكان لموطن الأموريين وبصفة خاصة اعتبار الملـكين عوج وسيحون ، اللذين كانت لهما مملـكتان فى شرق الاردن ، أموريين ، وقد تكرر هذا التعريف كثيرا فى نصوص العهد القديم مما أضفى عليهما شهرة لاتتناسب مع المأثورات التى انحدرت منها إلينا . ولـكن الصورة التى تمدنا بها هذه الاشارات خادعة حيث يبدو أنها لاتزال تحتفظ بذكرى مواطن الأموريين الحقيقية . ولـكن الأمر الذى يجب إدراكه أنه فى حالة تحليل الحالات التى ظهرت فيها الـكلمة « أمورى » يجب الربط بينها وبين استعمال الاصطلاحات الأخرى وخاصة الاصطلاح « كنعانى ».

ولـكن السؤال الذى يطرح نفسه بعد ذلك هو لماذا استخدم مؤلف فقرة معينة من العهد القديم الـكلمة « أمورى » بدلا من الـكلمة « كنعانى » (وهى البديل الرئيسى لها) ؟ ولعل ما نجيب به على هذا السؤال هو أن استخدام اصطلاح دون آخر إنما يرجع إلى تفضيل المؤلف أو المأثورات التى أعتمد عليها لهذه الـكلمة عن تلك . فمن الثابت بصفة عامة أن المأثورات الالوهيمية فضلت استخدام الـكلمة « أمورى » بينما فضلت المأثورات اليهوية الـكلمة « كنعانى » [1] وقد يـكون السبب فى ذلك أيضا أن الاصطلاح « أمورى » اطلق تفضيلا على كيانات جغرافية لايلائمها الاصطلاح « كنعانى » وهـذا واضح فى حالة شرق الأردن لأن حدود كنعان هى فى نفس حدود كنعان الولاية المصرية فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد والتى لم تمتد ابعد من نهر الاردن (ربما باستثناء منطقة باشان) والتى تتطابق مع المنطقة التى كان يقطنها سكان مستقرين آبان العصر

---

1. J. Van Seters, The Terms “Amorite” and “Hittite” in the Old Testament, VT, 22 (1972), 64-81.

البرونزى المتأخر (١) . لذلك بقى الاصطلاح « كنعانى » ليطلق على الأردن والمنطقة الساحلية واصبح الاصطلاح « أمورى » الوحيد المتاح الذى يشير بطريقة عامة إلى سكان شرق الاردن قبل مجىء الاسرائيليين ولكن هذا من الناحية الشكلية فقط (٢) . وبطريقة مماثلة يمكننا أن نفسر علاقة الاموريين بالجبال ، حيث أن اسلوب الاستقرار الذى يميز العصر البرونزى المتأخر يمكن فى تركز السكان فى الوديان وعلى الساحل (٣)، وبذلك تركزت المدن « الكنعانية » بصفة عامة فى هذه المناطق دون الجبال التى كان أكثر سكانها رعاة متفرقين أقرب بأن يكونوا الورثة المباشرين للشعب الأمورى القديم . ومما يثير الاهتمام أن مملكة أمورو فى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد كانت تختلف عن الممالك الكنعانية فى الوديان والساحل بكونها مملكة رعويه بعيدة عن حياة المدينة .

ومن الصعوبة بمكان رسم صورة دقيقة عن الأموريين فى العهد القديم حيث أن استخدام الاصطلاح « أمورو » ظل فى معظم الحالات غامضا ومتغيرا خاصة أبان الوقت الذى بدأ كتاب العهد القديم فى استخدامه . ولكن هناك حقيقة هامة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار لانها تضع الأموريين فى مكانهم الصحيح وتصلح لكل أشارات العهد القديم التى ورد فيها ذكر الأموريين . فحيثما يشير العهد القديم إلى الاموريين ، يكون الحديث دائما عن الماضى لأن الحاضر يعرف فقط الفلسطينيين والاراميين والمؤابيين والأدوميين والصيدونيين والأشوريين والمصريين ولايعرف الأموريين الذين كانوا لايمثلون واقعا تاريخيا فى الوقت

---

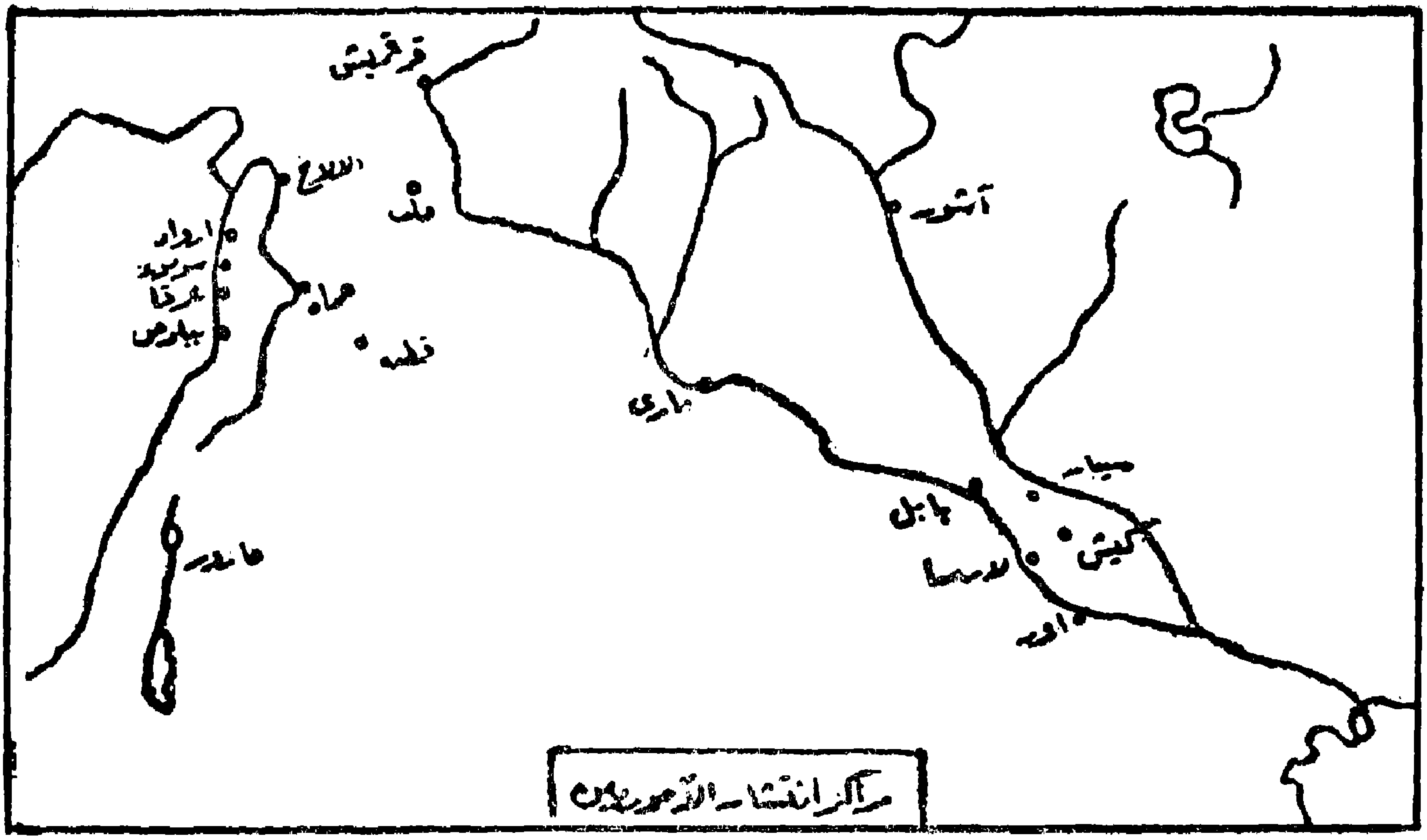
1 Y. Aharoni, op. cit. 61-70.

(٢) وإن تعريف الملكين عوج وسيحون بأنهم « أموريين » ليس قاطعا مثل إطلاق نفس هذا التعريف على ملوك عمون ومؤاب وادوم فى نقوش سنا خريب :

J.R. Barlett. "Sihon and Og, Kings of the Amorites", VT 20 (1970), 257-77.

3 Y. Aharoni, op. cit. Passim.

الذى كتبت فيه نصوص العهد القديم . وهكذا لم تعرف اسرائيل الأموريين فى تاريخها الحقيقى كما لم تشهد أى كيان بشرى أو سياسى أمورى ولـكن وضعتهم فى عصر سابق لوجودها جاعلة منهم أحد العناصر الأساسية فى التـكوين السكانى لفلسطين قبـل الغزو الاسرائيلى لها ، أى فى الوقت الذى يمـكن أن تعتبره بداية تاريخ اسرائيل ، وجاعلة منهم أيضا أحـد العناصر التى اكتسحها الغزو الاسرائيلى فى بداية « التاريخ » .



مراكز انتشار الأموريين

الفصل الثانى

الكنعانيون

الكنعانيون

كان الكنعانيون الذين أطلق عليهم اليونان أسم الفينيقيين ثانى جماعة سامية لعبت دورا هاما فى تاريخ سوريا بعد الأموريين . وينتسب الكنعانيون والأموريون إلى موجة الهجرة نفسها ولذلك فإن الاختلاف العرقى بينهم معدوم وأن كانت بعض العناصر السومرية والحورية قد أندمجت بالتدريج مع الأموريين فقد أندمجت بعض العناصر المحلية الأخرى مع الكنعانيين . ولقد نشأ الأختلاف الحضارى بين العنصرين بسبب المركز الجغرافى الذى احتله كل منهما ، فبينما كان مركز الأموريين الأصلى شمال سوريا مما جعلهم يتعرضون لتأثيرات سومريه بابلية ، كان مركز الكنعانيين فى الساحل الأمر الذى سهل اتصالهم بمصر . وبالاختلاف الدينى كان إلى حد كبير اختلافا فى التطور والتكيف أوحت به البيئة المحلية ، كذلك كان الاختلاف اللغوى اختلافا فى اللهجة فقط بأعتبار أن اللغتين كانتا من الفرع السامى الغربى الذى يضم اللغة العبرية أيضا وهذا الفرع نفسه يمكن تسميته بالشمال الغربى لتمييزه عن الجنوبى الغربى الذى يضم اللغة العربية (١) .

وستتناول هذه الدراسة تاريخ الكنعانيين وحضارتهم منذ البداية حتى نهاية العصر البرونزى حوالى ١٢٠٠ ق . م . وبالرغم من أن الفينيقيين كانوا امتدادا للكنعانيين فى العصور التى تلت ذلك ، الا أنهم بدأوا يتميزون بأسمهم الجديد خلال النصف الأخير من الألف الثانية ق م وبنشاطهم البحرى والتجارى حتى بلغوا ذروة مجدهم فى بداية الألف الأولى ق . م حينما انتشر نفوذهم فى حوض البحر المتوسط وأقاموا مستعمراتهم على سواحله . هذا بجانب أن الواطن

(١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين حـ ١ ص ٨٥ (بيروت ١٩٥٨) .

التى استقر فيها الـكنعانيون تمتى مواضع غير التى استقر فيها الفينيقيون (١).

ومن الصعب علينا تـكوين صورة حقيقية عن الـكنعانيين فى غياب وثائق كافية من المصادر الـكنعانية الأصلية . فليس هناك شىء يمكن للباحث أن يقول عنه لأول وهلة أنه كنعانى ، كما أنه لايوجد أى أثر واضح لأى ملامح حضارية كنعانية قديمة مميزة . فلا يعرف عن الشعب الـكنعانى أنه كان لديه مدينة أو الها رئيسيا يحمل اسمه (مثل آشور أو سبأ) أو حضارة أو تاريخ مستقل . كما أنه لم يترك طابع الحـكم الاستعمارى فى البلاد الأخرى . ونتيجة لذلك فإن معلوماتنا عن الـكنعانيين ومحاولة إفراد سمات حضارية وتاريخية خاصة بهم تعتمد أساسا على ملاحظات الشعوب الأخرى عليهم .

لقد كان العهد القديم إلى عهد قريب أهم المصادر عن الـكنعانيين حيث ترك لنا الاسرائيليون روايات عدة عن الأحداث التى ألمت بالشعوب التى عاشوا بينها وكانوا معها على اتصال مستمر وعن عقائد تلك الشعوب خاصة . وإذا كان العهد القديم قد اهتم بوصف أرض كنعان وأمتدادها الا أنه لم يعط سكانها اهتماما كبيرا لم يتعد الإشارة إلى أنهم أناس أشرار يجب القضاء عليهم . ولـكن الوثائق الأخرى المدونة باللغة المصرية القديمة وباللغات الأخرى التى استخدمت الخط المسمارى تـكمل الوثائق العبرية فى أمدادنا ببعض المعلومات عن الـكنعانيين. وأهم هذه الوثائق هى تلك النقوش التى كشفت فى منطقة سوريا وفلسطين ومن المحتمل أن اقدم هذه النقوش هى النقوش السينائية التى يمـكن نسبتها إلى النصف الأول من الألف الثانى ق . م . ولـكن هذه النقوش غامضة (٢) .

---

1. Donald Harden, The Phoenicians (London, 1963), p. 15.

(٢) أنظر عن هذه النقوش عامة ، G.R. Driver, Semitic Writing, rev. ed. (London, 1954), pp. 95-98 and pp. 140-144.

ويعد المؤلف لغتها من اللغات السامية الشمالية الغربية لاسيما المجموعة الـكنعانية ويرى أن خطها قد يـكون حلقة الوصل بين الخط الهيروغليفى والأبجدية الفينيقية .

وأقدم النصوص التى ترجمت منها ترجمة يمكن التعويل عليها تنتمى إلى بداية النصف الثانى من الألف الثانى نفسه وهى الفترة التى ترجع إليها النصوص الوفيرة التى كشفت فى أوجاريت (رأس شمرة)(١) والتى تعتبر من المصادر الرئيسية التى ساهمت فى بناء التكوين التاريخى والحضارى للكنعانيين . وهذه المنطقة هى نفس المدينة القديمة التى تحدثت عنها الوثائق الفرعونية والبابلية والآشورية والحيثية بأسم « أوجاريت » ومنذ المرحلة الاولى من تلك الحفائر عثر على مقابر وفخار وتماثيل صغيرة وحلى بجانب مجموعة كبيرة من الاوحات المغطاه بكتابة مسمارية . وتجمعت من هذه الحفائر نقوش كثيرة بعضها مكتوب بالاكدية أو بالمصرية القديمة أو الحيثية أو الحورية ولكن الجانب الأهم كان منقوشا بخط مسمارى لايعتمد على آلاف من العلامات المقطعية كاللغة البابلية الآشورية وأنما يعتمد على ثلاثين علامة تتكرر فى جميع النصوص . وقد استنتج العلماء أن هذه الكتابة لابدأن تكون كتابة ابجدية وليست مقطعية كما اشتملت النصوص على علامات للفصل بين الكلمات التى كانت تتكون فى الغالب من ثلاثة حروف أو أربعة مما يوحى بأن اللغة قد تكون سامية وقد أستطاع بعض العلماء مثل فيرولود ورم وباور من فك رموز هذه الكتابة وقد أكدت صحة قراءة هؤلاء العلماء الحفائر التى قام بها شيفر عام ١٩٥٠ والتى امدتنا بوثيقة عبارة عن لوحة تعليميه تحتوى على هذه الابجديـــة المسمارية

---

(١) وهى منطقة أثرية تقع على بعد ١٣ كم إلى الشمال من ميناء اللاذقية بالقرب من مرفأ صغير يسمى « منية البيضا » وقصة العثور على النقوش الكنعانية فى هذه المنطقة تبدأ فى ربيع ١٩٢٨ حينما قامت فيها حفائر البعثة الفرنسية وعلى رأسها الأثرى شيفروكان عثوره على أول مجموعة هذه النقوش فى عام ١٩٢٩ ـ أرجع :

H.D. Del Medico, La Bible Cananéenne — découverte dans les textes de Ras Shamra (Paris, 1950) p. 11.

الكنعانية [١] كما أثبتت الحفائر المتعاقبة عمرانا بشريا فى هذه المنطقة منذ ماقبل التاريخ حتى عام ١٣٦٠ ق . م تقريبا حيث دمرت أوجاريت. [٢] والنقوش التى عثر عليها ترجع إلى حوالى ١٥٠٠ ق . م وهى عبارة عن أساطير وملاحم شعرية وأناشيد وصلوات دينية ولكن فى كثير من الاحوال بالطبع قد تكون الوثائق التى لدينا نسخا أو نشرات — جديدة من وثائق أقدم . وتوحى الينا هذه النصوص بأن محتوياتها لاتضم تراثا أوجاريتيا خالصا بل تمثل جانبا من التراث المشترك للحضارة الكنعانية ، فإذا اضفنا إلى هذا كله نقط الاتصال الكثيرة التى تربط النصوص الاوجاريتة بالعهد القديم ؛ تيسر لنا فهم الاهتمام البالغ الذى أثارته الكشوف ومدى أثارتها لانتباه العلماء [٣] .

وهناك أيضا معلومات يمكن جمعها من الآداب والوثائق التى خلفتها الامبراطوريات العظيمة التى قامت فى أرض الرافدين ومصر اللتين كانتا على صلة مستمرة بمنطقة آسيا وفلسطين التى تقع بينهما والتى اكتسحتها جيوشهما مرات عديدة وأهم مصادر أرض الرافدين فى هذه الصدد وثائق مارى الخاصة بالنصف الاول من الالف الثانى قبل الميلادوهى تمدنا بمعلومات كثيرة عن الدول والحكام فى أرض الرافدين والجزء الشمالى من سوريا ، أما النصف الثانى من الالف الثانى فلدينا رسائل العمارنة وهى لوحات مسمارية ترجع إلى القرنين الخامس

---

(١) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم (القاهرة ١٩٧١) ص ٥٥ ، ٥٦ ، أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم (القاهرة ١٩٥٨) ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) والرأى السائد أن المدينة خربت حوالى ١٢٠٠ ق م فى أواخر العصر البرونزى على يد أقوام البحر الذينجاءوا فى ذلك الوقت من سواحل الأناضول وجزر بحر أيجة وأغاروا على الشرق الأدنى كله . أنظر :

J. Gray, The Legacy of Canaan (Leiden, 1957), p. 1.

(٣) سبتينو موسكاتى ، الحضارات السامية القديمة ص ١١٨ من الترجمة العربية للسيد يعقوب بكر .

عشر والرابع عشر ق . م ومكتوبة باللغة الاكدية وهى عبارة عن مراسلات بعث بها إلى الفراعنة بعض ولاتهم وحكامهم فى سوريا وفلسطين وبعض ملوك بابل وآشور ومعظم هذه المراسلات تتحدث عن العلاقات السياسية بين هذه الاقاليم ومصر وعن وضع المدن المختلفة فى هذه الإقاليم . وفى هذه المراسلات الأكدية اللغـــة كان الـكاتب يضع من حين لآخر تفسيرا قصيرا باللغة الـكنعانية وهذه النصوص التفسيرية تعتبر من أقدم ما بين أيدينا من الـكتابات الـكنعانية (١)

وثمة مصادر مصرية هامة أخرى هى روايات الفراعنة عن حملاتهم العسكرية فى آسيا بل أن هناك نصوصا غير النصوص التاريخية تمدنا بمعلومات عن فلسطين وسوريا وهى النصوص المسماه « بنصوص اللعنة » التى تحوى أسماء ملوك أسيويين ودول آسيوية وترجع هذه النصوص إلى أول الالف الثانى قبل الميلاد وقد كتبت على تماثيل صغيرة كسرت لاغراض سحرية(٢) ونصوص الرحلات والمغامرات كقصة سنوهى التى تحوى صورا طريفة عن الحياة فى فلسطين وسوريا كما كانت تبدو فى نظر المصريين الذين كانوا اوفر حظا من الحضارة .

---

(١) حسن ظاظا . المرجع السابق ص ٥٤ .

(٢) ترجع شعائر تسمية الأعداء وتحطيمهم بـ « صب اللعنات » عليهم إلى الدولة القديمة فى مصر على الأغلب والدليل على ذلك عنوان احدى هذه التعاويذ فى متون الأهرام إذ تسمى « تحطيم الأوانى الحمراء » أما الأدلة الأساسية على هذا الاحتفال فهى القدور الفخارية الحمراء التى عثر عليها فى طيبة والتماثيل الصغيرة التى وجدت فى صقارة وترجع جميعها إلى عهد الدولة الوسطى وكان الملك يستخدمها عند القيام بمراسيم دينية وسحرية ليصب اللعنة على أعدائه الحقيقيين أو على من يتوقع منهم العداء وهى من نوعين : قدور من فخار احمر أو تماثيل انسانية صغيرة طينية غير متقنة الصنع وتكتب نصوص من نوع خاص على كل من النوعين كلاهما اللعنات ثم تحطم فى احتفال خاص حتى تتحطم كل معارضة للملك وهكذا فإن هذه النصوص التى كتبت من أجل القضاء على أعداء الملك لاتذكر الأخطار المعروفة فحسب بل الأخطار المحتملة كذلك (أنظر ، نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم حـ ٣ ص ٦١ هامش ١) .

معنى الأسم . كنعان :

فى عام ١٩٣٦ ربط E.A. Speiser اسم كنعان بالكلمة كينـاخو Kinahhu التى استخدمت كاسم صبغة فى نصوص يرجع تاريخها إلى حوالى ١٥٠٠ ق . م أتت من مدينة نوزى فى شرق العراق والتى كان يسيطر عليها الحوريون . وأستنتج أن هذا الأسم قد استخدم ليدل على الصبغة الارجوانية الصناعة الرئيسية فى كنعان[1] . وقد وافقه كثير من العلماء على هذا الربط بين الكلمتين خاصة Albright الذى أقترح أن الأسم نفسه صيغة حورية من الكلمة الاوجارتية iqna'u والتى تعنى « الاوجوان الازرق » وقد أفترض أخيرا وجود كلمة سامية Knc « كنع » تعنى « أرجوان » والتى منها اشتقت الكلمة « كنعن » Knc n أى « تاجر الارجوان » التى جاء الاسم كنعان منها[2] ثم يمضى هذا الفريق من العلماء ويؤكدون أنه حينما احتك اليونان بأهل هذه البقعة من العالم القديم اطلقوا على مجتمعاتها اسم فينكس Phoenix وهى كلمة تعنى الحمرة الارجوانية وقد اشتقت من هذه الكلمة اسم « فينيقيا » وهم بهذا يرون أن التسمية السامية القديمة اتفقت مع التسمية اليونانية فى أن تربط بين هذه الشعوب واللون الأحمر الارجوانى[3] .

حقيقة أن المدن الساحلية على شاطىء البحر المتوسط اشتهرت منذ عرفت

---

1. Language, 12 (1936), 124 F.
2. BANE, p. 356, n. 50.

(٣) أنظر على سبيل المثال : D. Harden, op. cit., p. 22; Moscati, The Semites, p. 83.

وكذا فيليب حتى : المرجع السابق ﺣ ١ ص٨٧ ، نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ﺣ ٣ ص ٤٨ .

بصناعة نوع من الصبغة الأرجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية رخوة تكثر قرب شواطئها ومن ثم اشتهرت نساء صور باستخدام الألوان الزاهية الجميلة وخاصة الحمراء التي كن يصبغن بها ما برعن في تطريزه من أقمشة (١) .
ولكن العلاقة بين الأسم « كنعان » واللون الأحمر الارجواني قد أصبحت أمرا مشكوكا فيه في ضوء الدراسة التي قام بها عالم الأشوريات B. Landsberger والتي استعرض فيها الكلمات السومرية والأكدية الخاصة بالصبغات المختلفة . لقد أوضح كيف أن الكلمة السومرية gin دخلت الأكدية في صيغة uqni— والأوجارتية في صيغة iqnu (كما ظهرت في السوريانية في صيغة qun' (a) بينما في اليونانية كتبت Kuavos ومنها اشتقت الصفة qinahhu التي ظهرت في لهجة مدينة نوزى التي يظهر فيها تأثير اللغة الحورية . وقد لوحظ أن هذه الكلمة تبدأ دائما وبصورة منتظمة بالحرف q وليس بالحرف K . كما لاحظ Landsberger أيضـــا أن صيغة النعت « كنعاني » لا يجب أن تكون كيناخي Kinahhi ولكن كيناخيو Kinahhiu أو كيناخايو Kinahhayu كما في الحالات الأخرى (٢) . ومن العلماء من يرجع الأسم إلى اصل حورى فيرون أنه مشتق من الصيغة الحورية Kinah بعد أن ـ أضيفت إليها أداة التعريف الجمع na (٣) ويعللون ذلك بأن ظهور الاسم يتفق مع زمن التوسع الحورى الكبير في سوريا وفلسطين (٤) .

ولكن يبدو أن ماذهب إليه الرعيل الأول من العلماء من أن الأسم كنعان ذا اصل سامى فيه شيء كبير من الصحة . . ففي رأى هذه المجموعة أن الاسم مشتق

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق حـ ٢ ص ٤٨

2. J CS 21 (1967), 166-7

2. A. Goetze, JCS 16 (1962), 52.

4. R. de Vaux, RB 74 (1967), 489-92.

من الـكلمة السامية « كنع » Kn c التي تعني « انخفض» أو « انحنى » أو « تواضع » في الآرامية وفي العبرية تعني أيضا « يكون وضيعا » أو « يكون خاضعا » وبذلك يعنى الأسم كنعان « الأرض المنخفضة تمييزا لها عن مرتفعات لبنان التي تقع في الداخل [1] ويؤيد هذا الرأى أن الأسم كنعان في المصادر الأولى التي يظهر فيها يشير إلى فلسطين والمنطقة الساحلية الجنوبية من سوريا [2] وبجانب هذا فإن الفحص الدقيق للعهد القديم يؤكد أن كنعان بمعناها الضيق أى المنطقة الساحلية هو الأقدم (تـكوين ١٠ . ١٥ ـ ١٩) وليس المعنى الشامل الذى يشير بصفة عامة إلى المنطقة التي تقع إلى الغرب من نهر الأردن (عدد ٣٥ : ١٠) [3] ويبدو أن هذه المنطقة الساحلية كانت مكانا مشهورا بكثرة ما فيه من النخيل ، الأمر الذى حدا بالاغريق إلى تسميته « فينيكس » التي تعني عندهم « نخله » أى « بلاد النخيل » وقد بقيت ذكرى هذا الاسم عند الرومان في كلمة Palmyra التي أطلقت على مدينة « تمر » أو « تدمر » في شرق البقاع و « تمر » هي الـكلمة السامية التي تقابل كلمة Palm بمعنى « نخله » في بعض اللغات الأوربية الى اليوم . ويبدو أن كلمة «فينيكس » التي تعني أصلا باليونانية « اللون الأحمر الأرجوانى » قد استخدمها الاغريق لتعني أيضا « نخلة البلح » لما لاحظوه من لون ثمرة هذه الشجرة الأرجوانى . وقد يكون في كلمات سيدنا نوح « ملعون كنعان ، أحط الخدم سيكون هو لاخوته » (تـكوين ٩ : ٢٥) تلاعبا بلفظ الأسم لما يحمل في معناه من فـكرة الخضوع . لقد احتفظ

---

1. E.G. Smith, Historical Geography, pp. 4-5; C. Autran, Phéniciens (Paris, 1920), p. 4.
2. ANET, p. 254; cf. Y. Aharoni, The Land of the Bible London, 1967), p. 62.
3. Moscati, The Semites, pp. 83 F.

الفينيقيون حتى الذين استقروا فى بلاد الغرب بالأسم « كنعانى » وتجلى ذلك فى العهد الجديد حيث نجد أن القديس متى فى سياق كلامه لليهود عن أمرأة سورية ـ فينيقية قد وصفها بأنها امرأة من كنعان .[1] كما يقول القديس أوجستين فى أوائل القرن الخامس الميلادى أن سكان شمال أفريقيا لو سئلوا من أنتم ؟ اجابوا بلغة بونية « خانانى » أى كنعانى «[2] وفى هذا أشارة صريحة إلى أنهم لم ينسوا اسم بلادهم الأصلى « كنعان » أى « الأراضى المنخفضة » .

حدود أرض كنعان :

منذ بداية الألف الثانى قبل الميلاد بدأت النصوص المصرية تطلق على فلسطين وجنوب سوريا اسم رتنو (Rt n w)[3] وعلى سكانها اسم « الأسيويين » (c', mw)ولكن بعد حوالى عام ١٥٠٠ ق م ـ بدأت النصوص المصريه تستخدم مصطلحات ذات معان محددة . وقد يختلط علينا الأمر نتيجة الأسماء العديدة التى وردت وثائق الدولة الحديثة الوفيرة فالأسم رتنو الذى ظل مستعملا لفترة طويلة ظهر بجانبه الاسم دجاهى (D',hy) بحيث استعمل كل منهما مكان الأخر . ومنذ عهد تحتمس الثالث بدأت النصوص المصرية تستخدم الكلمة خارو (H',rw) لتدل على شعب بعينه وكاسم عام لسوريا وفلسطين . وأخيرا ظهر الاسم كنعان فى نص من عهد أمنحتب الثانى (١٤٣٦ ـ ١٤١٣ ق .م) حيث ورد ذكر ٦٤٠ اسيرا كنعانيا وضموا بين المحاربين من الماريانو وزوجاتهم واطفال

---

1. Matthew 15.22

2. Angustine, Epistolae ad Romanos inchouta expositio, 13 (Migne, Part. Lot., 35, co. 209: B. Harden, op. cit., p. 22.

(٣) عن أصل الأسم ، أنظر :

A.H. Gardiner Ancient Egyptian Onomastica, Vol. I (London, 1947) pp. 142 ff. and W. Helc K., Die Beziehungen Aegyptens zu Vorderasien (Wiesbaden, 1962), pp. 272 ff.

ونساء الأمراء الفلوبين [١] . وفى الأسرة التاسعة عشرة تظهر كنعان كمنطقة تشمل على الأقل جنوب فلسطين . وتتكلم بردية من عهد الرعامسه عن « عبيد كنعانيين من خارو » [٢] بينما « شاهد اسرائيل » من عهد مرنبتاح (١٢٢٤ — ١٢١٤ ق . م) يذكر كنعان وخارو مع اسرائيل وخانى وتحنو ومدن عسقلان وجزر وينو عام [٣] . وعلى أساس ترتيب وضع الأسرى الكنعانيين فى قائمة امنحتب الثانى ، رأى البعض أن الكلمة كنعانى تعنى مجرد « تاجر » فى ذلك الوقت إلى أفراد عندهم من الثروة ما يستدعى وضعهم مع الأمراء وأن الاستخدام العرقى للكلمة قد نشأ عن هذا المعنى [٤] ولكن هذا الاستنتاج الذى يعتمد على مجرد ترتيب الكلمات فى نص فريد لا يمكن قبوله ، كما أن الأدلة من المصادر الأخرى لا تؤيده .

يقص علينا إدريمى أمير حلب (القرن ١٥ ق . م) أنه حينما طرد من وطنه لجأ إلى مدينة أمييا فى كنعان [٥] كما تذكر ارض كنعان كوطن لاشخاص دونت أسمائهم على ثلاث لوحات من حلب متتابعة معاصرة على وجه التقريب لعصر امنحتب الثانى أو قبله بزمن قصير والتى عثر عليها فى الالاخ التى توج أدريمى

---

1. ANET, p. 246.
2. R.A. Caminos Late Egyptian Miscellanies (London, 1954), pp. 117, 200; A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians (London, 1927), p. 210.
3. ANET, pp. 376 FF.
4. B. Maisler, "Canaan and the Canaanites", BASOR 102 (1946) 99 FF.
5 S. Smith, The Statue of Idrimi (London, 1949), Lines 19, 20; ANET, pp. 557 F.

عليها مات[1] ومن هذا يمكن القول يقينا أنه كانت توجد منطقة تسمى « كنعان » منذ منتصف الالف الثانى قبل الميلاد .

لقد دار نقاش طويل حول حدود المنطقة التى كان يطلق عليها كنعان وذلك منذ أكتشاف خطابات العمارنة التى كان حكام المدن الفلسطينية يرسلونها إلى فرعون مصرا ويرسلها فرعون مصر اليهم والتى حوت أشارات كثيرة عن أرض كنعان أو مواطنى كنعان (Mat, Kinahhi, Kinahayu) وبدراسة هذه الخطابات أمكن التوصل إلى معرفة حدود كنعان كولاية مصرية بدرجة كبيرة من الدقة . فمن الناحية الجنوبية يبدو أن صحراء سيناء كانت تقع إلى ماوراء كنعان ، بينما غزة التى كانت تعتبر أول مدينة رئيسية على الطريق بين مصر وفلسطين كانت تسمى « مدينة كنعان » كما كانت من المراكز الادارية الهامة[2] ولقد اعتبر نهر الاردن والبحر الميت حدا طبيعيا من جهة الشرق بينما كون البحر المتوسط الحد الغربى ولكن من الصعب معرفة إلى أى مدى وصل هذا الخطان شمالا ليمكن تحديد مساحة أرض كنعان فى ذلك الوقت ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن المنطقة التى تقع إلى الشمال من فلسطين حيث توجد جبال لبنان تعرضت لتغيرات عديدة فى اقسامها الاقليمية وذلك بسبب التنافس بين مصر وخاتى بجانب اطماع الأمراء المحليين . وتوضح لنا سيرة أدريمى أن الساحل السورى حتى طرابلس شمالا كان يقع داخل حدود كنعان فى أيامه[3] وقد استمر هذا

---

1 D.J. Wiseman, The Alalakh Tablets (London, 1953), No. 48,5 (Pt. 13), No. 154,24.

2, ANET, p. 254; cf. Y. Aharoni, The Land of the Bible (London, 1967), p. 62.

(٣) وامبيا التى ذكرها أدريمى تقوم مكانها حاليا مدينة انفة على بعد ٨ أميال جنوب طرابلس ، انظر : E. Dhorme, RB17 (1908), 509.

الوضع حتى زمن خطابات العمارنة . أما إلى الشمال من ذلك فقد خضع الساحل لأمورو على الأقل منذ منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد . لقد كان مقر الحاكم المصرى فى سومور ، بينما فى الداخل كانت توجد أمارات مختلفة وحدتها مصر وكونت منها ولاية أوبى التى أخذت اسمها من منطقة دمشق ولكنها شملت البقاع أيضا وكانت تحكم من مدينة كوميدو [١] وهكذا كانت أوبى وأمورو تمثلان الحد الشمالى لكنعان على الأقل فى نظر الإدارة المصرية .

أما فى العهد القديم فقد جاء أول تعريف لكنعان فى « قائمة الأمم » التى ذكرت أن كنعان حفيد سيدنا نوح يعتبر والد صيدون وحثا واليبوسى والأمورى والجرجاشى والحويبى والعرقى والسينى والإروادى والصمارى والحماتى وكانت تخوم الكنعانى من صيدون حينما تجىء نحو جرار إلى غزة وحينما تجى نحو سيدوم وعموره وادمة وصبوييم إلى لاشع (تكوين ١٠:١٥ — ١٩) . والإسماء الخمسة التى تلى صيدون مألوفة لنا كسكان « أرض الميعاد » فى «الأسفار الخمسة الأولى على سبيل المثال (خروج ١٣:٥) وكانوا يسكنون المنطقة التى تمتد جنوبا من صيدون حتى غزة مخترقة جرار ومدن سهل البحر الميت وهى المنطقة التى حددتها الآية التاسعة عشرة من سفر التكوين ولكن أغفل ذكر حدها الشرقى [٢] . وإلى الشمال من صيدون تقع الأماكن الخمسة الباقية التى اشتهرت فى المصادر القديمة بأنها مراكز ساحلية أو عرقا أو داخلية هامة لمدينة حماه . فمدينة عرقا أو عرقاتا تظهر فى نصوص العمارنة المصرية (حوالى ١٨٠٠ ق . م) وتكثر الإشارة

---

(١) ويقع مكانها الآن كاميد اللوز فى وادى الليطانى والتى تقع على بعد ١٢ ميلا شمال راشيا ، انظر : O Weber, EA2, 1214 F.

وكان يعرف البقاع بالعمق ، انظر : Y. Aharoni, IEJ 3 (1953), 153-61.

(٢) لقد اعتبرت لاشع هنا فى منطقة البحر الميت ، قارن J. Simons, The Geographical and Topographical Texts of the Old Testament (Leiden, 1959), § 271.

إليها بعد ذلك وتقع هذه المدينة جنوب نهر الخربية ببضعة أميال بينما موطن السماريين كان مدينة سومور التي تقع إلى الشمال منها مباشرة [١] وتقع جزيرة أرواد (رواد) عند النقطة التي يضيق فيها السهل الساحلي وتقع شمالها سيان موطن السيفيين و التي ذكرت في الواح أوجاريت وفي النقوش الأشورية [٢] . وكان يصل إلى حماه طريقين من الساحل ، أحدهما يبدأ من عرقا ثم سومور وارواد (الآن من طرطوس وطرابلس) والثاني من بانياس الحالية التي يحتمل أنها تقع في منطقة سيان . وأن النقوش الحيثية والآرامية التي يرجع تاريخها إلى الألف الأول قبل الميلاد والتي عثر عليها في حماه ترجح أمكانية وجود سكان كنعانيين قطنوا هذه المدينة في وقت مبكر [٣] .

وهكذا يمكن القول بأن أرض كنعان كانت تضم غرب فلسطين بينما امتدت شمالا بطول الساحل حتى اللاذقية وفي الداخل حتى حماة ولكن لم يتضح ما إذا كان الظهير بين الجليل وحماه كان ضمن حدود كنعان [٤] . رحينما ذكر سفر العدد (١٣ : ٢٩) مواطن الشعوب المختلفة كان الساحل ووادى الاردن من ممتلكات الكنعانيين تمييزا لهم عن ممتلكات الأموريين

---

(١) عرقا وتقع مكانها الآن تل عرقا ، أنظر :
E. Dhorme, RB17 (1908), 509.

أما سومور فيحتمل أن تكون تل كازل الآن ، انظر : M. Dunand, N. Saliby, Annales Archéologiques de Syrie 7 (1957) 3-16; 14 (1964), 3-14.

(٢) ويحدد مكانها عند سيانون إلى الشرق من جبلة ، أنظر J. Nougayrol (PRU 4, 16 F)

ويحتمل أن نهر السين بين جبلة وبانياس قد أخذ اسمه من أسم هذه المدينة .

(٣) قد يكون اسم « أدنلرم » الذى كان حاكما في القرن ٨ ق . م كنعانيا ، أنظر : KAI No. 203.

(٤) وإذا كانت الشكوك قد أثيرت حول دقة هذا الوصف إلا أنه يجب أن نأخذ في الاعتبار الاشارات التي تدل على قدمة مثل الأغفال التام لأى وجود فلسطيني في الجنوب (على النقيض مما جاء في خروج ١٣ : ١٧ ، ١٥ : ١٤) وعدم وجود حدود واضحة في الشرق والشمال واتفاقه العام مع الفقرات الأخرى .

وعيرم . وأيا ما كان الأمر ، فيبدو واضحا أنه فى وقت الغزو الاسرائيلى كان الأسم كنعان يطلق على الأرض كـكل كما ورد فى سفر العدد (٣٥ : ١٠) . « وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى اسرائيل وقل لهم انكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان » وقد يكون السبب فى هذاالتعريف المطلق للاسم ، المركز الذى إحتله كنعان على رأس الشعوب التى ذكرت فى سفر التكوين (١٠:١٧) ومادأب علية الـكتاب البعيدون عن عمال العهد القديم فى الجزء الأخيرمن الألف الثانى قبل الميلاد .

وهـكذا يتفق العهد القديم مع المصادر الأخرى فى رسم حدود كنعان من ناحية الجنوب والشرق والغرب كما تدل عليه الدراسة الفاحصة لسفر العدد (٣٤ : ٢ ـ ١٢) ويتميز العهد القديم عن المصادر الأخرى بأعطائه تفاصيل أكثر عن حدود كنعان الشمالية . وبالرغم من الغموض الذى يحيط بمعرفة بعض الأماكن ، فليس هناك شك كبير بأن الحد الشمالى كان يمر بالطرف الشمالى من سلسلة جبال لبنان حتى لبو ـ حماة (اللبوه حاليا) فى وادى الأورنت الأعلى ثم يدور حول جبال لبنان الداخلية إلى طرف الصحراء وجنوبا عبر حوران ليدور غربا إلى بحر الجليل . ويتفق هذا الحد فى قسمة الأول مع امتداد كنعان الساحلى الذى أكدته سيرة أدريمى والنصوص الأخرى .[1] وعلى العكس فإن استمرار هذا الحد شرقا بجملها تضم منطقة أكبر من ولاية أوبى (البقاع ودمشق) وهناك شك كبير فى أن كل المنطقة كانت تعتبر « كنعان » فى أعين الإدارة المصرية ،[2] لانه فى الوقت الذى تزوج فيه رمسيس الثانى من أميرة حيثية (حوالى ١٢٧١ ق . م) ظهر حاكمى كنعان واوبى كانداد اثناء مرافقتهم

---

(١) ويحتمل أن يـكون اسم حور المذكور فى سفر العدد (٣٤ : ٧ ، ٨) هو جبل أكار ، قارن : الأسم حثلون فى حزقيال (٤٧ : ١٥) = حيتيلا شرق طرابلس :

2. Y. Aharoni, The Land of the Bible, pp. 146-53, 170-2

الأميرة عبر بلادهم [1]. ولا توجد لدينا أية معلومات من العصور التالية . وهكذا يمكن القول بأن أرض كنعان أيام الغزو الاسرائيلي امتدت من صحراء النقب إلى الطرف الشمالى من لبنان [2] ومتضمنه إلى جانب هذا منطقة دمشق وباشان إلى الشرق أى كل الممتلكات التى احتفظت بها مصر عقب معاهدة السلام مع الحيثيين عام ١٢٨٤ ق . م

شعب كنعان :

كما سبق أن ذكرنا أنه منذ القرن ١٥ ق.م كان هناك شعب يسكن منطقة سوريا وفلسطين يطلق عليه الكنعانيون . واستمر هذا الاسم يطلق على سكان هذه المنطقة فى العهد القديم . ولم يكن الكنعانيون سكانا اصليين فى هذه المنطقة ، إنما وفدوا على هذه البلاد ولازال تاريخ دخولهم إلى هذه المنطقة موضع جدل كبير بين العلماء فيرى معظم العلماء أن الهجرة السامية التى خرجت من الجزيرة العربية والتى أتت بالأكديين إلى بلاد الرافدين حوالى عام ٢٣٥٠ ق . م هى نفسها التى أتت بالكنعانيين [3] ولكن يرد على ذلك بأنه كان يوجد ساميون فى بيلوص قبل هذا التاريخ وكانوا على اتصال تجارى بمصر منذ عهد الاسرة الرابعة الفرعونية (٢٦١٣ ق . م) علاوة على ذلك فإن المدن التى تأسست فى هذه المنطقة حوالى عام ٣٠٠٠ ق م لها اسماء سامية مثل اريحا (مدينة القمر) وبيت شان (أى بيت الاله شان) ومجدو المشتقة من جدد أى قطع (واليوم تل المتسلم) كما ظهر فى الكتابات الاثرية فى النصف الاول للالف الثانى

---

1. E. Edel, in Geschichte Und altes Testament, Festschrifht für A. Alt, Beiträge zur historischen Theologie 16 (1953), 55-63.

(٢) قارن يشوع ١٣ : ٤ « إلى حدود الأموريين » بحدود أمورو ، وحزقيال ٦ : ١٤ « من البرية إلى ربلاه » وهى نقطة تقع فى أقصى الشمال .

3. D. Harden, op. cit., p. 21.

مدن اخرى لها أسماء سامية معروفة يمكن اعتبارها كنعانية مثل عكو (أى رمل حار واليوم عكا) وسور (بمعنى صخر) وصيدا (صيدون أى مصيدة سمك) وجبيل وأركة وسيميرا [1]

أما تاريخ قدومهم إلى شاطىء البحر المتوسط فليس أمامنا إلا مارواه علماء سور لهيرودوت من أن أجدادهم قدموا من شواطىء الخليج الفارسى وأنهم شادوا تلك المدينة فى العهد الذى سنطلق عليه نحن القرن ٢٨ ق . م يقول هيرودوت فى كتابه السابع « أما الفينيقيون فيقررون أنهم كانوا يعيشون قبلا على البحر الارتيرى وأنهم شقوا طريقهم إلى سوريا وأنهم يعيشون اليوم على شاطىء البحر » . وليس من شك فى أن كل الاشارات التالية عن انتقالهم من البحر الارتيرى مصدرها قول هيرودوت نفسه . والمقصود بالبحر الارتيرى فى فى رواية هيرودوت الشواطىء البابلية للخليج الفارسى وماوراءه التى خرج منها الكنعانيون اسلاف الفينيقيين ووصلوا أولا إلى بلاد العرب الصخرية فى شمال الحجاز ومنها دخلوا اقليم النقب جنوبى فلسطين الذى عاش فيه الكنعانيون ردحا من الدهر كما يتضح ذلك من ملاحم رأس شمرة وأن الفضل يرجع إليهم فى تخطيط أهم المدن فى تلك المنطقة مثل « بئر سبع » و « اشدود » ثم أخذوا طريقهم بمحاذاة الساحل إلى لبنان وسوريا . ويبدو أن الوقع الجغرافى الساحلى لموطنهم الأصلى ثم لمقرهم الجديد قدجعل منهم تجار أو ملاحين مهرة وقد نشأت لهم على البحر مدن حصينة كانت كل منها أمارة مستقلة وميناء نشيطا فى أن واحد أهمها سور وصيدا وجبيل وارواد واوجاريت [2] .

والحق يقال أنه لاتوجد أية أشارة عن كنعان أو لغة كنعانية قبل الألف

---

(١) فيليب حتى . المرجع السابق ص ٨٧ .

Cf. W.F. Albright, The Archaeology of Paltestine (Harmondsworth, 1949), pp. 178-9.

(٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٥٨ .

الثانى قبل الميلاد خاصة القرون الأخيرة منه . وعلينا الآن أن نبحث فى المخلفات المادية لنميز من بينها ما يمكن أن نصفه بأنه كنعانى . ولكن قبل أن ننسب المخلفات المادية لحضارة الكنعانيين يجب مراعاة الحدود الزمنية التى وضعها علماء الآثار للعصور الأثرية لقد اتفق العلماء على أن نقطة النهاية « للحضارة الكنعانية » هى نهاية العصر البرونزى بالرغم من أن الفينيقيين لم يكونوا الا كنعانيين عاشوا فى زمن لاحق (١) ولكن من الصعب تحديد بداية الحضارة الكنعانية وبالتالى « للكنعانيين » . وإذا حاولنا الرجوع إلى الماضى لنبحث على أية تغيرات حضارية وتحركات بشرية كبرى فلن نجد الا الحوريين حتى نصل إلى القرون الغامضة التى سبقت بداية العصر البرونزى المتوسط . ولقد اصطلح الأثريون على تسمية العصر الذى يقع بين ٢٢٠٠ ، ١٨٠٠ ق . م بالعصر البرونزى المتوسط الأول وذلك فى رأى W.F. Albright أو العصر البرونزى المبكر وذلك فى رأى K.M. Kenyon أو بالعصر البرونزى المتوسط فى رأى P.W. Lapp .

وفى هذا العصر شهدت بلاد الشرق القديم أعتداءات البدو الرحل الذين اطلق عليهم « الأموريين الذين هجموا على المدن العامرة فنهبوها وخربوها كما تميز هذا العصر أيضا بوجود الجبانات الكبيرة . وبعد قرون قليلة من الاحتلال الهمجى ، جاء عصر تميز بالاستقرار وبناء المدن وبصناعة الفخار المتقن والآلات البرونزية وهو العصر الذى اطلقت عليه Kenyon العصر البرونزى المتوسط الأول . وتوحى الا عـــاط الجديدة للحضارة المـــادية بحدوث غزو آخر وليست نتيجة التحول التدريجى من جانب البـــدو الرحل إلى جماعات مستقرة

---

(٢) لقد استمر الفينيقيون يحملون اسم كنعان ، قارن . Mark 7 : 26, Matt. 15 : 22 وقد اطلق البونيون سكان شمال افريقيا على أنفسهم « خاناني » أى كنعانيون طبقا لما جاء فى أوجستين . أنظر Z.S. Harris,

A. Grammer of the Phoenician Language Conn, 1936) p. 17.

تعيش فى المدن فمن الى يعزى ازدهار الحضارة الجديدة ومتى جاء أصحابها ؟ ترى Ke nyon أن الأموريين الذين اكتسحوا الساحل السورى استوعبوا المظاهر الحضارية التى كانت سائدة فى بيبلوس ثم نشروا المزيج الحضارى الناتج عن هذا الاختلاط داخل سوريا الغربية وفلسطين ثم ربطت بين هذه الحضارة الجديدة وبين الكنعانيين الذين وصفتهم بأنهم « أموريون متحضرون »[1] .

لقد قامت الاعتراضات حول هذه الصورة المبسطة على أساس أن التغير الحضارى الذى حدث فى نهاية العصر البرونزى المبكر كان كبيرا حتى فى بيبلوس نفسها وأن أسلوب الحياة الجديد كان نتيجة اندفاع الأموريين[2] وهناك رأى آخر ينادى بأن الغزاة الذين وفدوا على منطقة سوريا فى العصر البرونزى المتوسط جاؤا من البحر المتوسط ولكن الذين استحدثوا حياة المدينة أبان العصر البرونزى المتوسط هم الأموريون .[3] وبالرغم من احتمال وجود بعض الحقيقة فى هذه الاراء الا أنها غير مقنعة تماما . فهناك شك كبير فى أن الأموريين قد ساهموا بدرجة كبيرة فى تقدم الحضارة المادية فى سوريا وذلك فى ضوء انجازاتهم الحضارية فى بلاد النهرين ولكن يحتمل أنهم حملوا أفكارا وأساليب حضارية جديدة . ولعل تأكيد Kenyon على بيبلوس يتصل بجذور المشكلة ، فبمجرد أن بدأت مصر تنهض عقب فوضى عصر الاضمحلال الأول (حوالى ٢١٨١ ـ ٢٠٤٠ ق . م) حتى بدأت الأخشاب تستورد من سوريا كما أرسلت البعثات لاحضار الأخشاب من جبال لبنان . وفى نفس الوقت كان للملوك أسرة أور الثالثة فى بلاد النهرين وسطاء فى الغرب . ولعل الصلات مع هذه القوى المتحضرة كانت بمثابة عامل

---

1. K.M. Ken yon, Amorites and Cannanites (London, 1966; CAH 2nd ed., I, Part 2, pp. 567-94; H.W.F. Saggs, Bulletin of the School of Oriental and African Studies 30 (1967), 404.
2. R. de Vaux, RB 73 (1966), 605 F.
3. P.W. Lapp, The Dhahr Mirzbaneh Tombs (Conn. 1966), pp. 86-116.

مساعد عجل بالتطور الحضارى فى سوريا وفلسطين : وفى عام ١٨٥٠ ق . م خضع الجزء الجنوبى من المنطقة لمصر واصبح حكامه مسئولين أمام بلاط فرعون وتتضح علاقاتهم فى قصة سنوهى ويظهر مدى خضوعهم فى نصوص اللعنة . ولم تقف هذه المنطقة الشمالية الغربية وحدها فى مجال التطور الحضارى الذى شمل أيضا كريت ففيها شيدت القصور العظيمة التى ترجع إلى العصر المنيوى المتوسط بعد عام ٢٠٠٠ ق . م بقليل شاهدة على الصلات مع مصر وسوريا ، بينما ازدهرت مراكز هامة فى بلاد الأناضول التى ثبت أن لها علاقات تجارية مع اشور ويحتمل أنها كانت حافزا الصناعات الأموريين البرونزية .

وعن طريق هذه العلاقات وفدت على فلسطين مجموعة مختلفة من السكان والمؤثرات فهل يمكن أن نطلق على هذا الخليط الاسم « كنعانى » ؟ (١) وإذا كان الاسم يطلق على أساس حضارى ، فإن استخدامه فى المصادر القديمة خاصة العهد القديم يحتاج إلى تفسير . لقد اطلق الاسم « كنعان » بصفة عامة على فلسطين والساحل السورى الجنوبى فى عصر العمارنة كما سبق أن ذكرنا ، ولكن كان يشير أولا إلى الارض الساحلية إذا أعتمدنا على ماجاء فى سفر التكوين (١٠ : ١٥ ومابعدها) ومن الصعب أن نقرر ما إذاكان الاسم « كنعان » فى العهد القديم يشير إلى الأرض أم الشعب . ولعل عدم ذكر الاسم كثيرا فى الوثائق القديمة يرجع إلى ظاهرة انتشار المدن المستقلة التى استدعت أن يذكر اسم المدينة أكثر من اسم السكان . (٢) ولو كان سكان هذه المنطقة قد استخدموا هذا الاسم ، فأما لأنهم عاشوا بعد الغزوات المختلفة محتفظين ببعض سمات شخصيتهم كما اقترح Lapp (٣) أو لأن الغزاة خلعوه على أنفسهم وكل ماءمكن

1. K.M. Kenyon, Op. cit.; cf. T.C. Mitchell, AOTS, p. 406, n. 38.

(٢) وتوضح الإشارات القليلة الى الكنعانيين فى أوجاريت هذه النقطة ونؤكد أن المدينة لم تكن فى كنعان ، أنظر : A.F. Rainey, IEJ 13 (1963)

3. Op. cit., p. 96.

أن يقال الان أن بداية حياة المدينة فى العصر البرونزى المتوسط حوالى ١٨٥٠ ق . م يعتبر الحد الأعلى لحضارة الكنعانيه .

ح اللغة الكنعانية .

لقد أصبح فى الامكان ترسم بعض ملامح اللغة الكنعانية على أساس أن اللغتين العبرية والفينيقية تنحدر أن من لغة كنعانية قديمة بحيث جعلتها متميزة بين مجموعة اللغات السامية الشمالية الغربية [1] . ومما ساعد فى أعادة تكوين هيكل هذه « اللغة الكنعانية « المادة اللغوية التى أمكن استخلاصها من أسماء الاعلام وتعليقات الكتبة المحليين على النص البابلى لخطابات العمارنة التى جاءت من كنعان وبعض الملامح الغريبة فى نفس هذه الخطابات : ولعل مايؤخذ على هذه المادة اللغوية أن مانعرفه عن المدارس الخاصة بهؤلاء الكتبة وتقاليدهم شىء قليل . ولكن الدراسة المستمرة للمخلفات اللغويه من سوريا وفلسطين ساعدت على أيضاح الصورة .

تمدنا المصادر المصرية خاصة نصوص اللعنة بما يدل على أن حكام كثير من المدن الفلسطينية فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد والذين يحملون اسماء شبيهة بالاسماء الامورية فى مارى والمدن السورية ، كانوا يتكلمون لهجة سامية شمالية غربية . ولك يمكن أن يقال أن اللغة الآمورية كانت السائدة فى كل المنطقة فى ذلك الوقت ولكن بعد بضعة قرون تغير الموقف تماما إذ سيطر الغزاة الحوريون والهندو — أوربيون على المدن المختلفة وفرضوا لغتهم على سكانها . ومهما كان الأمر فهناك خاصية واحدة واضحة فى هذا العصر والتى بها أمكن وضع حدود للغة الكنعانية فحيثما تستخدم السامية حرف a فإن الكنعانية

---

(١) أنظر : Z.S. Harris, The Development of the Canaanite Dialects (Conn, 1939), pp. 29-30; H. Geotze, Language 17 (1941), 128-31.

يستخدم الحرف O ويظهر ذلك مثلا فى ضمير المتكلم المفرد « أنا » الذى يكتب فى الأكدية Anaku بينما كتب فى أحد خطابات العمارنة من بيت المقدس (١) anoki وهى الكتابة التى ظهرت فى العبرية بعد ذلك. (٢) وهذا الاختلاف يظهر أيضا فى كثير من أسماء المدن خاصة تلك التى تنتهى بالمقطع ON - مثل عسقلون وصيدون بعكس سيان ولبدان اللتين تقعان فى الشمال . وأن نظرة واحدة إلى أى خريطة أو قائمة بالمدن القديمة تكشف عن اختلاف واضح بين الشمال والجنوب فى كتابة اسماء هذه المدن بما يتفق تماما مع حدود كنعان التى سبق ذكرها . وليس من الممكن معرفة ما إذا كان هذا الاختلاف موجودا فى عصور اسبق لأن المصادر المصرية لاتظهر نطق الأسماء . وإذا كان هناك أثر خفيف لهذا الاختلاف فى نصوص مارى ، إلا أنه لايبرر القول بأن « اللغة الكنعانية » كان لها كيان مستقل فى هذا الوقت المبكر (٣) .

لقد كانت الأوجارتية اللغة السامية للميناء السورى الرئيسى أوجاريت (رأس ـ شمره) وماجاورة . ولقد حفظت لنا هذه اللغة مكتوبة على الواح من الطين بأبجدية مسمارية عثر عليها فى خرائب هذه المدينة التى دمرت حوالى ١٢٠٠ ق . م ومنذ أن فكت رموز هذه اللغة ١٩٣٠ أعتبرت لغة « كنعانية »

---

1. J. Knudzen, Die El-Amarna-Tafeln (Leipzig, 1907 — 15), No. 287, 66, 69.

(٢) أنظر : S. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammer of the Semitic Languages (Wiesbaden, 1964), §§ 8.74, 83; 13.7.

3. I.J. Gelb, "The Early History of the West Semitic Peoples, "JCS 15 (1961), 42 F.

بالرغم من وجود بعض الأراء المارضة . [١] ولـكن مع التقدم فى دراسة هذه اللغة أمكن الوصول إلى رأى أكثر اعتدالا .

لقد أعتبرت الأوجارتية ضمن مجموعة اللغات السامية الشمالية الغربية لوجود عدة خصائص مشتركة بينها وبين لغات هـذه المجموعة . ولقد أظهرت الاوجارتية تشابها فى كثير من الخصائص مع العبرية وبالتالى مع الـكنعانية كما هو الحال مثلا فى ضمائر الغائب التى تبدأ بحرف H وصيغة Pôc lel فى الأفعال الجوفة[٢] ومن ناحية أخرى فهناك اختلافات بينه بين اللغتين مثل حرف (ش) الذى تبدأ به صيغة الفعل السببية بينما تبدأ فى الـكنعانية بالحرف H وكذلك المدلولات المختلفة لأشكال الفعل الشائعة كما أنها تستخدم أيضا حرف a كما فى كلمة « أنا » Anaku وليس حرف o كما فى الـكنعانية [٣] وبناء على ذلك فالقول بأنهما لغة واحدة أمر فيه شيء كثير من المبالغة ومن الأفضل اعتبارها لهجتين ينتميان إلى اصل مشترك . وليس من شك فى أن موقع أوجاريت خارج حدود كنعان هو الذى أوجد هذا الاختلاف بينهما .

الحضارة والمجتمع :

١ — العصر البرونزى المتوسط :

لقد شهد العصر البرونزى المتوسط أرقى مستوى فى الانجازات المادية فى فلسطين عن أى عصر آخر [٤] ففى الوقت الذى أنتجت فيه عصور أخرى بعض الصناعات ذات الجودة العالية بين كميات ضخمة من الأنواع العادية ، تميزت

1. W.F. Albright, BANE, pp. 328 ff.; J. Gray, The Canaanites (London, 1964).
2. J.C. Geenfield, JCS 21 (1967), 89-93.
3. Ugaritica 5 (1968), p. 234, No. 130, 12.
4. K.M. Kenyon, CAH 2nd ed. 2 ch. 3.

تميزت صناعات هذا العصر بالمستوى العالى بصفة عامة . ويبدو هذا واضحا فى صناعة الأوانى الفخارية المخصصة للاستعمال اليومى . وقد ساهم فى هذا التقدم التجديدات الفنية واختراع عجلة صناعة الفخار السريعة الدوران التى زادت من الاقبال على الفخار الاملس . فتمتاز الأوانى الفخارية التى ترجع إلى الفترة المبكرة من هذا العصر (من حوالى ١٨٥٠ — ١٨٠٠ ق . م) برقتها وصلابتها بينما أشكالها تحاكى مثيلاتها المعدنية . وكما يحدث دائما مع كل أبتكار جديد ، يبدأ مستوى الجودة فى التدهور التدريجى حتى أننا نجد أن المستوى الردىء هو مايميز طرز الفخار فى السنوات الأخيرة من العصر البرونزى المتوسط والعصر البرونزى المتأخر . وقد شهد مجال الصناعات المعدنية تقدما ملموسا أيضا حيث استحدث خلط النحاس مع القصدير لانتاج البرونز الأشد صلابة . ولقد عثر فى كثير من المقابر على نماذج من هذه الصناعات البرونزية مثل الخناجر ذات النصل العريض ورؤس الفؤوس ذات الجوانب المستقيمة .

ولقد استمر التطور فى مجال هاتين الصناعتين خلال العصر البرونزى المتوسط بدون توقف . أما عن تحصينات المدن فشهدت تغييرات كبيرة قبل عام ١٧٠٠ ق . م بقليل . فقبل هذا الوقت كانت المدن الرئيسية تحاط باسوار ضخمة من اللبن أو الحجر تخترقها بوابات محصنة . ولكن سرعان ما إستبدلت بتحصينات على جانب كبير من الضخامة تتمثل فى حائط شيدعلى قمة منحدرمن الطين المغطى بطبقة من الملاط ومدعم من أسفله بجدار من الحجر . وفى بعض المواقع أحيط الجدار بخندق . (١) أما المدن الرئيسية فقد افترشت مساحات واسعة بلغت فى بعض الأحيان ستة عشر فدانا بينما أحيطت الساحات المستوية حول التل بردم وخندق (ومثل تل اليهودية فى مصر وحاصوروردان فى فلسطين

1. P.J. Parr, ZDPV 84 (1968), 18-45.

وقطنة وقرقميش فى سوريا) . وكان يخترق الأسوار بوابات شيدت بعناية تؤدى إلى ممرات ذات اسقف على هيئة القبو تسمح بمرور العربات .

وتوحى هذه التغييرات التى طرات على التحصينات بمجيء شعب جديد فى المنطقة استطاع أن يقبض على السلطة ويكرس كل أمكانياته البشرية لتشييد مثل هذه الانشاءات الضخمة . وأن انشاء مثل هذه التحصينات فى مصر (تل اليهودية فى وقت استيلاء الهكسوس عليها حوالى ١٧٢٠ ق . م ليؤكد الصلة بين بناء هذا الطراز من وسائل الدفاع وبين الحكام الأجانب . وبالرغم من الشك الذى يدور حول أصل الهكسوس فإن أدخال العربة فى مصر على أيامهم يرجع إلى وجود علاقة بينهم وبين الأموريين فى سوريا حيث شهدت وجود الحصان فى زمن أسبق . ومن المحتمل أن الضغط الذى مارسته قوة الحيثيين المتصاعدة على شمال سوريا وقوة الحوريين والكاسيين من الشرق قد عجل باندفاع الأموريين من وطنهم الأصلى تجاه الجنوب لينضموا إلى ابناء جلدتهم الذين كانوا قد استولوا على السلطة فى مصر .

وهكذا وجدت طبقة حاكمة أمسكت بزمام الأمور فى البلاد وكان لكل مدينة رئيسية حاكمها . وتؤكد هذا الموقف المجموعة الثانية من نصوص اللعنة التى ذكرت عددا من أسماء الحكام أقل من تلك التى ذكرتها النصوص الاقدام عهدا ، الأمر الذى يشير إلى مجتمع قبلى . ويتفق فى هذا أيضا نصوص حكام بيلوص . لقد عاش هؤلاء الحكام فى قصور منيفة داخل مدنهم المحصنة بينما سكن اتباعهم فى منازل قوية البناء شيدت وسط منازل عامة الناس الصغيرة الحجم كما هو متبع فى بلاد الشرق الآن .

ويبدو أن سكان البلاد فى هذا العصر كانوا على جانب غير قليل من الثراء يدل على ذلك ما عثر عليه فى مقابرهم من أثاث وادوات . لقد حفظت لنا الصدفة مناضد خشبية وأطباق وسلال فى مقابر اريحا كان لها الفضل فى تكوين صورة

كاملة لمنزل كنعانى قديم ، الأمر الذى لم توفره الأوانى والأدوات المدنية التى أكتشفت فى المدن الأخرى . ومن الممتلكات الشخصية النادرة التى عثر على بعضها جعل مثبت فى خاتم برونزى ودبوس برونزى طويل وخنجرا وفأس وصندوق خشبى لأدوات الزينة مطعم بلوحات من العظم وقنينة حجرية للعطور ومشط خشبى . وقليل من الحلى الذهبية عرفت من كنعان فى هذا العصر وكذلك الأشياء المصنوعة من العاج أو الأحجار الكريمة والتى عثر عليها خارج مقابر امراء بيلوص بأستثناء كوب فضى عثر عليه فى مقبرة من شكيم (١).

وأهم مايميز العصر البرونزى المتوسط فى كنعان وكل منطقة الهلال الخصيب هو النقص الملحوظ فى الأشياء الثمينة (٢) ، فى الوقت الذى أزدهرت فيه التجارة مع البلاد المجاورة . فبالاضافة إلى التبادل التجارى مع مصر وبابل ، كان هناك نشاط تجارى ايضا مع قبرص وعلى نطاق محدود مع دول بحرايجه أبان العصر المينوى والهيلادى المتوسط . وليس أدل على وجود علاقات تجارية بين كنعان ومصر وقبرص من تلك القنينة السوداء التى يزين سطحها خطوط ونقط ملئت بمادة بيضاء (طرازتل اليهودية) والتى كانت تحتوى على نوع من العطور الذى الذى كان من منتجات وادى الإردن الأدنى . لقد صنعت أمثال هذه القنينة فى كنعان وتم تصديرها إلى قبرص أو مصر (٣) . وفى مقابل ذلك يحتمل أن قبرص كانت تصدر إليها النحاس ليستعمله صناع المعادن الكنعانيين مثلما كانت تصدر

---

1. IEJ 21 (1971), 178-81.

2. Cf. C.J. Gadd, CASH 2nd ed. 2 ch. 5, pp. 43 F.

(٣) B. Mazar, IEJ, 18 (1968), 77 وقد كشف عن فرن كان يستعمل لحرق الأوانى الفخارية وبة قوارير من طرازتل اليهودية وذلك فى بلدة أفولا أنظر :

R. Amiran, The Ancient Pottery of the Holy Land (Rutgers University Press, 1970), p. 120.

إلى مارى وبابل بينما كان التصدير يحمل غربا إلى حاسور[١] التى نشطت تجارتها مع كريت[٢] .

ويبدو التأثير البابلى واضحا فى استخدام الخط المسمارى فى حاسور فى هذا العصر ولم يعثر على أى أرشيف للوثائق من هذاالعصر فى مكان أقرب إلى كنعان من الالاخ (تل عطشانة على الأورنت الأدنى) . وليس من المستبعد أن إمراء بيلوص كانوا يكتبون بالهيرو غليفية على أوراق البردى حيث أنهم كتبوا نقوشهم بها على الحجر[٣] . ولقد كان استخدام اللغة المصرية احد العوامل الفعالة التى ساهمت فى ابتكار الحروف الابجدية التى ساهمت فى ابتكار الحروف الابجدية التى تعتبر من انجازات كنعان البارزة فى العصر البرونزى المتوسط .

الحروف الأبجدية :

لقد ساهمت الأكتشافات الحديثة فى أمدادنا بمعلومات كافية لرسم الخطوط العامة لتاريخ الحروف الهجائية المبكر[٤] . فلم تكن نظم الكتابة المستخدمة فى ذلك الوقت ملائمة للسرعة المطلوبة فى المعاملات الدولية . ففى حضارة وادى الرافدين برزت الكتابة بالمقاطع المسمارية وبرزت فى حضارة وادى النيل الكتابة بالحروف والمقاطع الساكنة وأما اداة التسجيل فى الاولى فالواح الطين وهى ثقيلة وتشغل فى أغلب الأمر حيزا ضخما أن أريد الاحتفاظ بها ، بينما

---

1. ARM 7, No. 236.
2. A. Malamat, in J.A. Sanders (ed.) Near Eqstern Archoeology in the Twentieth Century; Essays in Honor of Nelson Glueck (New York, 1970), p. 168.
3. K.A. Kitchen, BMB20 (1967), 149-52.
4. F.M. Gross, Eretz, Israel 8 (1967), 8*-24*.

كانت أداة التسجيل فى الثانية أوراق البردى وملفاتها وكانت القاطع والخطوط المسمارية كأداة للكتابة تتطلب الكثير من الجهد لغموضها وصعوبة فهمها وعدم قدرتها على الأداء السليم لما يراد التعبير عنه ، وذلك لأنها تعتمد على الصور التى تقوم مقام الكلمات فى أغلب الأمر فهى بذلك لاتستطيع أن تكون وافيه بالغرض من حيث التعبير عن القوة النطقية أو الأصوات ولما تطورت ظلت محتفظة بالعلامات الرمزية رغم أدخال عدد كبير من القاطع للتعبير عن الصوت . أما الكتابة المصرية بأنواعها المعروفة فقد ظهر بها أربعة وعشرون حرفا هجائيا بالإضافة إلى القاطع المكونة من حرفين أو ثلاثة . فلذلك أصبحت الحاجة ماسة لابتكار طريقة سهلة للاتصال بين مراكز التجارة فى بلاد المشرق .

ومن الصعوبة بمكان معرفة المكان والزمان اللذين شاهدا نشأة الحروف الابجدية كذلك اسم من ابتكرها . والرأى السائد الآن ، كما تشير إليه الآدلة بأن الحافز جاء من مصر حيث تطور نظام الكتابة الهيروغليفية ليستخدم رمزا واحدا فقط فى كتابة حرف ساكن مضافا إليه حرف حركة وذلك فى كتابة الأسماء الأجنبية (مثل ب = با ، بى ، بو) . وكانت الخطوة الهامة التى لم تظهر فى مصر هو فصل مثل هذه الحروف عن بعضها . ولنا أن نتصور كاتبا يعيش فى حوالى عام ١٧٠٠ ق . م يحاول ابتكار مجموعة من الرموز لمجموعة الأصوات فى لغته المحلية بالطريقة المصرية المعروفة . (١)

وقد حفظت لنا نصوص قليلة احتفظت بالشكل التصويرى البدائى (لوحة شكيم وخنجر لاخيش من حوالى ١٥٠٠ ق . م) وبالرغم من صعوبة قراءتها ، فإن هناك نصوص من قرون لاحقة تبين تطور العلامات التى أصبح لها معنى . وتشارك تلك النصوص التى اكتشفت فى فلسطين نفس الخط الذى كتبت به النصوص التى عثر عليها مكتوبة فى مناجم الفيروز فى سرابة الخادم فى سيناء والتى يقال

---

1. Cf. Kitchen, La Siria, pp. 85 F.

أنها من مخلفات العمال الذين كانوا يعملون هناك .[1] وبنهاية الألف الثانى قبل الميلاد نسيت تماما الصور الأصلية واكتسبت علامات الكتابة أشكالا تقليدية تأثرت بمواد الكتابة والحاجة إلى السرعة . لقد عثر على كتابات مختصرة تشير إلى الملكية مثل « سهم فلان » ودونت على رؤوس السهام النحاسية ،[2] بينما السجلات المطولة على الحجر لم يعثر عليها حتى الآن الا فى ببلوس (تابوت احيرام ونصوص المبانى) .

ونعرف من رحلة وينامون إلى ببلوس فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد أن كميات كبيرة من لفائف البردى قد حملت إلى هناك لاستخدامها فى دار الوثائق أو فى دار السفارة وليس من شك فى أنه كانت توجد وثائق مطولة كتبت بالخط الكنعانى بعد أن بدأ استعماله فى الانتشار وذلك فى ضوء استخدام الابجدية الاوجارتية والمسمارية التى تشبه الابجدية الكنعانية . ولعل الصدفة وحدها هى التى منعت وصول نماذج من هذه الوثائق الكنعانية إلى أيدينا .

العصر البرونزى المتأخر :

وكما انتقلت الابجدية فى كنعان من العصر البرونزى المتوسط إلى العصر البرونزى المتأخر كذلك انتقلت معظم مظاهر الحضارة الكنعانية وبالرغم من ذلك فإن التمييز بين العصر البرونزى المتوسط والعصر البرونزى المتأخر بنى على أساس ظهور سمات جديدة وحدوث تغير سياسى رئيسى . لقد طردت القوى الوطنية الهكسوس من مصر واضطرتهم إلى الفرار إلى كنعان وأعادت السيطرة المصرية هناك فى أواخر القرن ١٦ ق . م[3] . وفى هذه الأثناء نهبت مدن

1. W.F. Albright, The Proto-Sinaitic Inscriptions and their Decipherment (Mass., 1966).
2. F.M. Cross, Eretz Israel 8 (1967) 12* FF., 19* FF.
3. Kitchen, La Siria, p. 79.

وهجرها سكانها لفترة من الزمن (جريـكوتل بيت ميرسيم) بينما استعادت مدن أخرى قوتها تحت حكم امرائها المحليين . ولاشك أن حملات تحتمس الثالث وأمنحتب الثانى قد قيدت من حرية هؤلاء الحكام بينما حكم خلفائهم الذى تميز بعدم الرغبة فى الخروج للحرب أعطى الفرصة لقيام المنازعات بينهم وفتح آفاق الأمل للطموحين منهم . وبعد ذلك جاءت خطابات العمارنة واللوحات المعاصرة التى اكتشفت فى فلسطين (١) بالإضافة إلى وثائق أوجاريت لتلقى الضوء على الأحداث لعشرات من السنين . ومن أسماء الأشخاص يبدو أن سكان كنعان كانوا خليطا أغلبه من الساميين وبعض الحوريين والهندو ـ أوروبين . أما فى سوريا فقد ظل حكام العصر البرونزى المتأخر يدعون انتسابهم إلى حكام العصر السابق مما يشير إلى استمرار التماسك السكانى لمدة قرون عديدة (٢) ومن المحتمل أن هذا الموقف قد تـكرر فى كنعان مع بعض التحفظات . فقد حكم كثير من دويلات المدن المناطق الخصيبة أوسيطر على الطرق الرئيسية ونادرا ما حكم ملك واحد مدينتين . وبالرغم من وجود اتحادات كثيرة بين الممالك المختلفة ، إلا أن أحدها لم تـكن من القوة بحيث تحقق الزعامة الدائمة (ويبدو أن حاصـور قد ادعت أنها « رأس كل تلك الممالك » (يشوع ١١ : ١٠) وظلت كل منها تحتفظ بـكيانها « كمملـكة » وبين ممتلـكات المدن تجول البدو الخارجون على القانون والذين لا يملـكون أرضا والذين اطلق عليهم « الخابيرو » وأحيانا كانوا يتحدون لمهاجمة سكان المدن العزل والتجار .

وداخل أسوار المدينة . استمرت الارستقراطية الاجتماعية تقطن المنازل الفاخرة المؤثثة بالـكماليات الاجنبية . وبالرغم من تدهور المستوى الفنى لمعظم الصناعات ، فقد حفظت لنا بعض الأشياء الثمينة من هذا العصر والتى عثر عليها

1. W.F. Albright "The Amarna Lettres from Palestine, CAH 2nd ed. 2 Ch. 20 (= fasc. 51 1966).
2. D.B. Redford, Orientalia N.S. 39 (1970) 16.

فى المساكن والمقابر . فـكميات الحلى التى عثر عليها فى تل العجول بالقرب من غزة ترجع إلى أوائل هذا العصر ، ربما خبئت على أثر حملة تحتمس الثالث الأولى حوالى عام ١٤٦٨ ق . م [١] . وفى مجدو عثر على قطع عديدة ترجع إلى أزمنة مختلفة تظهر سمات كل أساليب العصر الفنية تقريبا مع غلبة الطابع المصرى عليها . ويظهر جليا امتزاج الحضارتين المصرية والبابلية فى كنعان فى الاختام الاسطوانية التى جمعت بين ملامح كل منهما فى الصور التى زينتها أو فى استخدام الشكل الأسطوانى البابلى والخط المسمارى لكتابة اسم ولقب سامى غربى مصحوبا بمنظر مصرى صميم كما حدث فى أختام ملك صيدون وابنه [٢]

لقد كانت تجارة الأوانى الفخارية هى الشائعة فى هذا العصر كما كان الأمر قبل ذلك نعم انتشار الأوانى القبرصية والايجية حتى فاقت فى أعدادها الأوانى المحلية وتذكر خطابات العمارنة سلع كانت تستورد من جهات أخرى منها « الرداء البابلى الثمين » الذى سرقه عخـان بن زارح من جريـكو (يشوع ٧ : ٢١) والذى لم يترك أى أثر ليدل عليه .

ومعلوماتنا عن المدن الـكنعانية فى القرن ١٣ ق . م ضئيلة . وإذا كان كثير منها قد فقد مجده (مثل حاصور) ولم يستطع الصمود فى وجه الغزو الأسرائيلى من الشرق والفلسطينى من الغرب ، الا أن المدن القوية مثل بيت شأن ومجدو وقفت صامدة لانها كانت لاتزال خاضعة للسيطرة المصرية . لم تأت هذه الغزوات التى أجتاحت كنعان الا بتغيرات حضارية طفيفة ، الأمر الذى ابقى على الحضارة المادية للـكنعانيين .

---

1. O. Negbi, The Hoards of Goldwork from Tell el-Ajjul (Studies in Mediterranean Archaelogy 25, Goteborg, 1970).

2. Collecvtion de Clercq, Calalogue, I, Nos. 386 bis, ter.

الديانة :

إذا كانت الآثار والوثائق المكتوبة قد قدمت لنا معلومات وافرة عن الاعتقادات والطقوس الدينية فى كنعان الا أنها لا تزال بعيدة عن امدادنا بصورة كاملة عنها . فالحقائق متنوعة فى طبيعتها ومظانها لدرجة أننا لا نستطيع أن نخرج منها الا بأشياء عامة وقليلة ولهذا السبب فمن الخطورة بمكان أن تعتبر المادة الوفيرة التى جاءت من أوجاريت كنعانية . فكثيرا ماذكرت النصوص العبرية التى تحدثت عن الديانة الكنعانية اسم « الأماكن المرتفعة » وقد كشف عن أمثلة من التلال الصناعية التى أعتبرت « أماكن مرتفعة » فى مجدو ومواقع أخرى ، بينما لم يكشف عن أى « مكان مرتفع » خاص بالعبادة فى أوجاريت . وكان « بعل » يلقب فى أوجاريت « رب الأرض » بينما تسميه المصادر الفينيقيه « رب السماء »[1] وهذه فقط امثلة من الاختلافات بين أوجاريت والمصادر الأخرى ذكرت لتأكيد الحاجة إلى الحرص فى إستخدامها .

لقد كان الكنعانيون يؤدون طقوسهم الدينية فى معابد ذات طرز مختلفة « فالمكان المرتفع » يبدو أنه كان فى بداية الامر عبارة عن مقصورة فى الهواء الطلق فوق قمة جبل بينما غرست الأشجار على مقربة منها . أما فى المدن فقد يقام تل من التراب أو الأحجار مقام التل الطبيعى . وفى مجدو ظل أحد هذه « الأماكن المرتفعة » مستعملا فى العصر البرونزى المبكر ، بينما بنى آخر فى نهاريا بالقرب من حيفا فى العصر البرونزى المتوسط وهناك مثال من حاصور يرجع إلى العصر البرونزى المتأخر . وهذه هى الأماكن العالية التى تسمى بالعبرية « باموت » والتى أشير إليها فى التوراه (ملوك أول ٢ ، أرميا ٢٢ : ٢٥) ، هوشع ١٠ - ٨) . ولقد عثر فى نهاريا على بقايا زيت مما كان يستخدم فى تقديم القرابين . لقد

---

1. F. Rainey. BA 28 (1965), 121.

اختلفت خطط المعابد التى أمتاز معظمها بصغر حجمه ، فالمعبد كان يتكون من حجرة أمامية ومكان مقدس حيث كان يوضع تمثال الآلة أو الرمز المقدس الخاص به وقد عثر على أمثلة من هذا التصميم البسيط ق بيت ـ شان وتل فرعة وحاسور التى أمتاز المعبد فيها ببنائه الضخم الذى يتقدمه رواق (لقد بنى معبد سيدنا سليمان طبقا لهذا الطراز الأخير) وكان لابد أن يكون بالقرب من العبد نبع ماء أو حوض مقدس ثم غابه .

لقد اعتقد العلماء بأن الدعامات الضخمة عند أسفل الجدران التى تحيط بحجرة واحدة ذات أعمد ويؤدى إليها رواق عندأحد اطرافها لها علاقة بالمقصورات التى تتكون من أ كثر من طابق لذلك سميت « مجدل » أو مقصورات ذات « ابراج ». وحفظت لنا نماذج منها مصنوعة من الطين كانت تستخدم لحرق البخور وهناك أشارة إلى هـذه الابراج » فى الرواية الكريتية من أوجاريت حيث يصعد الملك برجا « مجدل » ليقدم قربانا (Keret I. 3, 53 ff.) وعثر على نماذج من هذه « الابراج » فى شكيم ومجدو اقيمت فى نهاية العصر البرونزى المتوسط . وفى شكيم حل محل « المجدل » معبد تقليدى ذو حجرة أمامية ومكان مقدس وكانت الحجرة اصغر من المكان المقدس ويدخل إليهما من باب فى ضلعها الطويل . وقد شاع هذا الطرازوعثر على نماذج منه خارج كنعان خاصة فى الالاخ وأجاريت (١).
واخيرا أدى ا كتشاف معبدمساحته خمسة عشر مترا مربعا ويتكون من حجرات تحيط بمنطقة مقدسة فى عمان ويرجع تاريخه إلى العصر البرونزى المتأخر ، إلى التعرف على بناء مشابه خارج شكيم على منحدرات جبل جريزيم (٢) ، بالرغم من أن بقايا طقوس التأسيس بما فيها احراق الجثث التى وجدت فى عمان لم يعثر لها على أثر فى شكيم .

1. G.E. Wright, Shechem (London, 1965), p. 99.
2. R.G. Boling, E.F. Campbell, G.E. Wright, BA 32 (1969) 81-112.

وليس من السهل معرفة الآلهة التى كانت تعبد فى هذه المعابد فى الوقت الحاضر ، فالنقوش التى كشفت فى المواقع الأثرية نادرة ، كما أن الأشياء التى عثر عليها لا تسمح إلا بالحدس والتخمين . وهناك معبد واحد فقط فى بيت شان يخص الآلة « ميكال » بشيء كثير من التأكيد . ويحتمل أن يكون القدماء أنفسهم غامضين فى كثير من الأماكن مثل ببلوص حيث كانت حاميتها « بعلة جبيل » أى « سيدة ببلوص » التى لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال خلفية مريديهم الدينية . وكثير من الآلهة والالهات قد ذكرت فى النصوص بينما أكثرها شعبية دخلت فى تركيب أسماء الأشخاص . وبالرغم من ذلك فقليل منها تعرف صفاته الخاصة . وجميع الآلهة تجسيد واضح للمظاهر والأشياء الطبيعية ماعدا تلك التى ترجع إلى أصول اجنبية لأن أساس الديانة الكنعانية كان عبادة القوى الطبيعية المنتجة المولدة وقوى النمو والتكاثر والأخصاب مما يميز المجتمعات الزراعية عامة .

وكان على رأس مجمع الآلة الكنعانية رب يدعى « ال » الذى لم يلعب دورا كبيرا فى أشعار أوجاريت ونادرا مايوجد فى تركيب أسماء الأشخاص فى العصر البرونزى المتأخر ويبدو أنه أخلى الطريق فى هذا المجال للالة هدد ، اله العواصف والمطر الذى انتشرت عبادته باسمه السامى أو باسم قرينه الحورى تشوب أو باسم « بعل » — بمعنى « سيد »[1] وحيث أن هدد كان يتحكم فى الأمطار والضباب فقد كان بيده مفاتيح المحاصيل الوفيرة وهنا وصفت الأساطير الأوجارتية حروبه مع الموت والبوار والفيضانات المدمرة . ولا يوجد أى أشارة عن مكان معين خاص بعبادة هدد . لقد اعتبر هدد وايل وداجان اله القمح ، من اسرة واحدة فى الكتابات الأوجارتية المختلفة وهذا دليل على مرونة الأفكار فى مكان واحد . وكانت عشتار الهة المعارك زوجة هدد والتى كانت تتميز أحيانا عن عشيرة زوجة أيل . ومن المحتمل أن التماثيل الفخارية للام العارية كانت فى الوقت

(١) وأن مماثلة بعل بهدد قد وضحها .

1. A.F. Rainey, IEJ 18 (1968), 1-14.

نفسه تمثل الالهة عشيرة . وقد ارتبط هدد أيضا بالهة الحرب الأخرى « عنات » وقد صورت « عنات » على لوحة فى بيت شأن وكانت تعرف بالهيروغليفية المصرية تحت اسم « عنتيت » وتلقب « بملكة السماء وسيدة الآلهة » . وتبدو الالهتان « عنات » و « عشيرة » عادة عاريتين مع إبراز اعضائهما التناسلية ممثلتين فى وضوح على اللوحات الطينية ، بينما ترسم « عنات » فى بعض الأماكن فى كنعان وعلى رأسها ما يمثل رأس حتحور ، الآلهة المصرية برامن البقرة ، وربما كانت هذه الصور تمائم تستهدف تيسير عملية الولادة . وقد امتدت عبادة هذه الآلهات إلى الدلتا فى مصر ، حيث عبدت « عنات » بصفة خاصة فى عهد رمسيس الثانى كآلهة حرب على الصورة التى نبدو فيها فى نصوص رأس شمرا [١] ومن بين الآلهة الأخرى رشف اله الحرب والعالم الآخر والذى نلتقى به فى النصوص الميثولوجية لرأس شمرا حيث يشار إليه كمعبود فلكى يحمل الهة الشمس وكان « رشف » الهـا للبرق والضوء ومن ثم فإنه يقرن بأبو للو ومع ذلك فليس من الواضح أنه يعادل هدد وتشوب . لقد امتدت عبادة رشف إلى مصر السفلى خلال الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة وهو يوصف فى المنحوتات المصرية كآلة حرب نشط مثل بعل وله قرنا وعل على غطاء رأسه ، وربما يشير ذلك إلى صلته بالصحراء التى كانت مبعث خوف ركمصدر للضرر بالنسبة للعالم المستقر فى الشرق القديم وتشير إلى قيام عبادته فى فلسطين نسبة بعض الأماكن إليه مثل « أرسوف » وهى « راشبونا » التى تتردد فى الحوليات الأشورية من القرن الثامن وتقع إلى شمال يافا مباشرة . [٢] ومن بين الآلهة أيضا حورون اله العالم الآخر ونيروش اله النبيذ الجديد وكاثر وحاسيس السمتى المهارة والفن . وكانى لـكل اعضاء المجمع المقدس البارزين القابهم الخاصة فمثلا كانت عشيرة تلقب « قودشو » أى « المقدسة » .

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق حـ ٣ ص ٦٩ .

2. P. Matthiae, OA 2 (1963), 27-43.

وكذلك نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق حـ ٣ص ٨٤.

وهناك صعوبة تعترضنا بالنسبة للديانة الكنعانية ولعل سبب ذلك هو صعوبة التفرقة بين العناصر الأصيلة والعناصر المستحدثة ... فالتأثير المصرى الزمن على الشاطىء السورى ربط ما بين هذه العقائد المصرية حتى لنرى صور العبادة تحمل الخصائص والزى المصرى فى أحيان كثيرة ، كما نستطيع أن نلاحظ التشابه الشديد بين هذه المعبودات فى المعتقدات الشعبية ونظائرها المصرية « قبعله » بيلوص مثلا يمكن مقارنتها بايزيس — حتحور وبعل بالاله اوزير فى الديانة المصرية [1] .

لقد عثر فى المدن الكنعانية على تماثيل صغيرة فخارية أو معدنية وأغلبها يبلغ ارتفاعه ست بوصات وقد شكلت ملامح الوجه والجسم بطريقة بدائية . والتماثيل البرونزية كانت أحيانا لرجال يحملون اسلحة وفى أحيان آخرى لرجل وأمراة وفى حالات نادرة كان يصحبهما طفل ، وبعضها تمثل بعل واقفا يلوح بالصاعقة بيده اليمنى المرفوعة والآلهات كانت عادة تمثل عارية ويداها على جانبيها أو تمسكان بثدييها كما لو كانت تعطى الغذاء . وقد تضاف إلى التماثيل رقاقة ذهبية أو فضية لتظهر الأزار أوغطاء الرأس أو الحلية .

ومن بين عناصر المعبد الأعمدة المقدسة Massebah [2] والشجرة المقدسة ('aserah) [3] ومواقد البخور (Hamman) والغرف الكائنة تحت الأرض . استخدمت الأعمدة فى المقام الأول كنصب تذكارية كما فى معبد المسلات فى بيلوص ولكنها كانت تقدس للاعتقاد بأن أرواح الآلهة أو الأشخاص التى ترمز إليها كانت تتجسد فيها والقليل من هذه الأعمدة نقش عليه بعض اسماء الأشخاص ومن المحتمل أن البعض الآخر كان يطلى بالملاط ثم يكتب عليه بالحبرا والطلاء

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ج ٣ ص ٦٥ .

(٢) وجمعها مصبوت (من نصب وتترجم بكلمة تمثال أو عمود فى موضع ٣ : ٤ ، الملوك الثانى ١٠ : ٢٧ . التكوين ٣٥ : ١٤ صمويل الثانى ١٨ : ١٨ .

(٣) وجمعها اشيريم وترجمت بكلمة « سوارى » فى سفر الملوك الأول ١٦ : ٣٣ — الملوك الثانى ٤٣ : ٦ — ٧ اشعيا ٢٧ : ٩ .

ولكن زالت كل هذه الكتابات نتيجة لعوامل التعرية (قارن : تثنية ٢٧ : ٢ ومابعدها) . لم تحفظ لنا أى « عشيرة » من كنعان ولسنا على يقين من معنى الرمز الذى يشير إليها وربما يشير إلى الخصب حيث أنها تمثل النبات الدائم الخضرة التى تسكنه آلهة الخصب وذلك فى ضوء العلاقة بين الآلهة «عشيرة» وتماثيل « الأم العارية » (١) والغرف الكائنة تحت الأرض كانت غالبا تستخدم لتلقى النبوات . وبجانب التماثيل كان يرمز للآلهة بحيوانات معينة فأل وبعل كان يرمزلهما بالثور وعشيرة بالأسد وفى بعض المناظر كانت تقف هذه الآلهة بين هذه الحيوانات أو فوقها .

وكانت الأضاحى التى تقدم على المذابح عبارة عن حيوانات وطيور يقوم بذبحها الأفراد فى أى وقت لتحقيق منفعة من الآلهة وكانت تؤدى لها طقوس خاصة فى الأيام المقدسة . وكانت هذه الأضاحى تسمى بالعبرية Slamîm وبالاوجارتية Slmm أى «قرابين السلام» وكان الكهنة يقومون بفحص أمعاء الأضاحى ليستبينوا منها المستقبل وكانوا يستخدمون فى ذلك الوسائل التى كان يتبعها البابليون . ولايمكن القول يقينا إلى أى حد كان عامة الشعب يشاركون فى هذه الطقوس ولكن من المحتمل أنه كان يوجد مقاصير متواضعة وآبار وينابيع مقدسة بجانب أعمال السحرة ، فكل هذه كانت تعتبر عناصر ضمن معتقدات الفلاحين .

٤ التأثيرات الكنعانية على إسرائيل :

لقد كان للأوامر الصارمة الموجهة لاسرائيل باستئصال الكنعانيين والقضاء على مقوماتهم الدينية (على سبيل المثال خروج ٢٣ : ٢٤ ، ٣٤ : ١٣وما بعدها تثنية

---

(١) ولايزال المسلمون والمسيحيون والدروز فى سورية وفلسطين اليوم يؤدون واجب الاحترام للاشجار وهى عادة من البلوط والصنوبر التى تنمو قرب ينبوع أو قرب قبر احد الأولياء أو القديسين وتشاهد اليوم قطع الثياب مربوطة بشجرة مقدسة عند افقا حيث ينبع نهر ابراهيم (نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ج ص١٢)

٧) أثرها الواضح فى عدم اتصال اسرائيل بالـكنعانيين . وفى نفس الوقت لم تذكر أية توجيهات للقضاء على مظاهر الحضارة المادية فى كنعان (فيما عدا حالة جريـكو) . لقد استفادت اسرائيل من كل ما أستولت عليه من أدوات الحضارة الـكنعانية مثل العربات والمبانى والاسلحة والدروع والأدوات الزراعية . لقد احتاجت اسرائيل فتره من الزمن لاستيعاب هذه المستلزمات الحضارية المتقدمة خاصة وأن شعبها لم يتمتع بحياة الاستقرار إلا حديثا بعد حياة شبه رعوية وليس من شك فى أن الأخذ بعناصر الحضارة الـكنعانية يعنى تغير رئيسى فى شخصيتها الحضارية [١] .

وإذا قبلنا الرأى القائل بأن أسرائيل ورثت الحضارة الكنعانية ، فماذا نقول عن اللغة والديانة العبرية اللتين زعم كثير من العلماء على أنهما تأثرتا كثيرا بالتراث الـكنعانى . فاللغة العبرية قريبة من اللهجات الـكنعانية التى سادت فى أواخر الألف الثانى ق . م . ويمكن فهمها فى ضوء المقارنة بينهما . وبالرغم من ذلك ستظل لغة متميزة ولا يمكن مماثلتها بلغة « كنعانية » افترض وجودها فى عصر أقدم بدون شواهد جديدة [٢] . وإذا كان هناك تشابه واضح فى العبارات بين الأشعار الاوجارتية وأجزاء من العهد القديم ، فمن المرجح أن المؤلفين الاسرائيليين قد اقتبسوا ـ التعبيرات التى أستخدمت فى الشعر الـكنعانى . ولـكن كل اقتباس يحتاج إلى فحص دقيق فى نطاق الاصطلاحات السامية القديمة حيث يمكن العثور على تعبيرات مشابهة للتعبيرات العبرية [٣] . وأن الأمثلة المتفرقة التى توضح التشابه بين الأورجارتيه والعبرية ، لا تدعو بالضرورة افتراض انتقال الصيغ الفكرية بصورة تلقائية .

وكثير ما ساد الاعتقاد بأن الاسرائيليين اخذوا بالعادات والمعتقدات

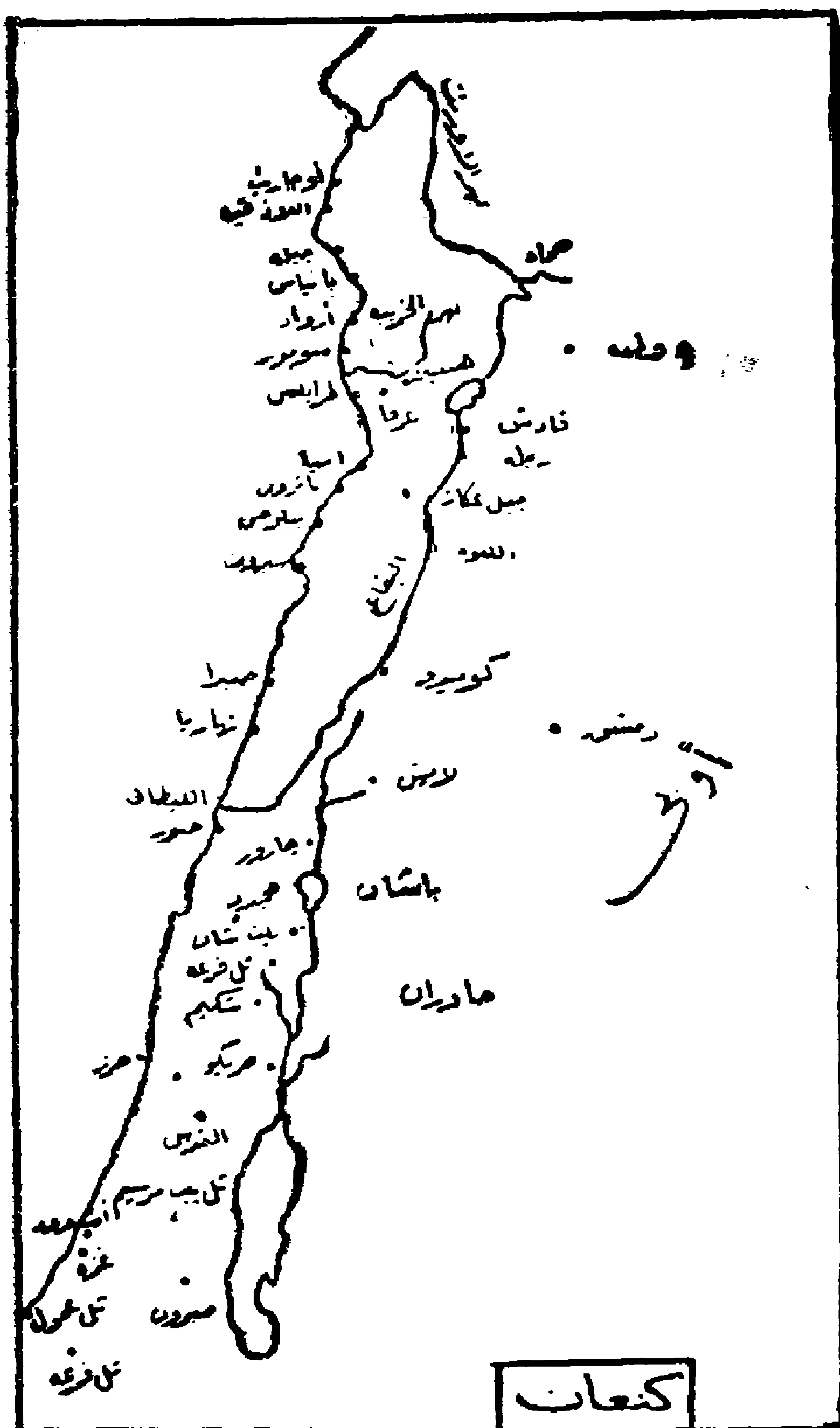
---

1. Cf. H.J. Franksen, CAH 2nd ed., 2, ch. 26 (b) = fase. 67 (1968).

2. M. Greenberg, JAOS90 (1970) 536-40;

P.C., Craigie Tyndale Bulletin 22 ((1971), 3-31. (٣) أنظر

الكنعانية على أساس أنهم ورثوا حضارة كنعان وتكلموا لغة قريبة من الكنعانية ومرة أخرى تلقى أكتشافات أوجاريت بعض الضوء على هذه المسألة . فباستثناء بعض الكلمات العامة المتصلة بالطقوص الدينية والتى انتقلت من الأوجارتية إلى العبرية مثـــل Khn : Kohen « كاهن » و Dbh : Zebah « يضحى » و Slm : Slamim « قرابين السلام » لايوجد فى اللغة العبرية أثر لاى تعبيرات ذكرت فى المصادر الكنعانية وتتصل بالعبادات أو الطقوس الدينية . وأن اعتزاز اسرائيل الشديد بتقاليدها القديمة ينفى القول احتمالا بأن الاسرائيليين اتخذوا العادات والتقاليد الكنعانية الغريبة عليهم حينما غزوا كنعان نفسها . ولكن الامر الغير مشكوك فيه أن العادات والتقاليد الكنعانية قد كان لها تأثيرها فى اسرائيل فى بداية احتلالها لكنعان ، ولكن سرعان ما اعتبرها غلاة رجال الدين دخيلة عليهم فنبذوها ولم تصبح جزءا من تراثهم الدينى .



حماه
جبله
أرواد
طرابلس
عرقا
قادش
ربله
جبل عكار
البقاع
صيدا
كوميدو
لايش
الليطاني
باشان
مجدو
بيت شان
تل فرعه
شكيم
حوران
القدس
غزة
تل عجول
حبرون
تل فرعه
كنعان

الفصل الثالث

الآراميون

الآراميون

كان الآراميون المجموعة الثالثة من الهجرات السامية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية بعد الهجرة الأموريه والـكنعانية وأن رجح البعض أن موطنهم كان الصحراء السورية العربية (١). ولعل العوامل التي دفعت معظم القبائل السامية الأخرى إلى الهجرة من مواطنهم الأصلية واستقرارهم في بلاد الهلال الخصيب هي نفس العوامل التي اضطرت الآراميين إلى ترك مواطنهم الأصلي (٢). وقبل أن يستقر الآراميون في أماكنهم الجديدة، ويكونوا امارات أو دويلات صغيرة، كانوا منتشرين في البادية انتشارا كبيرا كالعبريين وبقية الأمم السامية ، فقد تنقلوا بين نجد في الجنوب وحدود الشام في الشمال ونهر الفرات في الشرق وخليج العقبة في الغرب (٣). وعندما بدأت تتوغل القبائل الآرامية في العراق وسوريا كان توغلها بطيئا بحيث استغرق مدة طويلة من الزمن قبل استقرارهم النهائي في مناطقهم التي طاب لهم الإقامة فيها (٤). ويؤكد Dupont-Sommer أنه ليس هناك أي دليل قاطع يبين العصر الذي توغل فيه الآراميون في أراضي الهلال الخصيب أو المنطقة التي خرجوا منها (٥)، كما يذهب Unger إلى أن أصل الآراميين وتحركاتهم كانت غامضة (٦).

---

1. A Dupont-Sommer, Les Aramè ens (Paris, 1949), p. 15.

(٢) انظر ص ٥ هامش ١

(٣) مراد كامل ومحمد حمدي البكري : تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي (القاهرة ١٩٤٩) ص ٣ .

4. H.R. Hall, The Ancient History of the Near East (London, 1939) 10th ed., 1947), p. 400.

5. Dupot-Sommer, Op. cit., p. 15.

6. M.F. Unger, Israel and the Arameans of Damascus (London, 1957), p. 38.

لقد تخلف الآراميون عن ركب الحضارة لأنهم ظهروا فى وقت كانت فيه الحضارات القديمة فى الشرق القديم قد بلغت أوج عظمتها وازدهارها سواء فى وادى النيل أو الرافدين ، كما أن حضارتهم لم تعمر طويلا أكثر من خمسة قرون ، كما أنهم لم يكونوا مبتكرين ودورهم فى هذا الفلك لم يكن رئيسيا ، كل ذلك نتيجة تفككهم وعدم اتحادهم فلم يستطيعوا أن يقيموا دولة متحدة بل كونوا مايشبه دويلات المدن شبيهه بتلك التى ظهرت فى بلادالميونان . وبالرغم من ذلك كله فقد كانوا حجر عثرة فى سبيل تقدم الآشوريين كما كسروا شوكة الاسرائيليين ، ومن أجل ذلك اتصل تاريخهم بتاريخ جيرانهم الأشوريين والعبرانيين (١) .

والرأى السائد لدى العلماء أن الآراميين استقروا فى الفرات الأوسط منذ نهاية الألف الثانية قبل الميلاد واستطاعوا أن يمتزجوا بالأموريين والكنعانيين فى البلاد التى مروا بها واخضعوها وأن يأخذو عنهم وأن ينقلوا عن حضارة بلاد الرافدين وكذلك الحيثيين وأن احتفظوا بتقاليدهم ولغتهم التى تعتبر من فروع كتله اللغات الساميه الغربية التى انتشرت فى بداية الألف الثانية فى شمال غربى بلاد مابين النهرين (٢) .

ولم يهاجر الآراميون إلى سوريا مباشرة فى أول الأمر ولكن اصبحت لهم الغلبة بعد ان انتشروا فى بابل وبلاد الرافدين وسبب ذلك أن الهجرات الحيثيه التى بدأت فى الألف الثانية قبل الميلاد كانت تزحف على سوريا وتستطيع أن تتقدم ما دامت لاتجد ما يعوقها ولذلك فإن النواحى التى تظهر لنا فى عصور تالية كأنما هى آرامية تماما لم تكن كذلك فعلا فى عصر متأخر ، فدمشق وحلب

---

(١) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ص ٣٤٠ .

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ج ٢ ، ص ٣١ وما بعدها .

ومدن سوريا الشمالية أصبحت أرامية حين طغت الآرامية على بلاد الرافدين وبابل على السواء [١] .

وقد سمى البابليون الأرض الواقعة بين شمال الرافدين إلى الجبال وغربا إلى كبادوكيا باسم « سوبارتو » أو « سورى » (فى قراءةأخرى) وهواسم عرفت به سوريا البقاع لدى الكتاب الكلاسيكيين وحين أصبحت آشور وجنوب سوريا آراميتين امتدا طلاق الاسم على البلاد الجنوبية حتى اصبحت كلمتا « سورى » و « آرامى » « مترادفتين وإذن فسوريه البقاع موطن الاراميين الذين قدر لهم أن يستقروا به — تمثل سورية الحقيقية والآراميون على ذلك فى نسيج الشعوب السوريه بمثابة لحمته وسداه يشغلون من الاراضى السورية أخطرها شأنا ويتوسطون اعرق الحضارات إلى الشرق وإلى الجنوب الغربى ويتصلون اتصالا مباشرا بالجيران الشماليين — الحيثيين — الذين تأثروا بهم كذلك [٢] .

معنى الاسم آرام :

لقد اختلفت الآراء حول معنى اسم آرام ، فذهب بعض اللغويين إلى أن أصل الاسم مشتق من كلمة « انعامورناى » أى « مخلوقات » أو كما فسره أحد العلماء بأنه اسم أو لقب اله ، ولكن Kraeling يرجع اسم آرام إلى أنه اسم لشعب وليس لمنطقة . وتسمية آرام معناها سكان البلاد المرتفعة أو العالية ، وحتى هذه التسميه — البلاد المرتفعه — كانت موضع خلاف ، فالبعض يعتبر أن التسمية اطلقت عليهم باعتبارهم من نجد والبعض الآخر يذهب أن هذا الاسم لم يطلق عليهم حتى أقامتهم فى منطقة طور عابدين ، وأن تعبير سكان البلاد

---

(١) نفس المرجع : ص ٤٨٤ وما بعدها .

(٢) نفس المرجع : ٤٧٦ وما بعدها .

المرتفعة اطلق عليهم لاقامتهم فى أعالى الدجلة والفرات باعتبار أن هؤلاء كانوا بالنسبة لسكان الوادى (دجلة والفرات) يعيشون فى أماكن مرتفعة (١) .

أما كيف عم الاسم واصبح يطلق على السكان الآراميين فى سوريه فهذا راجع إلى الحيثيين الذين كانوا على اتصال بآرامى اعالى الدجلة والفرات ثم سيطروا على سورية واثناء هذه السيطرة نقل الأسم من أعالى الدجلة والفرات إلى سوريه . وهذا هو السبب فى أن اسم آرام اطلق على الاخلامو الذين دخلوا سورية بعد تدهور قوة الحيثيين . ويرجع Kraeling أن هذه القبائل لم تحمل اسم آرام حتى اقامتهم فى منطقة طور عبدين (٢) . ولكن Unger يشير إلى حقيقة هامة وهو أن الاسم لم يطلقه عليهم الآشوريون عندما سكن الآراميون فى منطقة طور عبدين بل يرجع إلى عهد اسبق من ذلك (٣) .

لقد كان أول ظهور لكلمة « آرام » كاسم لمنطقة فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد فى نص من عهد نرام سين أحد ملوك أ كد (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ق . م)، ويبدو من النص أنه كان يشير إلى منطقة فى الفرات الأعلى . كما ظهر هذا الاسم من جديد حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م فى نصوص مدينة درهم التجارية (٤) . وتشير إلى مدينة أو دولة بالقرب من اشنونا على أدنى دجلة (تل الأسمر الآن) . وبعد ذلك استخدمت نفس الكلمة علما لشخص فى نصوص مارى

1. E.G. Kraeling, Aram and Israel (New York, 1981), pp. 21-22.
وأن المقارنة بين اصل اشتقاق كلمة « آرام » وكلمة « أرم » التى وردت فى القرآن الكريم غير مؤكده، انظر، فيليب حتى تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ص ١٧٤ .

2. Ibid.

3. Kraeling, Op. cit., p. 39.

(٤) درهم مدينة سومرية قريبة من نبثور وكانت تسمى قديما بزر شدجن ، انظر :
H. Schmökel, Das Land Sumer
(Stuttgart, 1955), p. 60.

(القرن الثامن عشر ق . م) وفى الالاخ (القرن ١٧ ق . م) وفى أوجاريت (القرن ١٤ ق . م) . بالرغم من أن أحدى نصوص أوجاريت ذكرت « حقول الآراميين » . إلا أن صفته العرقية أمر مشكوك فيه . [1] . كما ذكرت المصادر المصرية أيضا هذه الكلمة اسما لمكان (با ـ أرم) فى سوريا فى قائمة تحوى اسماء أماكن جغرافية وذلك من عهدا منحتب الثالث (النصف الأول من القرن ١٤ ق . م) [2] ، وأيضا فى نص من عهد مرنبتاح (حوالى ١٢٢٠ ق . م) . لكن هذه الإشارات المبعثرة ليست كافية لتكوين صوره كاملة عن بداية ظهور الآراميين وتتبع تاريخهم القديم ، خاصة وأن كلمة « آرام » ظهرت بعد ذلك كعنصر فى اسماء الأعلام واسماء الأماكن الجغرافية فى نصوص غير آراميه باللغة . وعلى أى حال فإن هذه الاشارات تكفى لبيان الحاجة إلى تعديل الرأى الذى كان سائدا فى وقت ما من أن ذلك التاريخ يبدأ فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

العلاقة بين الاخلامو والآراميين

ولعل أول اشارة واضحة عن الآراميين جاءت فى نص من عهد الملك الأشورى تيجلات ـ بيلزر الأول (١١١٦ ـ ١٠٧٦ ق . م) حيث ذكر فى حولياته أنه حارب « تحت رعاية سيدى الآله آشور ، أخذت عرباتى ورجالى الأقوياء فوصلت الصحراء وتقدمت ضد اخلامو — أرمايا [3] . ولقد أدى

---

1. Dupont-Sommer, "Les Débuts de l'histoire araméenne, V. T Supplement (1953), 40 ff.

2. E. Edel, Die Orstsnamenlisten aus dem Totentempel Amenophis III (Bonn, 1966), pp. 28 f. (list DN, No. 7).

3. ARAB. i, § 239.

تـكرار الأسم المركب « اخلامو ـ أراماپا » فى نصوص هذا الملك إلى الاعتقاد بأن الاخلاموم الأراميين وأن أول ظهور للاخلامو بالقرب من الخليج الفارسى فى بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد فى خطابين من عهد الـكاسيين ، يعتبر بالتالى أو ظهور للاراميين كذلك [1] ويرجع البعض أن الأخلامو تسمية عرفهم بها الأموريون المقيمون فى منطقة الفرات كما عرفت شعبة منهم كذلك تحت اسم « كلدو » [2] . كما يعتقد بعض العلماء أن الاصطلاح « أخلامو » يعنى حلفاء وهنا يبدو أن الآراميين كانوا جزءا من هذا التحالف وتعتمد هذه النظرية على اعتبار « أخلامو » الأكدية نظير « اخلام » فى العربية جمع « خلم » بمعنى صديق [3] ولـكن كلمة « خلم » لاتعنى فى هذا الوضع حليف خاصة وأن صيغة الجمع « اخلامو » ترجع إلى عصر احدث وعلى ذلك فان كلمة « اخلامو » يمـكن تفسيرها على أنها كانت اسما يطلق على قبيلة بدوية أو مجموعة من القبائل البدوية [4] . كما يتساءل البعض عن السبب فى وجود اسم « اخلامو » مزدوجا مع الآراميين ثم حل محله تدريجيا اسم الأراميين ثم يؤكد أن الأراميين كانوا من صلب الأخلامو ثم تفرقوا عن بقية القبيلة وعملوا على الاحتفاظ باسمهم وفرضوه على العنصر الاخلامى ثم محى الأسم الأول تاركا مكانه للاسم الثانى وهو الآرامى ويدللون على وجهة نظرهم بما حدث بالنسبة للاسرائيليين الذين كانوا بطنا من بطون جماعة العبرانيين ثم تغلب اسمهم عبر الأجيال واطلق اسم الاسرائيليين على الجماعة كلها [5]

---

1. P.B. Cornwall, JCS 6 (1952), 137 ff.

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ص ٤٧٧ ، فيليب حتى ، المرجع السابق ص ١٧٥ .

(٣) محمد عبد القادر محمد الساميون فى العصور القديمة ص ٢٠١ .

(٥) عبد الحميد زايد . الشرق الخالد ص ٣٤٥ .

4. Moscati, The Semites, p. 67 f.

ولكن هذا الازدواج بين الأسمين لا يعني بالضرورة أنهما مدلولان لمعنى واحد حيث أن الآراميين قد ورد ذكرهم مستقلين عن الأخلامو والسوتو في نص من عهد أشور — بل — كالا (١٠٧٣ — ١٠٥٦ ق . م) خليفة تيجلات — بيلزر الأول [1] بينما في النصوص المتأخرة من عهد أداد — نيراري الثاني واشور ناصر — ابلي الثاني (القرنين العاشر والتاسع ق . م) جاء ذكر الأخلامو — أرامايا » بجانب الآراميين[2] . ولكن الاحتمال كبير في أن الأسم المزدوج « أخلامو — أرامايا » يعبر عن اتحاد مجموعات من القبائل الرحل قياسا باسماء القبائل المزدوجة المشابهة مثل امدانو — ياخرورم واموزو — سوتيوم التي وردت في نصوص العهد البابلي القديم [3] علاوة على ذلك فإن الكلمة « آرام » نلتقي بها غالبا مضافة إلى غيرها كما في الاسماء المركبة التي تظهر في العهد القديم مثل رآم — نهارايم وآرام — صوبه وآرام — دمشق وارام — بيت — رحوب وارام — معكه وفدان — ارام . وايا ما كان الامر فإن العلاقة التاريخية الوثيقة بين الاخلامو والآراميين أدت أحيانا إلى ارجاع اللغة والكتابة الارامية إلى الاخلامو وذلك في المصادر السماريه المتأخره [4] .

---

1. E.F. Weidner, AFO 6 (1930), 88 ff.

(٢) عبد الحميد زايد : المراجع السابق ص ٣٤٥ .

3. Cf. S. Moscati, JSS 6 (1959), 303 ff.

(٤) قارن ايضا تلك الملاحظة الهامة التي وردت في نص متأخر من آوروك عن « أبا — انليل — دازي الذي يسميه الأخلامو احيقار » (أي بالارامية)

أنظر .

J. Van Dijk, AFO, 20 (1963), 217b.

مناطق توسع الآراميين :

يرد اسم الآراميين فى نصوص تيجلات ـ بيلزر الأول فى موضعين منفصلين، أولهما فى حوليات السنة الرابعة من حكمه (١١١٢ ق . م) حيث يفاخر بأنه « توغلت فى الصحراء فى وسط اخلامو — أراما يا . . . وأغرت فى يوم واحد على البلاد من سوخو (فى وسط الفرات ـ وهى شواح كما ورد فى العهد القديم تكوين ٢٥ : ٢) حتى مدينة قرقيش »[1] . ويذكر هذا الملك أنه أثناء عبورة الفرات فتح ست مدن ارامية وهدمها واحرقها وكلها تقع فى منطقة جبل بشرى التى ذكرت فى وثائق يرجع تاريخها إلى الف سنة قبل عهد هذا الملك كوطن دائم للقبائل الرعويه[2] . لقد اتخذ هذا النص دليلا على أن الآراميين قد اتخذوا من المنطقة جنوب شرق منعرج الفرات مستقرا لهم ومنها بدأوا فى الانتشار .

وتبين لنا الاشارات الأخرى عن الآراميين مقاومتهم المستمره للاشوريين ، حيث أنهم كانوا يتدخلون بصفة مستمرة فى الأحوال الداخلية للمنطقة وقد ظلوا محتفظين دون ريب بطريقتهم التقليدية فى الحياة وهى «المراوغه» أو «المراوغين» وهو الوصف الذى اطلقه عليهم الآشوريون . فيقص علينا تيجلات ـ بيلزر الأول أنه اضطر إلى عبور نهر الفرات لايقل عن ثمانية وعشرين مرة اثناء غاراته المتكررة لاخضاع الآراميين فى الغرب . وفى نص آخر يقول : « من سفح جبال

1. ARAB I, § 239.

(٢) أنظر : و

S. Smith, Erly History of Assyria (London, 1928), p. 98.

كذلك انظر : من حيث أن هذه المنطقة كانت موطنا للاموريين .

H. Hirsch, AFO 20 (1963), 28-9.

لبنان (١) ، من مدينة تدمر (باليرا) فى أرض أمورو (تجاه) عناه فى سوخو حتى مدينة رابيقو فى بلاد كاردونياش (بابل) ، انزلت بهم الهزيمة (٢) ، فمن هذا النص نجد أن القبائل الآرامية قد ارتبطت بجبال لبنان قبل اشتباكهم فى هذه المنطقة مع شاؤل وداود ملكى اسرائيل بما يقرب من ثلاثة أو أربعة اجيال .

وتوضح مدونة آشورية كيف كان خطر الآراميين عظيما حوالى نهاية حكم تيجلات - بيلزر الأول عندما توغلوا فى آشور نفسها واستولوا على المدن وهددوا طرق المواصلات (٣) .

وفى عهد خليفته آشور - بل - كالا (١٠٧٣ - ١٠٥٦ ق . م) تجددت ثورات الآراميين وانتصر عليهم مرتين وقد ورد ذكرهم فى حولياته منفصلين عن الاخلامو وهناك أشاره خاصة (فى حوالى عام ١٠٧٠ ق . م) إلى « أرض آرام mat Arime (٤) التى يصعب تحديد مكانها . وإذا صح ما أعتقده البعض بأن « المسله المكسوره » التى عثر عليها فى نينوى ترجع إلى عهد هذا الملك (٥) ، فإن الآراميين الذين يمثلون العنصر البارز فى نصها ، يكونوا قد انتشروا فى كل المنطقة حول جبال كشيارى (طور عابدين الحالية) تجاه نهر دجلة فى الشمال وعلى طول وادى الخابور فى الجنوب وكان لهذه الوجه الآرامية على أعالى الفرات

---

(١) أنظر :

Weidner, AFO 18 (1958), 342 ff. Test I.

2. Cf. ARABI, § 287.

3. Cf. Weidner, AFO 17 (1957), 384; CAH 2, rev. ed., ch. 31, pp. 22, 25.

4. ARABI, § 366.

5. J.A. Brinkman, A Political History of Post-Kassite Babylonia (Rome, 1968), pp. 383 ff.

أثرها على حكومة بابل فى بداية القرن الحادى عشر وكان الغزو الآرامى من الدوافع الكبرى لاتحاد ملك آشور « اشور ـ بل ـ كالا » مع ملك بابل مردوخ — شابك — زر — مانى ولكن بابل تعرضت لغارات القبائل الآرامية من ناحية الصحراء وادى ذلك إلى سقوط ملكها وظهور الآراميون فى بابل إذ تمكن أحد الآراميين ويدعى « أداد ـ ابلا ـ ادين » من أغتصاب عرش ابل وهو الخاب التالى (وليس المباشر) لمردوخ ـ نادين ـ أخى [1] ولقد كان ملك الآشوريين سياسيا ماهر فاعترف بالملك الجديد حتى أنه تزوج بابنة المغتصب وقد احضرت له مهرا كبيرا وبتلك السياسة كان يعتقد ملك آشور أن معظم الهجرات ستوجه نحو بابل وفعلا استمر سيل الهجرة نحو بابل أن معظم الهجرات ستوجه نحو بابل وفعلا استمر سيل الهجرة نحو بابل غير أن الهجرات الآرامية لم تتوقف نحو آشور نفسها . فنرى أن قبائل آرامية قد احتلت دور ـ كوريكا لزو جنوبى دجله وذلك أيام الملك أداد ـ ابلا ـ أدين ، زيادة على ذلك فقد استطاعت القبائل الآرامية الآتية : ليتو وحيندارو البوقودو وغامبولو الاستيلاء على شواطىء دجله الشرقية وكانت هذه القبائل تحت اشراف شيوخ محنكين اقوياء [2] .

وهكذ بدأ الآراميون يلعبون دورا هاما فى التاريخ فى نهاية الألف الثانية وبداية الالف الأولى قبل الميلاد حيث بدأت تتكون دويلات آرامية عديدة تتمتع بنوع من الاستقلال . ولقد ساعد على ذلك أن الدول التى كانت تتنازع السيطره على بلاد الشرق القديم فى ذلك الوقت خاصة مصر وبابل وخاتى قد أصابها الشلل جميعا بعد أن دبت الشيخوخه إلى أوصالها حتى غدت بلاد النهرين ومصر والأناضول مضيعة القوى جميعا ، بينما ـ سوريه أحست بالحرية وبدأت

---

(١) عن دخول الآراميين بابل ، أنظر .

Wiseman (CAH, Rev. Ed., Ch. 31, pp. 26 ff.

(٢) عبد الحميد زايد المرجع السابق ص ٣٤٢ .

تلتقط أنفاسها بعد طول ما أنهكها من صراع بين الطامعين فيها فتقدم من الجنوب الفلسطينيون والاسرائيليون يحاولون استيطانها بينما زحف الآراميون من الشمال [١] .

ويعتمد المؤرخون فى معرفة تاريخ الدويلات الآرامية على ثلاثة مصادر رئيسية أولها نصوص العهد القديم وثانيها النقوش المكتوبة المسمارية الأشورية وثالثها المصادر الآرامية القديمة وهى طائفة من النقوش كشف أ كثرها حديثا وتنتمى إلى المدن القديمة جوزانا (تل حلف) وسمال (زنجرلى) وارباد (شمال حلب) وحماه [٢] ولقد زودتنا المصادر الآشورية والآرامية والعهد القديم بمعلومات عن الدويلات الآرامية التى قامت فى سوريا بينما تلك التى قامت فى بلاد الرافدين جاءت معظم اخبارها من المصادر الآشورية منذ أواخر القرن العاشر قبل الميلاد .

ففى سوريا الشمالية وهى المنطقة الواقعة إلى الغرب من منعرج الفرات نشطت حركة الغزو الآرامى بقوة ولكن فى هذه البقعة وجد الآراميون عقبة أمامهم من جانب الحيثيين الذين كانوا حتى بعد القضاء على امبراطوريتهم لهم سيطرة على المنطقة خصوصا فى قرقيش وحلب وحماه ، ولم تسعفنا النصوص عن تفاصيل ذلك الصراع ، إلا أنه مما لاشك فيه أن المنطقة من أرباد إلى حلب والتى تعرف بمقاطعة بيت اجوشى والتى تقع بالقرب من بيت أدينى قد استولى عليها الآراميون ولكن قرقميش قد استمرت تحت سيطرة الحيثيين حتى أيام سرجون .

---

1. Wiseman, op. cit.,

وقارن أيضا

Unger, op. cit., p. 38.

(٢) عبد الحميد زايد . المرجع السابق ص ٣٤٠ .

وإذا ما تقدمنا شمالا ، نجد أن الآراميين قد تقدموا إلى وادى كراسو وهناك عند أسفل جبل امانوس المملكة الصغيرة المسماه يمودى وتسمى أيضا بالآرامية سمأل وكان لها عاصمة تسمى زنجرلى . وفى الجنوب وقعت حماه فى قبضة الآراميين منذ نهاية القرن الحادى عشر فقد جاء فى العهد القديم (صمويل الثانى ٨ : ٩ — ١٠) أنه فى عهد الملك داود كان ملك حماه يدعى توعى وأما ابنه فكان يسمى يورام واسم الأب غالبا ما يكون من أصل حيثى أما اسم الابن فسامى الاصل . وقد ظهر فى الأحافير التى اجراها H. Ingholt فى حماه عن حضارة فى طبقة آرامية من طبقات الحفائر (مع وجود نصوص آرامية صغيره) تلى مباشرة الطبقة الحيثية وترجع إلى حوالى ١٠٠٠ ق. م.(١) . ومع ذلك لاتوجد أى أشارة أثريه أولغوية تحدد لنا بوجه التأكيد تاريخ مجىء الآراميين والساميين وليس هناك مايمنع من أن نضعهم فى نهاية القرن الحادى عشر . وجدير بالذكر أن الاحتلال الآرامى لم يقض على الحضاره السابقة فقد كشف فى حماه عن نصوص الهيروغليفية الحيثية تؤرخ غالبا من القرن التاسع . ولكن هذا لايدعونا أن نتصور ان ملوكا من الحيثيين قد حكموا هناك فى ذلك الوقت ، ولكن هى تشير فقط إلى أن اللغة والكتابة الحيثيه كانتا فى هذا الوقت إلى جانب الآرامية وبوجه عام فإن الثقافة الحيثيه قد اجبرت على الخضوع للغزاه الآراميين .

وعلى أى حال فما لانزاع فيه ، أنه منذ القرن الحادى عشر ق . م فإن الآراميين قد استقروا فى وادى أعالى الأورنت فى وادى الليطانى وفى كل جنوب سوريا . ففى أيام شاؤل الملك (١٠٢٠ — ١٠٠٠ ق . م) وأيام داود

(١) سبتينو موسكاتى . الحضارات السامية القديمة ص ١٧٨ من الترجمة العربية للسيد يعقوب بكر .

وكذلك بيت باخياني وعاصمتها جوزان (تل حلف قارن الملوك الثانى ١٧ : ٦) فى وادى الخابور الأعلى وبيت خالوبى فى وادى الخابور الأدنى ولاقى التى احتلت السهل الجنوبى عند مرتفعات سنجار وخيندان وسوخو على الفرات الأوسط من عانه إلى ربيقو بين خانق الخابور وخانق الزاب وبيت زمانى فى منطقة جبال كشيارى فى الشمال وعاصمتها اميدى (دياد بكر الحالية) وثلاث مدن فى شرق أعالى الخابور وهى نصيبين وحوريزانا وجيدارا وقد اسستها القبيلة الآرامية التى كانت تسمى «نيمانيا» واستولت جماعات « اوتواتى » على شواطىء دجله بين رافد الزاب إلى نهر العظيم .

أما الكلدانيون ــ وهم فرع من الآراميين ــ فقد تمركزوا فى جنوب بابل حتى الخليج الفارسى وكانوا رعاة واسسوا هناك ست دويلات صغيره هى لاراق وبيت شيلانى وبيت شعالى وبيت أموكانى وبيت داكورى وبيت ياكين[1] .

الصراع بين الآراميين فى بلاد الرافدين :

أصبحت آشور محاصرة تماما بالآراميين، لا يوجد لها منفذ لتجارتها الخارجية وأصبحت فقيره وفى محنة ولكنها كانت تحتفظ بجيش مدرب قوى وله ارادة من حديد ، وفى هذه الظروف الصعبه أخذت تستعد للانتقام . ومنذ القرن العاشر قلت درجة الغزو واستقر الآراميون فى الأرض المحتلة وتحضروا وافلحوا الأرض وانكبوا على التجاره . وبوجه عام فقد استقلت حكوماتهم كل واحده عن الأخرى ولم تتمكن من توحيد قواها وقد استطاع بعضهم عادة أن ينجح فى تشكيل اتحاد إلا أنه كان مزعزعا نتيجة للفتن والعداءات المستمرة بين القبائل الآرامية وقد استفاد الآشوريون من تلك الخصومات والانقسام .

---

1. Kraeling, Op. cit., pp. 53 ff.

(١٠٠٠ ـ ٩٦٠ ق . م) ذكر العهد القديم اسماء كثير من الامارات الآرامية وجدت فى هذه الاقاليم وكانت تتاخم مملكة العبرانيين منها : آرام ـ صوبه وآرام ـ بيت رحوب وارام ـ معكه وفدان ـ رام وحشور ودمشق وكانت تقع صوبة فى البقاع ويرجح أن مكانها الآن بلدة عنجر جنوبى زحلة [1] بينما تقع بيت رحوب إلى الجنوب فى الاقليم الأوسط من مجرى الليطانى وكانت تحتل معكه بدون شك منطقة دان (تل القاضى) والفولانيه ، أما جشور فقد كانت فى الناحية الشرقية بين اليرموك ومنطقة دمشق [2] . إذن من اين اتى الآراميون الذين احتلوا هذه الأراضى ؟ هل جاءوا من الصحراء السورية مباشرة أو من سوريا الشمالية ؟ أو من بلاد الرافدين ؟ ليس لدينا وثيقة تستطيع أن تضع بين ايدينا اجابة واضحة . والشيء الذى لاشك فيه هو أن الآراميين لم يواجهوا من أهل سوريا الجنوبية مقاومة قوية فالشعب هناك كان يتكون أساسا من الاموريين والكنعانيين وسادت بينهم الفوضى منذ أيام « العمارنة » وعلى العكس فقد كانت مدن الساحل الفينيقى ببلوص وصيدا وصور أكثر تنظيما وأكثر حماية فقد نجحت فى أن توقع بالغزاة خسارة كبرى ولم يستطع هؤلاء الغزاة أن يصلوا إلى البحر .

أما عن الدويلات التى قامت فى بلاد الرافدين فقد جاءت معظم اخبارها من المصادر الآشورية منذ أواخر القرن العاشر قبل الميلاد . وأهم هذه الدويلات بيت أديني (بيت عدن فى العهد القديم عاموس ١ : ٥) التى تكونت حول ضفتى شمال نهر الفرات عند اقترابه من سورية وكانت عاصمتها تل بارسيب (تل الأحمر حاليا) وكانت تمتد حدود هذه المملكه إلى الشرق حتى نهر البليخ.

---

1. Kraeling, op. cit., p. 40.

(٢) عبد الحميد زايد . المرجع السابق ص ٣٤٩

لقد بلغ التهديد الآرامى للآشوريين ذروته حينما بدأت فى الضعف أيام آشور — رابى الثانى (١٠١٢ — ٩٧٢ ق . م) وتيجلات — بيلزر الثانى (٩٦٦ — ٩٣٥ ق . م) . وفى هذه الآونه بدأت قوة الآراميين فى الغرب فى التدهور بسبب قيام دولة اسرائيل . ولكن بنهاية القرن العاشر قبل الميلاد استطاع آشور — دان الثانى (٩٣٤ — ٩١٢ ق . م) مهاجمة الديلات الآرامية فى الخابور الأعلى ، كما نجح اداد — نيرارى الثانى (٩١١ — ٨٩١ ق . م) فى الاغارة عليها وكذلك على الدويلات الآرامية فى الفرات الأوسط خاصة فى منطقة طور — عابدين لغزا دويلات خوريزانا وجدارا وراقا ماتو ونصيبينا واحالهم إلى ولايات اشورية ثم قام فى عام ٨٩٤ ق . م بحملة كبيره فى وادى خابور من منبعه حتى الفرات وخضع جميع الناس فى تلك المنطقة له دون مقاومة عنيفة وفى عام ٨٨٥ ق . م قدمت دويلة بيت — زمانى لوليه توكولتى — — نينورتا الجزيه والخضوع التام وكذلك عاصمتها أميدى الواقعة فى أعالى نهر دجلة [1] .

كما تمكن اشور — ناصر — ابلى الثانى (٨٨٣ — ٨٥٩ ق . م) وكذلك شلمنصر الثالث (٨٥٨ — ٨٢٤ ق م) من توجيه ضربات متواليه للآراميين . فبعد أن اطمأن اشور — ناصر — ابلى الثانى إلى حدوده الشرقية والشمالية تحول إلى الغرب واستولى على الدويله الآرامية « بيت خاديبى » . كما اشتد الصراع بينه وبين بيت زمانى وقد اخضعها مؤقتا [2] . ثم اتجه إلى دويله بيت أديبى . وكانت هذه الدويله تحتل مكانا ممتازا فى منعرج الفرات على الطريق من حران إلى سورية . وكانت بيت أديبى تتدخل فى اشعال الثورات بين الدويلات الآرامية لمضايقة اشور يتضح هذا من الثورة التى قامت فى سورو

---

1. Dupont-Sommer, Les Aramdens, p. 32; ARAB, I, § 400-34.
2. Kraeling, op. cit., p. 53.

عاصمة بيت خالوبى فى عام ٨٨٤ ق . م فتدخل اشور - ناصر - ابلى الثانى وقضى على الثوره وادب الثائرين كما تسلم الجزيه من بعض الدويلات الآرامية الأخرى . وحدث فى عام ٨٧٨ ق . م أن قامت ثوره جديدة فى لاق وخيندان وسوخو فقضى عليها [١] وكان لزاما عليه أن يؤدب بيت أديبى لتكف عن تحريك هذه الثورات . وقد سار إليها أشور - ناصر - ابلى - الثانى وأجبر ملكها اخونى على دفع الجزيه ونفى إلى كالح ٢٤٠٠ ارامى من هذه المنطقة وفى هذه الاثناء اضطرت دويلة بيت اجوشى الآرامية إلى دفع الجزيه التى فرضت عليها . بعد ذلك ناصب ابنه شلمنصر الثالث العداء لبيت أديبى عام ٨٥٨ ق . م حيث كان يحكمهم الملك اخونى وكان يعمل على القضاء قضاء تاما على تلك الدولة التى كانت تقف حجر عثره فى سبيل تقدمه إلى سوريه الشمالية . واحست جميع الديلاب المجاورة بالخطورة فتحالفوا مع بيت أديبى ومنهم كركم وسمأل وقرميش وحطين وبيت أجوشى وخيلاكـكو . لم يلق شلمنصر الثالث بالا على هذا الحلف وعبر الفرات إلى الشمال متجها إلى مقاطعه كـصوخ وبعد ذلك نزل إلى الأورنت حتى حتى البحر وهزم الحلفاء واجبرهم على دفع الجزية وهم صاغرون . وفى العام التالى أى فى عام ٨٥٧ ق . م أعاد ملك اشور الـكره وفى هذه المره شدد الحصار على تل - برسيب عاصمة بيت أديبى وضيق عليها الخناق وقاومت المدينة ولـكنها سقطت فى السنة التالية فغير شلمنصر اسمها إلى « كار - شولماناشريد » أى « ميناء شلمنصر » وأقام فيها مستعمرات اشورية وبنى فيها قصرا وهكذا أصبحت بيت أديبى ولاية اشورية كما أصبح الطريق مفتوحا أمام الآشوريين نحو الغرب إلى سورية [٢] . تابع اشوردان الثالث (٧٧٢ - ٧٥٤ ق . م) الصراع ضد الآراميين ولـكن اشورنيرارى الخامس (٧٥٣ - ٧٤٦ ق . م) استطاع أن

---

1. Ibid., pp. 54-58; ARAB, I, § 479-518.

(٢) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٨٥ — ٨٦ وكذلك ،
Kraeling, Op. cit., pp. 60-63.

يعقد معاهده مع « ماتى ايلو » من بيت اجوشى (١) .

وحوالى النصف الثانى من القرن الثامن قبل الميلاد انتقل مركز نشاط الآراميين إلى بابل . فمنذ القرن الحادى عشر قبل الميلاد تسللت أعداد كبيره من الآراميين والقبائل التى تربطها بهم صلة قوية مثل السوتيين والكلدانيين فى بابل حيث لعبت دورا هاما فى عهد تيجلات - بيلزر الثالث (٧٤٤ - ٨٢٧ ق . م) (٢) فتوضح لنا نقوشه أن حوالى خمسة وثلاثون قبيلة ارامية كانت تقيم حول الخليج الفارسى ومن بينها قبيلة البوقودو (فكرد فى ارميا ٥٠: ٢١ حزقيال ٢٣ : ٢٣ . وكان رؤساء هذه القبائل يعرفون باللقب ناصيكو Nasiku - (قارن اللقب العبرى ناسيك Nasik الذى كان يطلق على شيوخ قبيلة مدين) كانت مصدر قلق ليتجلات - بيلزر وخلفائه .

فحينما توفى نابو - ناصير ملك بابل عام ٧٣٤ ق . م اغتصب احد شيوخ الآراميين عرش بابل ويدعى أوكين - زر (٧٣٢ ق . م) . وحاول الآشوريون تحريض أهل بابل للثوره ضده ووعدوا باعفاء اى ارامى من الجزيه إذا ماتخلى عن مليكه (٣) وبعد أن فشلت المفاوضات الدبلوماسية هزم تيجلات - بيلزر المغتصب الآرامى ونهب ممتلكات قبيلته وحكم بابل بنفسه .

لقد كان أول من تعامل مع الآراميين فى بلاد البحر (جنوب بلاد النهرين) سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق . م) . لقد انتهزت بابل فرصة قيام ملك جديد على اشور لتثير المتاعب لأنها كانت تسعى لرفع النير عن كاهلها . ولذا فاننا نرى

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ج ٥ ص ٢٦٥ .

2. J. Brinslmann, Op. Cit., pp. 267 ff.
3. Nimrud Letters, Iraq, 17 (1955), pp. 21-56; Cf. ARAB, I, § 792-4, 806.

أن « مروداخ بلادان الثانى » (مرودخ ـ ابل ـ أدين) ملك بيت يا كين فى اقليم البحر يعلن ضم بابل إليه ويهيمن عليها حاكما من قبله ثم يتحالف مع « هو مبانيجاش الأول » ملك عيلام الذى قدر مغبة تغلغل الآشوريين وما قد يحيق بها من وراء سيطرة امبراطوريتهم الواسعة ، لينقض تحت اسوار مدينة الدير على الجيش الذى وجهة سرجون الثانى ضده ثم يعيد توزيع الأملاك فيمنح جنده الآراميين ـ وبخاصة الكلدانيين جانبا من الأراضى المنتزعة للبابليين . ولعل بابل كانت منذ زمن طويل تسعى وراء الحرية فالأمر بالنسبة لها كان قد انتقل فى عهدى تيجلات ـ بيلزر وشلمنصر إلى أن أصبحت ضمن املاك آشور، ففقدت بذلك شخصيتها التى كانت تعتز بها ومن ثم ظلت تترقب الفرصة لتخرج عن نير اشور ، وهكذا أصبحت مركزا للناقمين والمتآمرين والطامعين فى العرش من الكلدانيين . وكانت عيلام ، من وراء بابل ، تستثيرهم وتهيجهم ضد الأشوريين وتغرى فى نفوسهم الاحقاد ولم تكن الإثارة معنوية فحسب بل أن العيلاميين كانوا يمدون الناقمين بالرجال والعتاد ، وهكذا استطاع مروداخ بلادان الثانى أن يجد تحت يديه عددا ضخما من هؤلاء استطاع أن يوحد عن طريقهم القبائل الكلدانيه ويجابه اشور بالقوة الجديدة التي يسيطر عليها . وقد بدأ الصراع بمجرد تولى سرجون الثانى العرش ولكن يبدو أن واحدا من الفريقين لم يقدر له أن ينتهى إلى غلبه حاسمه إذ أن الصراع ظل قائما حتى عام ٧١٠ ق . م حيث هزم مروداخ بلادان بعدأن عجز العيلاميون عن مد يد المساعده إليه فهرب إلى الجنوب حيث عين حاكما على بيت يا كين وأما سرجون فاستحل لقب ملك بابل وهو اللقب الذى كان لاسلافه من قبل . ولكن بعد ذلك أراد سرجون أن ينهى صراعه مع مروداخ بلادان وبعد انتصاره نقل أهل بيت يا كين بعد اجتياحها إلى « كوماجين » (١)

---

1. G. Groux, Ancient Iraq, pp. 282 ff.

وكذلك ، نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق جـ٥ ص ٢٧ وما بعدها .

ولم يكدسنا خريب يصل إلى العرش (٧٠٥ — ٦٨١ ق . م) حتى ظهر على المسرح مروداخ بلادان الثاني يسنده « شوروتوك ناهونتي الثاني » العيلامي وبعض امراء العرب ولكن سناخريب ظهر عليهم في عام ٧٠٣ ق م بالقرب من من كيش ولجأ مروداخ بلادان إلى المستنقعات حيث التقى بالأمير الكلدني « مشزيب مردوخ » . أما بابل فقد عين عليها حاكما من قبله هناك هو بعل ابني الكلداني الذي نشأ من قبل في البلاط الآشوري (٧٠٣ — ٧٠٠ ق . م) ولكن بعل ابني عاد بدوره فتآمر مع مروداخ بلادان ومشزيب مردوخ والعيلاميين فاقتيد اسيرا إلى اشور ووضع مكانه اشور — نادين — شومي من ابناء الملك (٧٠٠ — ٦٩٣ ق . م) وقد حارب سناخريب مدى عام ضد الآراميين في بابل وأهالي بلاد الرافدين واضطر مروداخ بلادان في نهاية الأمر للهرب إلى عيلام (بعد أن « حشد الهة بلاده كلها في مقاصيرها وحملها على سفنه والتجأ إلى مستنقعات ناجيت في وسط البحر » . وقد نفي إلى اشور في هذه الحملة حوالي ٢٠٨ الف من الآراميين (١) .

وفي عهد اسرحدون (٦٨١ — ٦٦٩ ق . م) اثار « نابوزركتي لشير » ابن مروداخ بلادان الثاني أرض البحر وحاصر أور فخرج اسرحدون لمحاربته وهزمه مما اضطره إلى الهرب إلى عيلام حيث قتله ملكها وقد اعترف باخيه « نايد مردك » ملكا مكانه عقب هربه . وبعد ذلك بعامين عزل شيخ بيت داكوري الذي كان يمتلك أرضا في أعالي الفرات ممتده حتى بورشيبا والذي كان قد استولى على ممتلكات مواطني بورشيبا وبابل (٢) .

وفي عهد اشور بانيبال (٦٦٨ — ٦٢٧ ق . م) ازدادت قوة القبائل

1. ARAB, II, § 262.

وكذلك نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ح ٥ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

2. Saggs, The Greatness that was Babylon, p. 124.

الـكلدانية فى بلاد البحر بعد أن تعلموا من الآشوريين أساليب الحرب والقتال وقد واجه المتاعب من جديد فى هذه البلاد بسبب المؤامرات التى كان يحيكها شقيقه شمش ـ شوم ـ أوكين الذى كان يسيطر على بلاد البحر . تمـكن شمس ـ شوم ـ أو كين من التحالف مع ملك عيلام ومع القبائل الـكلدانية ومع ابسماتيك ملك مصر كما انضم عرب الصحراء ايضا إلى هذا التحالف الموجه ضد اشور . منى الجيش العيلامى بهزيمة ساحقة أمام الجيش الآشورى الذى بدأ فى تطهير جنوب بلاد البحر من القبائل الكلدانية ومحاصرة بورشيبا وبابل وبذلك قطع طرق المواصلات بين المتحالفين فى هذه المؤامرة . وفى نهاية الأمر استسلم شمس شوم ـ أوكين عام ٦٤٨ ق . واعتلى اشور ـ بانيبال عرش بابل لمدة عام ثم عين نائبا عنه هناك يدعى كاندالانو .

أصبحت عيلام قاعده لأحد القواد الـكلدانيين ويدعى نابو ـ بل ـ شوماتى حفيد مردوخ ـ بالأدان ، والذى أخذ يدبر منها مؤامراته ضد بلاد البحر . تمـكن اشور بانيبال من الهجوم على عيلام وهرب حاكمها أوما نالدلش إلى الجبال ولم يعد فى مركز يسمح له بحماية نابو ـ بل شوماتى القائد الـكلدنى الذى أثر الموت بأن أمر حامل درعه بأن يقضى على حياته وهكذا دانت بلاد البحر مرة أخرى لسلطان اشور .

وبموت اشور بانيبال عام ٦٢٦ ق . م احتل احد القواد الـكلدانيين المدعو نابو بولاصر بلاد بابل نفسها وأعلن نفسه ملـكا على البلاد وحاول التقدم نحو اشور ، ففى عام ٦١٢ ق . م وصل إلى نينوى واستولى عليها وأنهارت الإمبراطورية الاشورية وحلت محلها الإمبراطورية الكلدانية (أو البابليه الحديثة) . أما عن الآراميين فقد ذابوا فى الإمبراطورية الجديدة ولـكنهم لم يتلاشوا تماما بل انتشروا فى كل مـكان فى بلاد الرافدين وفى سوريا كلها . وهـكذا

انتهى تاريخ الآراميين السياسى بعد أن قاموا بدور هام قرابة أربعة قرون أو خمسة[1] من الزمان .

الآراميون والعهد القديم

هناك عبارة غامضة فى سفر عاموس (٩ : ٧) ترجع أصل الآراميين إلى مكان يسمى قير الذى يحتمل أن يكون بالقرب من عيلام[2] وذلك على الرغم من أن هذا المكان قد ذكر فى سفر عاموس (١ : ٥) والملوك الثانى (١٦ : ٩) باعتباره المكان الذى قدره الرب ليكون منفى أراميى دمشق . وتوحى العبارات التى وردت فى سفر عاموس بأنه بعدما يقرب من خمسمائة عام من اقامة الآراميين فى سورية ، كانت لاتزال توجد رواية متداوله عن هجرة الآراميين تشبه إلى حد كبير قصة خروج الأسرائيليين من مصر أو الفلسطينيين من كفتور[3] كما تشير أيضا إلى ماقد يؤدى إليه سلوكهم المعوج من نتائج وذلك بارجاعهم إلى موطن اجدادهم . ليس هذا التهديد الا أثر من اثار ذكرى التهديد الذى وجه إلى الأسرائيليين العصاه بارجاعهم ثانية إلى مصر[4] .

ومن ناحية أخرى فهناك مصدر خاص باسفار موسى الخمسة (التوراه) ذكر أن موضع اقامة الآراميين الأول « أرض بنى المشرق » (تكوين ٢٩ : ١) حيث يتقابل يعقوب مع لابان ، وعلى ذلك تعبر العبارة « أرض بنى المشرق » بوجه الدقة فى العهد القديم عن الصحراء الواقعة إلى الشرق من فلسطين وهى الصحراء السورية .

1. Sagss, Op. Cit., p. 131 ff.

(٢) قارن ، اشعيا ٢٢ : ٦ .

3. Cf. C.H. Gordon, JBL 74 (1959), p. 289.

(٤) قارن ، تثنية ٢٨ : ٦٨ ، هوشع ٨ : ٣١ .

وتضم « قائمة الأمم » التى ذكرها العهد القديم (تـكوين ١٠ : ٢٢ ـ ٢٣) آرام الجد الأول الاراميين فى عداد ابناء سام مع عيلام واشور مبينه بذلك ازدياد أهمية الآراميين فى الشرق الأدنى القديم منذ الثلث الأول من الألف الأول قبل الميلاد . كما تذكر نفس القائمة أربعة أبناء لآرام هم : عوص وحول وجاثر وماسين الذين لانعرف شيئا عن شخصيتهم ولاعن مواطنهم . ولـكن « لفائف قمران » (١) تحدد موطن هؤلاء « فيما وراء الفرات » . ولـكن فى سلسلة انساب ناحور (تكوين ٢٢: ٢٠ — ٢٤) نجد أن آرام يعتبر حفيدا لنا حور وابنا لقموئيل من ذرية زوجة ناحور وليس من محظيته وبهذا تضعهم فى بلاد النهرين وليس فى جنوب سوريا (٢) . كما أصبح ارام هنا أيضا مجرد ابن شقيق لعوص وليس أبا له .

ويصل العهد القديم آباء العبرانيين الأول بالآراميين ، فلم يذكر فقط أن أن ابراهام شقيق ناحور بل أن أسحاق ويعقوب قد تزوجا ابنتي أبناء عمومتهم بتوئيل ولابان الآراميين (تـكوين ٢٥ : ٢٠ ، ٢٩ : ٢١) . ويؤكد العهد القديم أرامية لأبان إذ يعزى إليه العبارة الآرامية « يجر يهدوثا » والتى ترادف العبرية « جلعيد » والتى تعنى « رجم الشهادة » (تـكوين ٣١ : ٤٧) . كما جاء فى سفر التثنية (٢٦ : ٥) ن يعقوب الذى كان يطاق عليه اسرائيل لقب مره « الآرامى التائه » (٣) هذا بجانب أن اسل الأسمين اللذين يطلقان على ذلك الشعب قد اشتقا من ارام وعبر وقد نقل كلا من الأسمين متجاورين فى القوائم الخاصة بابناء سام .

---

1. Qumran War Scroll II. 10.

(٢) انظر التعليقات على سفر التكوين فى :
B. Mazar, BA25 (1962), 99.

3. Cf. L. Koehler & Baumgartner, Hebräisches und Aramäisches Lexikon zum alten Testament, 3rd ed. (Leiden, 1967), p. 2b.

لقد تأثر كثير من المحدثين بما جاء فى العهد القديم ونادوا بانعدام وجود فوارق واضحة بين الآراميين والعبرانيين من ناحية الأصل أو المصدر الذى جاءوا منه ويؤكدون احتمالا أن الجنسين امتزجا على الحدود منذ البداية حينما كانت تعيش كل جماعة منهما عيشة الرعى فى الصحراء نفسها ، حتى أن القبائل الشمالية مثل « نفتالى » استطاعت أن تتحول من اسرائيلية إلى سورية . وبجانب هذا يعللون الصلة القوية بين اباء العبرانيين والآراميين بأنهم يستطيعون ترسم ميلا آراميا واضحا فى قصة ابراهام واسرته الذى اتى من حران الآرامية — على حد قولهم — قبل أن تكون دمشق كذلك بزمن طويل [١] .

ولكن إذا رجعنا إلى المصادر الأخرى خارج العهد القديم لوجدنا أنها لم تؤكد ظهور الآراميين أيام اباء العبرانيين الأول أو على الأقل لم يكن لظهورهم شأن كبير لدرجة أن يطلق أسمهم على منطقة واسعة مثل منطقة الجزيرة فى بلاد الرافدين والتى تشمل نهر الخابور وكلا ضفتى الفرات فى أقصى الغرب ففى العهد القديم كانت هذه المنطقة تسمى « ارام — نهاريم » (ارام — النهرين أى الفرات ورافدة الخابور) ولكن إذا رجعنا إلى المصادر الأخرى التى يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر حتى القرن الثانى عشر قبل الميلاد نجد أن هذه المنطقة كان يطلق عليها اسم « نهارايم » فقط بينما فى النصوص المصرية كانت تسمى « نهارينا » وفى الأكدية « ناخريما أو ناريما »[٢]

وهكذا نجد أن ظهور الأسم المركب « ارام — نهارايم » وكذلك العلاقة

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٨٨ .

(٢) من أجل هذا الاسم وظهوره فى العهد القديم وفى المصادر الأخرى انظر :

R.T. O'Collaghan, Aram Naharaim (Rome, 1948), pp. 131 ff.

J.J. Finkelstein, JNES 21 (1962), 73 ff; Cf. Kraeling, Op. Cit., pp. 20 ff.

المفترحة بين الآراميين واباء العبرانيين يحتويان على مفارقة تاريخية حدثت تحت تأثير استيلاء القبائل الآرامية على منطقة الجزيرة في زمن لاحق أي في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد (١) . بجانب هذا فإن جميع الآراء التي نادت بأن اباء العبرانيين الأول يرجعون في أصلهم إلى الآراميين قد لاقت الآن معارضه قوية وأصبحت مرفوضه من وجهة النظر التاريخية (٢) .

كما نجد في العهد القديم أن ارام أو ارام ـ نهارايم كانت الوطن الأصلي لـكوشان ـ رشعتايم أول من عادى اسرائيل أيام القضاه (قضاه ٣ : ٨ ، ١١ الذى يؤرخ في حوالى عام ١٢٠٠ ق . م) أو بلعام الأقدم منه عهدا (تثنية ٢٣ : ٤) وهنا أيضا توجد مفارقة تاريخية حيث أن موطن اسلاف بلعام هو مدينة فتور التي تقع على بعد حوالى ٢٠ كجم جنوب قرقميش على الضفه الغربية للفرات . ولقد أصبحت هذه المدينة في حوزة الاراميين في القرن العاشر أو في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد كما تدل عليه حوليات الملك شلمنصر الثالث خاصة السنة الثالثة من حكمه أى عام ٨٥٧ ق . م : « أن مدينة أنا ـ أشور ـ أوتير ـ اصبات التي يسميها شعب خاتى (أى السوريون) بيترو (فيتور) والتي تقع على نهر ساجور على الجانب الآخر من نهر الفرات ومدينة موتكينو على هذا الجانب من الفرات اللتين اقامها سلفى تيجلات ـ بيلزر واللتين استولى عليهما ملك أرض أرام بالقوة في عهد أشور ـ رابى

1. Cf. M. Mazar, JNES 28 (1969), 78.

(٢) كان أول من نادى بالأصول الارامية لآباء العبرانيين الأوائل M. Noth انظر كتابه :

Die Ursprunge des alten Israel im Lichte neuer Quellen (Köln-Opladen, 1961).

وللاراء المعارضة ، انظر :

D.O. Edzard, ZA 22 (1964), 142 ff; M. Wagner, VT Supplement, 16 (1967), 355 ff.

(١٠١٠ — ٩٧٠ ق . م) ملك اشور ، هاتين المدينتين قد ارجعتهما إلى حالتها السابقة » (١) .

آرام — صوبة والحرب مع داود .

كما سبق أن أوضحنا أنه فى حوالى عام ١١٠٠ ق . م أنتشرت القبائل الآرامية فى سوريا بل توغلت مثل الأسرائيليين فى شمال شرق الاردن . ولم يكن هناك بد من قيام الاشتباك بين الجارتين الكبيرتين ، اسرائيل والدويلات الآرامية خاصة بعد قيام مملكة اسرائيل وعلى رأسها الملك شاؤل (١٠٢٠ — ١٠٠٠ ق . م) الذى حارب ملك ارام — صوبه (صموئيل الأول ١٤ : ٤٧) وليس لدينا أية بيانات عن الحرب التى قامت بين شاؤل وملك صوبه . وإذا كان العهد القديم لم يذكر بقية امراء المنطقة من الآراميين فغالبا ما كانوا خاضعين لملك صوبه . لقد أصبحت مملكة صوبه فى مركز يسمح لها بتولى زعامة الآراميين جنوب سوريا وكانت صوبه عاصمة هذه المملكة وكانت تستمد ثروتها بما اشتهرت به من مناجم النحاس (٢) .

وفى بداية حكم داود (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق . م) بلغت مملكة ارام — صوبه ذروة قوتها بقيادة هدد — عزر بن رحوب (صموئيل الثانى ٨ : ٣) والذى كان مواطنا من ارام — بيت — رحوب والذى يبدو أنه قام بتوحيد هذه المملكة مع

1. ARAB I, § 603.

(٢) والجدير بالملاحظة أن كلمة صوبه مشتقة من صهوبة بمعنى أحمر أو نحاس ويظن أن موقعها هو كالسيس أو عنجر الحديثة جنوبى زحلة فى البقاع ، انظر :

Kraeling, Op. Cit., p. 40.

وكانت كالسيس (والكلمة يونانية معناها نحاس) فيما بعد عاصمة ايطوريا (المذكورة فى انجيل لوقا ٣ : ١) وهى مملكة عربية .

صوبه . ويبدو أن آرام ـ بيت رحوب كانت تقع فى وادى لبنان الجنوبى بينما كانت ارام ـ صوبة تقع فى الشمال ممتده شمال شرق جبال لبنان الداخلية داخل الصحراء السورية تجاه تدمر . وهكذا وضع هدد ـ عزر تحت يديه ممتلكات شاسعة تكونت منها امبراطورية ذات كيان سياسى مركب ضمت إليها فيما ضمت آرام ـ دمشق ودويلات أخرى تابعة مثل مملكة آرام ـ معكه فى الجولان الأعلى وأرض طوب فى شمال شرق الاردن (صموئيل الثانى ١٠ : ٦ ، اخبار الإيام الأول ١٩ : ٦ ـ ٧) أما فى الجنوب فقد وصل نفوذه حتى حمون بينما فى الشمال الغربى كانت توجد مملكة حماه التى كانت دائما تناصبه العداء (صموئيل الثانى ٨ : ٩ ـ ١٠) .

ويعكس لنا نص شلمنصر الثالث السابق ذكره ذلك التوسع الذى احرزه هدد ـ عزر فى الشمال الشرقى حتى نهر الفرت بل فيما وراء هذا النهر (صموئيل الثانى ٨ : ٣ ، ١٠ : ١٦ ، الاخبار الأول ١٩ : ١٦) . فقد جاء فى هذا النص ما يفيد أنه تحت حكم اشور ـ رابى الملك الآشورى المعاصر لهدد ـ عزر أن « ملك ارام » استولى على مدينة بترو ومدينة موتـكينو وهى مناطق تقع على ضفتى الفرات جنوب قرقميش . وفى نص مماثل فى حوليات اشور ـ دان الثانى (٩٣٤ ـ ٩١٢ ق . م) نجد أن الأماكن التى استولى عليها الآراميون تقع فى مناطق مختلفة ولكن يبدو أنها توجد شمال منعرج الفرات الأعلى ، أى المنطقة التى احتلتها فيما بعد قبيلة بيت ـ أديني الآرامية [1] .

فلو صح أن الملك الآرامى فى كلا الحوليتين هو هدد ـ عزر ، فيمكن ارجاع فتوحاته على طول نهر الفرت بين اعتلاء اشور ـ رابى العرش (١٠١٢ ق . م)

---

1. Cf. Weidner, AFO 3 (1926), 151 ff; E. Forrer, RLAI, 291.

وحروب هدد ـ عزر ضد الملك داود التي حدثت في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد .

لقد وضع انتصار داود على هدد ـ عزر وحلفائه نهاية الامبراطورية الآرامية في سوريا بحيث أصبحت جميع ممتلكاتها تخضع للادارة الاسرائيلية . وفي الامكان إعادة ترتيب وقائع هذه الحرب زمنيا على الوجه التالي : ـ

١ — حرب اسرائيل الأولى ضد القوة العمونية والآرامية المتحالفه التي كانت قد وصلت إلى سهل مؤاب (صموئيل الثاني ١٠ : ٦ وما بعدها ، اخبار الأيام الأول ١٩ : ٦ ومابعدها) .

لقد كانت القوات الآرامية تتكون من قوات من ارامي « بيت ـ رحوب » و٢٠ الف رجل من آرامي صوبه و١٠ الاف رجل من معكه و ١٢الف رجل من طوب وتحرك جيش داود الاسرائيلي وعلى رأسه « يواب » ضد تحالف عمون وارام . ودارت المعركة تحت اسوار « ربه » عاصمة العمونيين (عمان الحالية). وانتظم العمونيين في معركة بالقرب من الباب بينما عمل اراميو « صوبه » ورحوب وأهالي طوب ومعكه على القيام بحملة قوية وعلى ذلك كان على جيش اسرائيل أن يقاتل في جبهتين . وقد كان يواب ماهرا فوزع قواته إلى قسمين تقدم هو بنفسه لمواجهة الآراميين على رأس جماعة من المختارين بينما رأس أخوه ابيشاي الفرق العمونية الأخرى . وجاء في العهد القديم مايلي (صموئيل الثاني ١٠ : ١١ ـ ١٤) : وقال (يواب) أن قوى ارام على تكون لي منجدا وأن قوى عليك (أي على اخيه) بنو عمون اذهب لنجدتك . تجلد ولنشدد من أجل شعبنا ومن أجل مدن الهنا وليصنع الرب يهوا ماحسن في عينه . فتقدم يواب والشعب الذي معه لمحاربه ارام فهربوا من أمامه . ولما رأى بنوعمون أنه قد هرب آرام هربوا من أمام ابيشاي واتى إلى أورشليم » .

٢ — معركة حيلام :

(صموئيل الثانى ١٠ : ١٥ وما بعدها ، اخبار الأيام الأول ١٩ : ١٦ وما بعدها) :

ولم يستطع الآراميون الاستمرار فى الحرب . فقرر هدد ـ عزر بن رحوب ملك صوبه أن ينزل المعركة وشارك معه الآراميين من الجـانب الآخر لنهر الفرات أى اراميو الرافدين . وهكذا تحرك اراميو الشمال واراميو الجنوب ضد اسرائيل وكان شوباك قائد جيش هدد عزر على رأس كل هذه الفرق، فنظم مركباته الحربية ومترجلته واصطف الآراميون للقاء داود وحاربوه وقابلهم عند حيلام مكان ما شمال شرق الاردن) وهزم داود أعداءه وفقد الآراميون ٧٠٠ مركبه وأربعين الف رجل وقتل شوباك فى المعركة . وذكر العهد القديم فى هذا الشأن بالإضافة إلى ما سبق أن اشرنا إليه ما يلى : « فلما رأى جميع الملوك عبيد هدد ـ عزر أنهم انكسروا أمام اسرائيل صالحوا إسرائيل واستعبدوا لهم وخاف ارام أن ينجدوا بنى عمون بعد » (صمويل الثانى ١٠ : ١٥ ـ ١٩) .

٣ — توغل دادو داخل سورية :

ويقص العهد القديم غزوة أخرى لداود ضد الاراميين (صمويل الثانى ٨ : ٣ ـ ١٠ ، اخبار الايام الأول ١٨ : ٣ وما بعدها) إذ ذكر هدد عزر بن رحوب ملك صوبة أن « يذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات أى ليثبت سيطرته على ارامى مابين النهرين . وكان قد تلقى من تلك الأقوام عونا عسكريا فى الحروب السابقة ، غير أنه يرغب الان أن يقيم من الفرات إلى الأردن اتحادا من الدويلات الارامية من الفرات حتى الأردن وكان يعمل على أن تكون صوبة عاصمة تلك الإمبراطورية الارامية . ولكن قضى داود على احلامه وهزمه فأخذ

منه « ١٧٠٠ فارس وعشرين الف رجل وعرقب داود خيل جميع المراكب وتبقى مائة مركبه » وبالاضافة إلى ذلك أخذ منه الدروع الذهبية التى كانت مع عبيد هدد عزر وقضى داود على آرامى دمشق المتحالفين مع هذا الملك فقتل منهم ٢٢ ألف رجل واقام فى معسكرات فى ارام دمشق . ويبدو أن هذه الهزيمة التى الحقت بقوات ارام ـ دمشق حدثت اثناء تغيب هدد عزر فى منطقة الفرات . وبذلك اضطر الآراميون إلى الخضوع لدواد ودفعو له الجزيه . وكان من ضمن الأسلاب التى استولى عليها داود كميات من النحاس الذى اشتهرت به مملكة صوبة (كما فعل الآشوريون فى زمن لاحق حينما انتصروا على ارام ـ دمشق) أخذها من ثلاث مدن سورية كانت تابعة لهدد عزر وهى طبحه وخون وبيروتاى [١] (صموئيل الثانى ٨ : ٣ ـ ١٠ ، اخبار الإيام الأول ١٨ : ٣ وما بعدها) . وأشار نفس المصدر إلى أن « توعى » ملك حماه كان عدوا لهدد عزر ملك صوبه فلما علم بهزيمته « أرسل يورام أبنه إلى الملك داود ليسال عن سلامته ويباركه لأنه حارب هدد عزر وضربه » وقدم له أوانى من فضه وذهب ونحاس. وقد وضحت عداوة ملك حماه للملك صوبه لأن هذا الأخير كان يعمل على احتلال المنطقة بينه وبين الفرات . وبارسال توعى هدايا إلى داود اعتبره هذا الأخير مواليا له وقد تبين له أن حماية ملك اسرائيل له أقل خطورة من جارة القريب . بهذه الحروب الثلاث استطاع داود القضاء على قوة « صوبه » وهكذا اختفت هذه المملكة من مسرح الأحداث لتحل محلها مملكة ارام ـ دمشق . ولكن يظهر اسم صوبه بعد ذلك على ابنات من حماه منقوش عليها باللغة

---

(١) مدينة بيروتاى هى اليوم بريتان جنوبى بعلبك .

الارامية ولـكن يبدو أنه يشير إلى منطقة داخل مملـكة حماه (١) كما يظهر كاسم لولاية اشورية (صوباتو) فى أواخر القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد بعد سقوط مملـكتى ارام ـ دمشق وحماه .

قيام مملـكة آرام ـــ دمشق :

هناك احتمال فى أن الآراميين قد استقروا فى أرض « أوبى » (وعاصمتها القديمة دمشق) خلال أو عقب الارتباك الذى نشأ بسبب الثورة الفلسطينية ضد مصر فى اخريات عهد اخناتون ثم اغارة الحيثيين على ميتانى وتقويض دعائم ملـكها وكذلك عند تقدم العبرانيين نحو فلسطين وكانت الحدود بين العبرانيين والآراميين من ناحية شرق الاردن هى اليرموك وأما من ناحية الغرب فـكانت إلى الشمال فى أعلى وادى الأردن حتى الجبال حيث مقاطعة « اشير » التى تحادد الشاطىء الفينيقى (٢) .

لقد تأسست مملـكة ارام ـ دمشق فى الايام الأخيره من حكم سليمان ٩٦٠ — ٩٤٠ ق . م) على يد رزون بن اليداع الذى استخلص دمشق من اسرائيل واتخذها عاصمة له (الملوك الأول ١١ : ٢٣وما بعدها) وهكذا اصبحت الدولة الآرامية الرئيسية فى سوريا خلال القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد . وعن نشأة هذه المملـكة ورد فى العهد القديم عنها مايلى : « واثار الرب قائدا اخر على سليمان ، رزون بن اليداع وكان قد هرب من عند مولاه هدد عزر ملك صوبه فجمع إليه رجالا وصار رئيس غزاه عندما كان داود يدمرهم فانطلقوا إلى دمشق واقاموا بها وملـكوا فى دمشق . فصار قائدا فى اسرائيل كل أيام سليمان » (الملوك الأول : ٢٣ ـ ٢٥) . ولقد تسلمت دمشق من هذا التاريخ

---

(١) قارن « حماه ـ صوبه » التى تغيب عليها سليمان فى اخبار الإيام الثانى ٨ : ٣ .
(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم ، المرجع السابق ج ٣ ص ٤٨٨ .

زعامة العالم الأرامى فى سوريا وقادت الصراع ضد العبرانيين حتى أنه جاء فى النصوص الأرامية القديمة اشارة إلى ملك دمشق كان يطلق عليه لقب « ملك ارام » فقط وكان رزون هذا الآرامى السورى العدد والأكبر لاسرائيل . وقد امتدت مملكته من الفرات شرقا إلى اليرموك جنوبا على حساب العبرانيين كما تاخمت الأراضى الآشورية فى الشمال واستطاعت أن تبسط سلطانها على سوريا الداخلية إلى الشرق من لبنان وكذا على سوريا الشمالية وباشان فى بداية الألف الأولى وظل ملوكها يسيطرون على اثنتى عشرة أمة صغيرة من حولهم وافلحوا فى مقاومة ما كان يبذله الآشوريون من جهود لاخضاع سوريا لحكمهم (١) .

وكثيرا ما كان يشار إلى هذه المملكة باسم « دمشق » أو « ارام » بصفة خاصة فى العهد القديم وفى المصادر الآشورية والنصوص الآرامية القديمة (كما فى شاهد بار — هدد وزاكير)(٢) . وتشير وثائق العهد الآشورى الحديث إلى هذه المملكة باسم « (شار) أميرى - شو » أى (أرض) حيره (٣) وبالرغم من أن هذا الاسم قد تبادل مع اسم دمشق ، إلا أنه يحتمل أنه يشير إلى المملكة فى حد ذاته .

ولقد كانت هذه المملكة من أول الأمر ارامية ، فملوكها كانوا اراميين اتخذوا من دمشق مركز الأشعاع حضارتهم يستطيعون منها أن يسهموا فى توجيه السياسة الدولية المعاصرة . ولعل دمشق تدين لوضعها بهذه الميزة ، ذلك لأن وضعها الجغرافى استطاع أن يزود عنها بعض الوقت اطماع اشور من ناحية كما يسر لها الأتصال المباشر بالحضارات القريبة منها عن طريق الوديان والسهول

---

(١) نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ج ٣ ص ٤٨٨ .

2. F.M. Cross, BASOR 205 (1972), 36 ff.

3. Cf. F.M. Tocci, RSO 35 (1960), 125 ff.

وهى فى الوقت نفسه مركز هام لطرق القوافل إلى الصحراء السورية وهى بذلك وسيط مباشر بين التجارة العربية والبابلية من ناحية وتجارة سوريا وفلسطين من ناحية أخرى . لقد جعل منها الآراميون دولة استطاعت أن تفرض نفسها منذ القرن العاشر ق . م على ما كان يجرى من أحداث وأن تقف على قدم المساواه مع غيرها من الدول بحيث أصبحت تستطيع أن تعدل من القوى حين كانت تنحاز الى أحد الجانبين وبحيث أكتسبت احترام جيرانها بفضل ما أظهرته من منعة وقوة وما وصلت إليه من مركز حضارى مرموق .

مملكة آرام — دمشق وموقفها من يهوذا وإسرائيل وآشور :

لقد ساعد انقسام مملكة اسرائيل على قيام مملكة ارام ـ دمشق التى استفادت إلى حد كبير المنازعات المستمره بين يهوذا واسرائيل لصالحها ، كما أن التنافس بين المملكتين العبرانيتين قد افسح الطريق أمامها لانجاز مشروعاتها العمرانية الكبيره . ويعطينا العهد القديم (الملوك الأول ١٥ : ١٨ ـ ١٩) صورة واضحة عن هذا الموقف . فها هو اساملك يهوذا قد وقع فى خلاف مع ملك اسرائيل بعشا (فى الفترة من ٨٩٠ ـ ٨٨٠ ق . م) فيعتدى على أرضه ، ثم يعتمد على ملك دمشق الآرامى طالبا منه العون ضد عدوه . وكان ملك دمشق فى هذا الوقت هو « بنهدد بن طبريعون بن حزيون » . وقد أرسل أسا إليه الهدايا ومعها هذه الرسالة : « بينى وبينك محالف وبين والدى ووالدك وهأنذا أرسل إليك هدية من الفضة والذهب ، اذهب واقطع علاقتك مع « بعشا » ملك اسرائيل لكى يتوقف عن حملى مالا اطيق » (الاخبار الثانى ١٦ : ٣) . والظاهر أن ملك دمشق قد وقع عهدا مع مملكتى يهوذا واسرائيل فى وقت واحد . وهكذا يخبرنا العهد القديم عن تسلسل أفراد الأسرة الذين حكموا آرام ـ دمشق (والاحتمال كبير فى أن يكون حزيون هو رزون مؤسس المملكة

الذكور انفا)[1] كما يخبرنا أيضا عن المحالفات التي تمت فى ذلك الوقت . فالمحالفه الأولى كانت بين طبريعون ووالد اسا المدعو ابيجا ملك يهوذا والمحالفه الثانية بين بنهدد[2] وبعشا ملك اسرائيل وأخيرا التحالف العسكرى بين بنهدد ويهوذا والذى تبعه حملة ارامية تمكنت من الأستيلاء على الجليل الشرق من اسرائيل . « فسمع بنهدد للملك آسا وارسل رؤساء الجيوش التى له على مدن اسرائيل وضرب عيون ودان وابل المياه وجميع مخازن مدن نفتالى (اخبار الأيام الثانى ١٦ : ٣ ـ ٤ ، ملوك أول ١٥ : ٢٠) » ومعنى ذلك كل شمال مملكة اسرائيل . عند ذلك توقف بعشا عن الضغط على يهوذا ومضايقتها . وقد حفظ لنا العهد القديم قصة نعمان قائد جيش « ملك ارام » (أى ملك دمشق) وكان قد مر به بعض البأس ، إذ أصيب ببرص فتوجه إلى السامره طالبا الشفاء على يد النبى اليشع صانع العجائب (ملوك الثانى ٥) وتدل هذه القصة على مدى ماوصل إليه نفوذ مملكة دمشق فى اسرائيل . وهكذا استطاعت دمشق فى عهد بنهدد أن تصبح على رأس الدويلات السورية . وقد جاء اسم ملك دمشق هذا على لوح كشف عليه بالقرب من حلب وقد صور على أعلى اللوح الآله الفينيقى « ملقارت » ومعه النص الآرامى « لوح وضعها بن هدد بن طبريعون أبن حزيون ملك ارام ، من أجل ربه ملقارت ، لوح كرسه من أجله لأنه سمع صوته » . وهناك احتمال كبير أن يكون ملك دمشق قد توغل فى اقليم حلب ،

---

1. Cf. B. Mazar, BA 25, p. 104, N. 12.

الذى يعتقد أن حزيون هو الأسم الشخصى للملك بينما رزون لقبه الملكى حيث أن الكلمة العبرية « رزن » تعنى « حاكم » أو أمير » . وقارن أيضا :

I.J. Gelb, Glossa 2 (1968), 101.

(٢) كلمة بنهدد أوبن هدد فى العبرية تقابلها بارهـــدد (أى ابن هدد) فى الآرامية .

أما كحليف أو كعدو لبيت اجوزى كما فعل ملك صوبه أيام حكم داود حينما قام بحملة إلى الفرات ليعيدها لحكمه(١)

وفى أيام عمرى ملك اسرائيل (٨٨٥ — ٨٧٤ ق . م) ازداد الضغط الآرامى على شمال اسرائيل حتى أنه هدد وجودها نفسها . وفى العهد القديم فصله تشير عرضا إلى أن والد بنهدد الثانى (بدون شك هو بنهدد الأول بن طابريمون) قد أخذ مدنا من والد أخاب أى من « عمرى » وأخذ منه الحق فى اقامة أسواق فى السامره عاصمته (الملوك الأول ٢٠ : ٣٤) ونرى عمرى أنه رغم ازدياد قوة اسرائيل وازدهارها إلا أنه هزم أمام دمشق . وكان النزاع مستمرا بين الدولتين وذلك بسبب مشاكل الحدود خاصة فى المنطقة الممتدة من شمال عبر الاردن إلى ريموث ـ جلعد فى الجنوب والتى كانت تعتبر منطقة فاصلة يسكنها شعب خليط من الاسرائيليين والآراميين (قارن ، أخبار الأيام الأول ٢ : ٢٣ ، ٧ : ١٤) فكثيرا ما تغيرت ملكيه هذه المنطقة أثناء حكم اسرة عمرى فى اسرائيل ، هذا بالاضافة إلى الأمور السياسة والاقتصادية ، إذ أن حكومة ارام — دمشق كانت تسعى لأن يكون لها مناف‍ـــذ تجارية فى اسرائيل .

ولما تولى اخاب الحكم (٨٨٤ — ٨٥٣ ق . م) بلغ النزاع أوجه ، ففى عام ٨٥٧ ق . م دخل بنهدد الثانى إلى فلسطين بجيش كبير العدد وكان يصحبه أثنان وثلاثون ملكا ، لقد اتحدت فيما يظهر الأحزاب فى اتحاد كبير ضم جميع الأسر الآرامية صغيرها وكبيرها . وحوصر اخاب فى عاصمته السامره ولم يستطع أن يجهز الاحامية بسيطه فلم يستطع المقاومة وقبل ما فرضه عليه ملك دمشق من جزية من الفضه والذهب وتمادى ملك دمشق فى طلباته من اسرائيل

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٢٥٤ :

ففرض عليه أن يسلمه زوجاته وأطفاله . عندئذ رفض أخاب وعزم على عدم تحقيق الرغبة الأخيره . وفى وقت الظهيره وبينما كان الآراميون يأخذون قسطا من الراحة ويتناولون الشراب فى خيمهم باغتهم الاسرائيليون وقتلوا منهم الكثير وانهزم الآراميون وفروا وتركوا خيولهم ومركباتهم وفر بنهدد على فرس مع نفر من خيالته (الملوك الأول ٢٠ . ١ ـ ٢١) وهكذا نجح أخاب فى صد الهجوم الآرامى عن عاصمته .

لقد استاء ملك ارام ـ دمشق من تلك الهزيمة ، ففى العام المقبل جمع جيشا جديدا واتجه نحو فلسطين وتقدم اخاب هذه المره لمواجهة عدوه ، فتقابل الأثنان عند « افيق » فى الجولان الجنوبية وقد جاء فى (الملوك الأول ٢٠ : ٢٢ ـ ٣٤) « فنزل هؤلاء تجاه سبعة أيام . ولما كان اليوم السابع التحمت الحرب فقتل بنو اسرائيل من الآراميين مئة الف رجل فى يوم واحد . وهرب الباقون إلى افيق ، وحاصر بنو اسرائيل هذه المدينة واحتلوها سريعا . وأخذ بنهدد يهرب من بيت إلى بيت أما عبيده فشدوا مسوحا على متونهم وجاءوا إلى ملك اسرائيل وقالوا : أن عبدك بنهدد يقول : اتوسل أن تستبقى نفسى . فقال أخاب : أوحى هو بعد ؟ إنما هو أخى . فاستبشر بنهدد خيرا واستسلم . فاصعده اخاب على مركبته وقطع عهدا قال فيه بنهدد : المدن التى أخذها ابى من ابيك أردها عليك وتجعل لك أسواقا فى دمشق كما فعل ابى فى السامره فقال : وأنا أطلقك بهذا العهد . وقطع له عهدا واطلقه » . وهكذا أعيدت إلى إسرائيل المدن التى فى عبر الأردن التى كان بنهدد الأول قد استولى عليها كما منح التجار الاسرائيليون امتيازات فى دمشق كتلك التى كان يتمتع بها الاراميون فى السامره . لماذا كان أخاب رحيما مع عدوه الخطير ؟ فالاسرائيليون دائما أصحاب منفعة ولا بد أنه كان وراء ذلك الصفح أهداف . ففى هذا الوقت كانت تجرى فى الشمال أحداث خطيره . فقد ولى شلمنصر الثالث الحكم بعد وفاة والده أشور — ناصر — إبلى الثانى

وتمكن من القضاء على دويلة بيت ادينى الاراميه ومن حالفها من الدويلات الأخرى كما سبق أن أشرنا ، فكان ذلك ايذانا بقرب الخطر الأشورى من ارام — دمشق ومن إسرائيل على حد سواء . ففى ارام — دمشق بدأ بنهدد الثانى يستعد لملاقاة الاشوريين فاعاد تنظيم جيشه ومملكته كما أنه حول الدويلات التابعه له إلى مجرد ولايات (قارن الملوك الأول ٢٠ : ٢٤ — ٢٥) معززا بذلك أمبراطوريته [١] أما فى اسرائيل فقد شمل الذعر ملكها أخاب الذى أخذ يتقرب من بنهدد الثانى ملك دمشق .

ولمواجهة هذا الخطر الاشورى ، تكون تحالف من اثنى عشر ملكا كان منهم ارخوليني ملك حماه وأخاب ملك اسرائيل أومؤاب وادوم ويهوذا والولايات الفينيقية الشمالية إلى الشمال من جبيل وعمون وقوى (أو قيليقيا) ووضع هذا التحالف تحت قيادة بنهدد الثانى (ربما هو نفسه أدار — ادرى المذكور فى المصادر الاشورية) . وكان أول لقاء بين المتحاربين عند قرقر عام ٨٥٣ ق . م فى أرض حماه . وكان الجيش الذى يقوده أداد — أدرى يتكون من ١٢٠٠ عجلة و١٢٠٠ من الفرسان و٢٠ الف من المشاه والذى بقيادة ارخوليني من ٧٠٠ عجلة و ٧٠٠ فارس وعشرة الاف من المشاه [٢] . ومن المحتمل أن القوه التى كانت تحت قيادة أخاب كانت تتضمن قوات مساعده من قبل يهوشافاط ملك يهوذا (قارن الملوك الأول ٢٢ : ٤ ، والملوك الثانى ٣ : ٧) . وكان بعشا بن رحوب الملك الآرامى الآخر الذى اشترك فى هذه المعركه وكان من أرض أو جبل أمانا والذى يغلب على الظن أنها جبال لبنان الداخلية والتى ذكرت فى العهد القديم بهذا الأسم . وحيث أن بعشا يحتمل أنه قد ضم لحكمة منطقتين منفصلتين

---

1. Cf. Mazar, BA 25, 109 ff; and JBL 80 (1961), 25 f.

2. ANET, p. 278.

ها ارام بيت ـ رحوب والمنطقة الجبلية إلى الشرق منها ، فقد أوكلت إليه فرقة واحده من المشاه فقط . هذه هو موقعة قرقر الشهيره على نهر العاصى التى تعد احدى المواقع الحاسمة تم خلالها اندحار حلف من اثنى عشر ملـكا تـكتلوا جميعا للوقوف فى وجه قوات العاهل الآشورى شلمنصر الثالث ولـكنهم لم يفلحوا بل حالت بهم جميعا الهزيمة .

ولعل المعركة التى ذكرت فى سفر الملوك الأول (٢٢) بين أخاب وبنهدد عند راموث جلعاد غير محتمل حدوثها بعد وقت قصير من معركة قرقر حيث أن حلف ملوك الغرب يبدو أنه ظل قائما ليقابل شلمنصر الثالث مرة ثانية فى عام ٨٤٩ ، ٨٤٨ ، ٨٤٥ ق . م [1] . ولـكن الخيبة اصابت شلمنصر فى هذه الحلة لاخضاع سوريا واستطاعت اشور أن تدرك أنها بغير اخضاع دمشق لا تستطيع أن تثبت اقدامها فى سورية ولم يكن من اليسير بالنسبة لواحدة من هذه الولايات أن تظهر ميلا لآشور لأن هذا كان يعنى بالضرورة تعرضها لقسوة دمشق وحزمها .

لقد كان حزائيل هو الذى قضى على أسرة بنهدد بعد أن اغتاله وتولى مكانه على عرش دمشق (الملوك الثانى ٨:٧ ـ ١٥) ربما بمساعدة اشور المستفيده فى اعتلاء العرش ولـكن حالما أصبح ملـكا على دمشق ظل على مقاومة اشور بأمل تثبيت مركزه واظهار قوته لقد غير حزائيل سياسة دمشق تجاه اسرائيل فأخذ يناصبها العداء وذلك أيام ملـكها يورام بن اخاب (٨٥٢ ـ ٨٤٢ ق . م) لأن حزائيل ملك دمشق كان يريد أعادة راموث جلعاد . لقد حدث الاشتباك بين الطرفين عند راموث جلعاد عام ٨٤٢ ق. م (الملوك الثانى ٢٨:٨ ومابعدها)

---

1. Cf. A. Jepsen, AFO 14 (1942), 154 ff; J.M. Miller, JBL 85 (1966), 441 ff.

ومن المحتمل أن الحرب التى وقعت عند راموث جلعاد بين أخاب ويهوذا تعكس هذا الاشتباك الأخير . لقد جرح يورام أثناء المعركة وأجبر على العودة إلى يزرعيل تاركا لقواده الاستمرار فى المعركة ضد الآراميين . ولم يذكر العهد القديم شيئا مما حدث لمدينة راموث جلعاد ، ولـكن من المحتمل أن حزائيل ملك دمشق قد استولى على هذه المدينة ولـكن يبدو أن يورام قد نجح أخيرا فى الاستيلاء على راموث جلعاد لأن لدينا أشارة بعد ذلك بفترة طويلة تقول « وكان يورام محافظا على راموث جلعاد » (الملوك الثانى ٩ : ١٤) وقد دافع عنها ملك دمشق الجديد .

كان شلمنصر الثالث يتابع تطور الحوادث عن قرب وقد شغلته قوة الملك الجديد فقرر أن يضربه ضربة قوية خاصة بعد أن انفرط عقد تحالف ملوك الغرب . فقد قام فى عالم ٨٤١ ق . م بحملة جاء وصفها فى الـكتابات الآشورية : « فى سنتى الثامنة عشرة من الحـكم عبرت للمرة السادسة عشرة الفرات . وقد أطمأن حزائيل (صاحب) اقليم دمشق إلى جموع فرقه وعبأ وحداته فى عدد كبير . واتخذ جبل سانيرو (جبل حرمون) الذى يشرف على لبنان حصنا له ، فحاربته وانتصرت عليه وقتلت بالسلاح ٦٠٠٠ محاربا و (أخذت) ١١٢١ من مركباته و٤٧٠ من خيله وفى نفس الوقت اخذت خيامة (أى ثـكناته) وحتى ينقذ حياته هرب فتبعته وحاصرته حيث كان يقيم فى دمشق وقضيت على بساتينه وذهبت حيث دخل حوران فهدمت مدنه التى لا حصر لها . اتلفت وأحرقت وأخذت منها غنيمة كثيره وتقدمت حتى جبل « بعال ـ رأسى » (بعل القمة الذى يحتمل أن يـكون جبل الـكرمل) واقمت هناك شاهدا يحمل صورتى كملك . وفى نفس الوقت تسلمت الجزية من الصوريين والصيداويين ومن يهو بن عمرى » .

وفى عام ٨٣٨ ق . م جرد حملة جديدة ضد اسرائيل : « فى السنة الحادية والثلاثين من حكمى ، عبرت للمرة الحادية والعشرين الفرات وتقدمت نحو مدن

حزائيل صاحب دمشق واستوليت على أربع من مدنه وتسلمت الجزيه من الصوريين والصيداويين والجبيليين »[1] . هكذا هزم شلمنصر الثالث ارام — دمشق وملكها حزائيل الذى وقف وحيدا فى عام ٨٤١ و ٨٣٨ ق . م بعد أن شق الأشوريون طريقهم نحو دمشق مباشرة واضطر حزائيل إلى الدفاع عن نفسه فى عاصمته بل توغلوا فى حوران والجليل حتى جبل الكرمل . لقد قاسى حزائيل أثناء هاتين الحملتين ضربات قاسية ولكن لم يستطع شلمنصر أن ينجح فى الأستيلاء على العاصمة ، ولم يتضح تماما أن كان قد حاول من جديد أن يعمل شيئا ضد دمشق حتى نهاية حكمه ، إذ يبدو أن اشور اضطرت بعد ذلك أن تعدل عن محاولة تحقيق أهدافها . وأيا ما كان الأمر فقد استفاد حزائيل من هذه الفتره التى زال فيها الضغط الأشورى ، فاصلح من أمره وجدد قوته وسعى إلى استرداد اسرائيل . فتوجه ضد اسرائيل واستولى على عبر الاردن حتى نهر أرنون الذى يصب فى البحر الميت (الملوك الثانى ١٠ : ٣٢ — ٣٣) ولما أصبح ملك دمشق سيدا على الأردن كله ، اتجه إلى غرب اسرائيل بقصد الأستيلاء على طرق التجارة مع مصر والجزيرة العربية فاستولى على جت فى اقليم فلسطين وبعد ذلك هدد بيت المقدس. وأمام هذا الخطر اشترى يهواش ملك يهوذا سلامته بالذهب والفضة فاقتنع حزائيل وعدل عن دخول أورشليم (الملوك الثانى ١٢ : ١٧ — ١٨) . لقد قاست مملكة اسرائيل كل هذه المخاطر ولاقت إذلالا كبيرا. ولم يذكر العهد القديم حوادث تلك الفترة بالتفصيل ولا نعرف الا ما حدث فى عهد يهواحاز الذى جاء بعد ياهو عام ٨١٤ ق . م ولم يكن فى جيش اسرائيل سوى « خمسين فارسا وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لأنه أبادهم ملك آرام وجعلهم مثل التراب الذى يوطأ » . (الملوك الثانى ١٣ : ٧ ، ٢٢) .

---

1. ANET, p. 280.

لقد استطاع آرميو دمشق أن يحافظوا على مركزهم فى عهد بنهدد الثالث ابن حزائيل (الملوك مثانى ١٣ : ٣) الذى استطاع أن يكون حلفا كبيرا ضد زاكير ملك حماه ولعش . وكان زاكير قد اغتصب حماه ثم احتل منطقة لعش (وهى منطقة بين حماه وحلب) ثم استولى على مدينة حزرك التى غالبا ما كانت عاصمة لعش و . . خلت القوى فى الدويلات السورية نتيجة أطماع زاكير . فتحالفت ضده الدويلات الآرامية الأخرى والدولة الحيثية الجديدة تحت زعامة ملك ارام أى ملك دمشق . لم تتمكن الإمبراطورية الأشورية من التدخل فى فترة الضعف التى مرت بها وكان الصراع فى هذه الفتره قائما على قدم وساق بين الدويلات المختلفة فى سوريا . أجمع المتحالفون على مهاجمة زاكير فى حزرك فحاصرها الأعداء وكاد زاكير ان يستسلم أمام هذا الحصار لولا أن الهه حفظه[1].

ولكن سرعان ما فتر نشاط الآراميين مرة أخرى حينما جدد أداد ـ نيرارى الثالث ملك اشور (٨١٠ ـ ٧٨٣ ق . م) حملاته ضد الأراميين فى سوريا عام ٨٠٥ ـ ٨٠٢ ق . م) مبتدئا بدمشق وملكها « مارى » (وهى كلمة آرامية تعنى « سيد » ومن المحتمل أنها تشير إلى بنهدد الثالث) الذى تلقى هجمة آشورية جديدة فاضطر للتسليم بعد حصار دمشق . وعلى شاهد عثر عليه حديثا فى تل الرماح سجل لنا أداد ـ نيرارى الثالث الجزيه الكثيرة التى أخذها من آرام ـ دمشق والتى كانت تتكون من فضه ونحاس وحديد واقمشة مختلفة الألوان وأقمشه من كتان واسره من عاج ومقاعد من العاج الطعم بالذهب والمرصع بالاحجار الكريمة . كما سجل على نفس الشاهد حملة قام بها إلى البحر المتوسط عام ٨٠٢ ق . م ، أو حملة ضد منطقة مانصوتى (فى وادى لبنان) عام ٧٩٦ ق . م . ومن بين الذين دفعوا الجزية للملك الآشورى « أواسو السامرى »

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٥٩ — ٣٦٠ .

أى الملك يهواش ملك اسرائيل الذى يذكر لأول مره فى المصادر الآشوريه [1] . ولعل لقب هذا الملك « السامرى » يوحى بأن مملكته كانت فى بداية الأمر مقصورة على منطقة السامره نتيجة للغزوات الآرامية .

انتهز يهواش ملك اسرائيل (٧٩٨ — ٧٨٢ ق . م) فرصة ما حاق بدمشق على يد الآشوريين وبدأ يستعد للهجوم عليها . وجه يهواش إلى بنهدد الثالث ثلاث ضربات متواليه تمكن بعدها من استعادة المدن التى كان الآراميون قد استولوا عليها من أبيه يهواحاز (الملوك الثانى ١٣ . ١٩ ، ٢٥) .

واصل يروبعام الثانى (٧٨٣ — ٧٤٣ ق .) سياسة والده يهواش العدائية تجاه الآراميين الذين ازدادوا ضعفا على أثر الحملة التى وجهها شلمنصر الرابع (٧٨٢ ـ ٧٧٣ ق . م) ضد دمشق عام ٧٧٣ ق . م لقد نجح يروبعام فى استعادة كل شرق الأردن فارضا السيطره الأسرائيلية على دمشق وذلك فى عهد تب إيل الذى تشير إليه نصوص التوراه كانما هواب رصين (اشعيا ٧ : ٦) وتقدمه تحت اسم طبئيل (الملوك الثانى ١٤ : ٢٥ ، ٢٨) .

وماأن تولى تيجلات ـ بيلزر الثالث عرش اشور (٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق.م) حتى كان أول عمل قام به هو مهاجمة أوورارتو والقوات الآرامية الأخرى فى أرباد وميليد وكركم وكموخ وقد هزم الآشوريون هذا الحلف الذى تزعمه سردور ملك أورارتو وحاصر تيجلات ـ بيلزر الثالث مدينة ارباد ثلاث سنوات حتى سقطت عام ٧٤٠ ق . م واصبحت هذه البلاد مقاطعة اشورية وجاء بقية ملوك ارام مقدمين فروض الولاء والجزيه للاشوريون وهم ملوك دمشق وصور وكموخ وقى وقرقميش وكركم . ولكن اتحدث الدويلات السورية الأخرى ونظم أزريو ، الذى اغتصب عرش سمأل ، حركة العصيان ضد تيجلات بيلزر

---

1. S. Page, Iraq 30 (1968), 139 ff; J.A. Soggin, VT 20 (1920) 366 ff.

عام ٧٣٨ ق . م الذى لم ينتظر طويلا وانقض عليه واحتل كثيرا من المدن على شاطىء فينيقيا الشمالى وفى بلاد حماه وأمر باعدام ازريو وأعاد إلى العرش الملك الشرعى بنمو الثانى الذى سجل ابنه بر ـ ركب هذه الأحداث فى نقشين له وهكذا دخلت سمأل فى نطاق النفوذ الآشورى . وأن ما وجد فى سمأل من بقايا أثريه لهلاك بالنار وانقطاع كل ذكر لها فى مصادرنا ، يدلان فيما يبدو على أنها لقيت نهاية فاجعة قبل مرور زمن طويل [1] . وهكذا امتد سلطان تيجلات — بيلزر الثالث من فيليقيا إلى صور والسامره ودمشق حتى البلاد العربية .

لقد شهدت مملكة ارام ـ دمشق اخر ومضات مجدها فى عهد اخر ملوكها المدعو رصين الذى كان واحدا من الموالى الذين دفعوا الجزيه لتيجلات — بيلزر الثالث عام ٧٣٨ ق . م ولكن سرعان ما يقوم بثورة ويغزو شرق الاردن حتى راموث جلعاد جنوبا كما أغار على ايلات (الملوك الثانى ١٦ : ٦) . بعد ذلك اجبر بـكاح ملك اسرائيل على أن ينضم إلى صفه ثم أخذ يضغط على يوثام ملك يهوذا وابنه احاز الذى استنجد بآشور حسبما ورد فى سفر الملوك الثانى (١٥ . ٣٧ ، ١٦ . ٦ ، ٧ وما بعدها) « أنا عبدك وابنك فاصعد وخلصنى من يد ملك آرام ويد ملك اسرائيل القائمين على » فهاجمهما وفى حملتين متتاليتين هزم تيجلات — بيلزر الثالث بـكاح فى السامره عام ٧٣٣ ق . م . ثم حاصر ارام — دمشق وملكها حتى أصبح مثل « عصفور فى قفصه » واخيرا سقطت دمشق نفسها عام ٧٣٢ ق . م ونقل أهلها وفقد رصين عرشه بل دفع حياته ثمنا لدفاعه عن مدينته (الملوك الثانى ١٦ . ٩) . وقد تفاخر العاهل الآشورن بأنه دمر ٥٩١ مدينة فى ست عشرة مقاطعة تابعة لدمشق « وهدمها

---

(١) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٧٩ .

حتى اصبحت مثل الـكثبان التي يتركها السيل » [1] وفي نقش عثر عليه حديثا في عرود يقول تيجلات بيلزر الثالث بعد هذه الحروب المنتصرة . « استعدت إلى ممتلـكات اشور (أرض بيت ـ) حزائيل بأكملها من جبال (لبنان) حتى مدينة (راموث ـ) جلعاد التي تقع على حدود أرض بيت عمرى ، وعينت عليها موظفين من جانبي كحكام » [2] . وهكذا خضعت سوريا لسلطان آشور ما دامت اقوى أقاليمها قد غدت خضعة لها .

لقد قسمت آرام — دمشق بعد ذلك إلى ولايات آشورية [3] ، دمشق في الوسط وحوران وقارنيني (كارنايم في العهد القديم) وجلعاد في الجنوب وما نصواني في الغرب وصربانو في الشمال . لقد نشبت ثورات بعد ذلك في دمشق عام ٧٢٠ ق . م وفي غيرها من المدن مثل السامره وارباد وحماه وربما سمأل أيضا ولـكنها أخمدت كلها على يد سرجون الثاني الأشوري . وهكذا اختفت دويلات سوريا الآرامية ، كما اختفت في القرن السابق دويلات الآراميين في بلاد الرافدين .

لقد ترك تخريب مملـكة دمشق التي شهدت عصرا زاهرا بالأمس القريب أثره في نبوءات عاموس (١ : ٣ — ٥) واشعيا (١٧ : ١ — ٣) وأرميا (٤٩ : ٢٣ — ٢٧) [4] .

---

1. ARABI, § 777.
2. D.J. Wieseman, Iraq, 17 (1956), 120 ff; H. Tadmor, IEJ 12 (1962), 114 ff.
3. Cf. B. Oded, JNES 29 (1970), 177 ff.

(٤) وعن النبواءات ضد آرام خاصة بنوءات عاموس ، انظر تعليقات مؤرخي العهد القديم مثل :

J.A. Soggin, Near Eastern Studes in Honor of W.F. Albright (Baltimore, 1971), p. 433 ff.

تراث الارامين الحضارى

١ — التنظيم السياسى .

تمدنا المصادر الآرامية والاشورية وكذلك العهد القديم بصورة واضحة عن مجموعات الولايات الآرامية المختلفة من الناحية السياسية خاصة فى سورية . ويمكننا تتبع المنافسات المستمرة والتحالفات المتغيره بينهم ، كذلك التحول إلى الصبغة الآرامية التى نشأ عنها فى القرن العاشر والتاسع والثامن ق . م الدويلات الحيثية مثل ياعدى ـ سمأل (وعاصمتها ـ زنجرلى الحديثة) وتل بارسيب (عاصمة بيت أدينى بعد ذلك) فى الشمال وحماه فى وسط سوريا . وبالرغم من التوسع الآرامى الكبير فى آسيا الصغرى الحيثية فقد فشل فى تكوين وحده آرامية سياسية أو حضارية . حقيقة لقد قامت فى سوريا بين الحين والآخر تحالفات كبيره ولكنها كانت تخضع لقيادات متغيره مثل آرام ـ صوبه حوالى ١٠٠٠ ق . م وآرام دمشق فى القرن التاسع ق . م وارباد التى ذكرها سفر الملوك الثانى (١٨ : ٣٤) والتى تحتل عاصمتها الآن تل رفاد التى تقع على بعد ٣٠ كم شمال حلب وذلك فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد . وأن وجود ولاية أرباد (حوالى ذلك الوقت قد أكدتة نصوص المعاهده الآراميه التى عثر على نقشها فى سفير جنوب حلب والتى كانت بين بر ـ جأيه ملك كتك ومتع ـ ال ملك أرباد [١] . وتحتوى هـذه المعاهده على اصطلاحات لها دلالتها مثل « كل آرام » و « آرام العليا والسفلى » ومثل هذه التحالفات التى كانت تنطوى على تفكك داخلى ، سرعان ما ينفرط عقدها تحت أى ضغط خارجى .

---

1. Cf. J.A. Fitzmyer, The Aramaic Inscriptions of Sefire (Rome, 1967).

٢ — اللغة الآرامية .

كانت نهاية استقلال الآراميين بداية لعصر توسع من نوع جديد ، فالطاقة التي كبحت بسرعة بالقة في الميدان السياسي ، تحولت إلى الميدان الحضاري . ومن عجائب التاريخ أن اللغة الآرامية التي لايمثلها سوى نقوش قليلة من فترة الاستقلال السياسي ، امتدت الآن إلى ماوراء حدود الشعب الارامي .

ولغة الاراميين فرع من مجموعة اللغات السامية الشمالية الغربية التي انتشرت في بداية الألف الثاني ق . م شمال غربي ما بين النهرين ولقد كانت اللغة الآرامية والخط الآرامي من أبرز ماتركته لنا الحضارة الآرامية من أثر بين الشعوب التي اختلط بها الآراميون وقد ظهرت نقوش آرامية في سوريا بصفة رئيسية خاصة في زنجزلي باقليم العمق عاصمة دويلة سمأل ترجع إلى عهد باريكاب مولى تيجلات - بيلزر الثالث وفي جرجين على أثر اقامة « يانامو » ملك ياءودي وفي وادي الاردن وذلك منذ القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد [1] . وبالرغم من أن اللغة الآرامية قد اقتبست الابجدية الفينيقية المكونه من ٢٢ حرفا إلا أنها طورت حروف ذات شكل خاص بها وهي الألف والواو والياء وأحيانا كتبت الآراميه بخطوط أخرى مثل الخط السماري على لوحة من الوركاء والخط الديموطيقي على البرديات المصرية .

لقد لعبت اللغة الآرامية دورا هاما في عالم الإدارة والدبلوماسية في الإمبراطورية البابلية والآشورية . فنجد أن كثيرا من الكلمات الآرامية الدخيله كانت شائعه بين الأشوريين مثل عبارة « خطاب آرامي » Egirtuarmotu

---

1. B. Mazar, IEJ 14 (1964), 27 f.; N. Avigad, PEQ 100 (1968), 42 ff; J. Naveh, "The Development of the Aramaic Script", Proceedings of the Israel Academy of Sciences and Humanities, V.I. (Jerusalem, 1970).

وهى كلمة آرامية دخيلة استخدمها موظف آشورى فى النصف الثانى من القرن التاسع قبل الميلاد وكذلك عبارة « وثائق آرامية » Nibzi armayeu حيث أن الكلمة الأولى هى الكلمة الآرامية Nbz والتى ظهرت فى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد .[1] وهناك أشارات كثيره إلى « كتبه آراميين » بجانب آشوريين نرى صورهم على جدران المعابد منذ أيام تيجلات - بيلزر الثالث فصاعدا مثل النقش الذى عثر عليه فى تل برسيب إذ نجد كاتبين جلسا جنبا إلى إلى جنب أحدهما اشورى يكتب على لوحة صغيرة والآخر آرامى يدون على ورق بردى الغنائم المأخوذة من أحدى المدن المفتوحة .[٢]

ويشير العهد القديم إلى الاستعمال الدبلوماسى للغة الآرامية فى فلسطين كما فى قصة مهمة — ربشاقا قائد سغا خريب الذى كان يخاطب مبعوثى حزقيا باللغة العبرانية فقالوا له « كلم عبيدك باللغة الآرامية فاننا نفهمها ولاتكلمنا باليهودية (أى العبرانية) على مسامع الشعب القاعين على السور (قارن الملوك الثانى ١٨ : ٢٦ وما بعدها) وكان ذلك حوالى ٧٠٠ ق . م مما يدفعنا إلى القول بأن اللغة الارامية كانت مفهومه حتى هذا التاريخ عند بعض رؤساء اليهود وأنه كانت تربط اليهود والاراميين علاقات قوية .

وكان القواد الاشوريون يعرفون الارامية وقد عثر على وثائق فى ما بين النهرين تدل على معرفة الاشوريين بهذه اللغة . ففى اشور عثر على صدفيه مكتوبه بالارامية من عهد اشور - بانيبال (٦٥٠ ق . م) بين أثنين من الوظفين

---

1. J. Lewy, HUCA 25 (1954), 188 ff; ANEP., Nos. 235-6, 367 and pp. 276, 293.

ومن أجل الكلمات الآرامية الدخيله فى اللغة الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة ، انظر :

W. Von Soden, Or. 35 (1966), 1 ff; H.W.F. Saggs, Iraq 17. (1955), 130, No. XIII, 3.

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٨٢ .

الاشوريين وكذلك كشف عن عدة تماثيل فى نمرود (كالح حاليا) تمثل اسودا وكانت تستعمل كصنجه ميزان وعليها كتابه ارامية بالإضافة إلى الكتابه السماريه وعليها اسم شلمنصر (٧٢٧ ـ ٧٢٢ ق م) وسرجون (٧٢٢ ـ ٧١٧ ق . م) وسناخريب (٧٠٠ ـ ٦٨١ ق . م) وعثر فى نينوى على قطع من صكوك أو نقود كتبت على الواح من فخار بالخط السمارى وبينها كتابة آرامية صغيره وكذلك عثر على اختام من الفخار بالارامية فقط من القرن السابع فى نينوى واشور وغيرها من البلدان (١)

كما تداولت الارامية فى البلدان الارامية خصوصا السورية ، ووصلت اللغة الارامية حتى فلسطين والتى كانت تسودها فى هذا الوقت العبرانية خصوصا فى مملكة يهوذا أو كانت الارامية فيها وقفا على الخاصة من الناس ، أما المملكة الشمالية القديمة فبعد سقوطها على ٧٢٢ ق . م فى أيدى سرجون الاشورى ، فقد جاء فى العهد القديم أن الاشوريين قد اتو باقوام من أجناس مختلفة واسكنوهم فى السامره وكان بعضهم يتكلم الارامية . ولما قوى نفوذ الاشوريين فى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد ، عملوا على استئصال الحركات الوطنية فى البلاد المغلوبة وزوال اللهجات الوطنية المختلفة فى هذه الاقطار وإذابتها فى لغة واحده وقد كانت هذه فى لغة الاراميين .

ولما أسس نابو ـ بولاصر الكلدانى مملكة بابل الجديدة عام ٦٢٦ ق . م ازدهرت اللغة الارامية بين المستوطنين الاراميين فى بابل بل فى غيرها من بقية ارجاء الإمبراطورية البابلية الجديدة، وقد كشف عن عديد من الألواح السمارية عليها كتابات ارامية من ايام نبوخذ ـ نصر وعصره .

وقد سارت الارامية إلى جانب الأكدية ثم تفوقت عليها حتى أصبحت فى

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٣ .

نهاية القرن السابع قبل الميلاد لغة الدبلوماسية الدولية بدلا من الأكديه . فقد كشف فى صقارة عن رسالة بالارامية وجهت من « أدون » ملك أحدى المدن الفينيقية أو الفلسطينية عام ٦٠٥ ق . م طالبا من ملك مصر معاونته ضد هجمات البابليين الذين غزوا بلاده . كتب هذا الفينيقى بالارامية ولو أن لغتـه الأصلية كانت الفينيقية مما يدل على مدى انتشار تلك اللغة ومعرفة المصريين والفينيقيين لها وإلى وجود كتاب فى كل من مصر وفينيقية لهم درايه بالارامية (١) .

ولما قضى كورش على الإمبراطورية البابلية عام ٥٣٩ ق . م أصبحت اللغة الارامية اللغة الرسمية لجميع اقطار الإمبراطورية الفارسية التى بلغت حدودها أيام دارا الأول (٥٢١ — ٤٨٦ ق . م) شرقا إلى نهر الهندوس وغربا إلى نهر النيل . وكان لابد لهذه الإمبراطورية الواسعة من لغة دولية حتى تسهل العلاقات السياسية والتجارية والثقافية بين أقطارها المختلفة وقد كانت الآرامية هى تلك اللغة التى طغت على جميع سكان الامبراطورية وحلت شيئا فشيئا محل العبرية والفينيقية وسائر اللغات السامية فى المنطقة . وقد ثبت لدى العلماء أن الآرامية كانت هى اللغة الادارية الرسمية لتلك الإمبراطورية العظيمة لاسيما فى المقاطعات الغربية ، ففى مصر تراسل الموظفون الفرس والمصريين بالارامية وهى لغة أجنبية لكلا الطرفين وهذا يدل على دولية تلك اللغة وبلغ من انتشار اللغة الارامية أن بعض الضباط المصريين فى هذا العهد كانوا يراسلون بعضهم باللغة الارامية ، وقد عثر على بردى آرامى كثير فى جميع انحاء مصر حتى الفنتين وفى البلاد البابليه كشف عن الواح خاصة بالمحاسبة كتبت بالارامية وعثر فى آسيا الصغرى على كتابات آرامية من العهد الفارسى وعلى نقود عليها كتابات آرامية واسد كصفحة

(١) موسكاتى : المرجع السابق ص ١٨٠ .

للوزن عليها كتابة أرامية فى ابيدوس باسيا الصغرى وكذلك فى أماكن أخرى فى فيلقيا وايديا وليكيا . وفى فارس كشف منذ أكثر من عشرين سنة بالاضافة إلى ماسبق كشفه ، عن مجموعة من ٥٠٠ قطعة آرامية ، مما يدل على انتشار الارامية فى بلاد الفرس نفسها فى العهد الأخيمى . وقد انتشرت الارامية شرقا فى افغانستان والهند إذ عثر على بعض كتابات آرامية من القرن الثالث قبل الميلاد . كما انتشرت الارامية إلى الجنوب الشرقى فى شبه جزيرة سيناء حيث كشف فى ايلات شمال خليج العقبة عن بعض صدفيات فى هذه البقاع الصحراوية كتبت بالارامية نتيجة اتصال تجارى أو سياسى . وقد عثر فى فلسطين على كسر من الفخار عليها كتابات آرامية منذ العهد الفارسى وكذلك بعض اختام على جرار فى بيت شمس وصدفيات آرامية ومحجره عليها كتابات آرامية فى لاخيش .

وانتشرت الارامية فى أورشليم نفسها وكانت تسمى الأشدوديه كما جاء فى (نحميا ١٣ : ٢٤ — ٢٥) نسبة لإحدى مدن فلسطين القديمة . من كل ذلك أثرت اللغة الارامية فى سياسة الدولة الأخمينية ، حتى أن بعض العلماء يسميها « ارامية المملكة » . وجدير بالذكر أنه قد دخل فيها كثير من الكلمات الفارسيه خصوصا ما كان متصلا بالادارة والفنون العسكرية . كما تأثرت البهلوية وهى اللغة الإيرانية بالارامية وعلى وجه خاص قد ظهر ذلك فى الكتابة دون النطق فالعناصر الارامية فى اللغة البهلوية لم تكن تنطق ولكن تكتب بصيغتها الأرامية وتقرأ فيما يقابلها من الإيرانية . وبالجملة فقد كانت اللغة الارامية هى اللغة الرسمية فى كل مكان حتى فى بلاد فارس والمقاطعات الشرقية [1] .

ولما غزا الاسكندر الأكبر الشرق أدخل اللغة اليونانية كافه رسميه بدلا من

---

(١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٢٦٤ وما بعدها .

الأرامية وانحطت اللغة الارامية وتطورت اللغة والكتابة واختلفت باختلاف المناطق ونشأ عن ذلك طرق جديدة للكتابة الارامية فمنها العبرانى المربع الذى احتفظ به اليهود وكتبوا به الكتاب المقدس ومنها النبطى الذى كان أساسا للابجدية التى أخذها عرب الشمال وكتب بها القرآن الكريم وتطور عنه الخط العربى الحديث وكذلك التدمرى والسريانى والمندى وأخذ الأرمن والفرس والهنود (الخط البهلوى والسنسكريتى) خطوطهم من أصول آرامية ونقل الكهنة البوذيون الخط السنسكريتى (المشتق من مصدر ارامى) من الهند إلى قلب الصين وكوريه . وهكذا يكون الخط الفينيقى (أصل الخط الارامى) قد انتقل على أيدى الاراميين إلى جميع نصف العالم الشرقى فى حين أن اليونان نشروا الخط نفسه إلى نصف العالم الغربى (١) .

لقد أضحت الارامية لغة فلسطين واحتلت مكانة العبرية كلغة محليه مقدسه وكلغة للدين والعلم . وقد تضمن الكتاب المقدس نفسه بعض فقرات ارامية من ذلك العصر . فنجد أن زيادة ارامية على النص الخاص بارميا (١٠ : ١١) واضافة أرامية على كلمتين عبرانين فى سفر التكوين (٣١ : ٤٧) وأجزاء كثيره هامة فى سفر عزرا (٦ : ١٨ ، ٧ : ١٢ — ٢٦) وحوالى نصف سفر دانيال (٢ : ٤ ، ٧ : ٢٨) ورجح بعض العلماء أن بعض أجزاء من دانيال يرجع إلى عام ١٦٧ أو ١٦٦ ق . م وربما قبل ذلك وهناك احتمال أنه كتب بالارامية . وبما أن الارامية وضعت فى سفر دانيال على لسان الكلدانيين فإنها صارت تسمى خطأ كلدانية إذ اللغة التى تكلمها الكلدانيون أو البابليون الحديثون كانت لهجه من الأكدية . (٢) .

وتكلم الناس فى فلسطين الارامية وحدها فى أيام المسيح وقد تكلم بها

---

(١) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة جـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٨١ .

المسيح نفسه والرسل ودليلنا على ذلك بعض الكلمات المحفوظة من الارامية فى الإنجيل (كما فى انجيل مرقص ٥ : ٤١ ، ٧ : ٣٤) وشرحت الأسفار المقدسة فى الجامع باللغة الارامية [١] . وصارت كذلك اللغة الرسمية للكنيسة السريانية وبهذه الصفة عاشت قرونا بعد ذلك وأنتجت أدبا دينيا ضخما .

وهناك صلاة ارامية تسمى « قديش » (المقدس) تشبه الصلاه المسيحيه المعروفه بالصلاة الربانية فى بعض عباراتها وهى أقدم منها وتبدأ بعبارة « ليتمجد ويتقدس اسمه العظيم » (انظر مايشبه ذلك فى العبرية فى حزقيال ٣٨ : ٣٢) واسطورة أحيقار الواسعة الانتشار تحوى بعض حكم اشورية أو بابلية ولكنها بالارامية وقد كتبت فى القرن السابع أو مابعده [٢] .

ولما جاء الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى انقرضت الارامية الغربية ولكن ظل استعمال اللغة الارامية فى ثلاث قرى هى معلوله ونجعه وجب عدين وتقع فى شرق دمشق ويتكلم سكان هذه القرى لغة ارامية . أما الكتابات النبطيه فهى ارامية القرن الأول قبل الميلاد وتمتد إلى القرن الثالث الميلادى وتنتشر فى البلاد النبطية والتى تقع فى شمال الحجاز (حجره) وتمتد شمالا حتى الحدود السورية الجنوبية وكذلك فى شبه جزيرة سيناء حيث عثر بها على ما يقرب من ثلاث الف رسم وفى الشمال ازدهرت مدنية تدمر أيام الرومان وظهرت فيها عدد كبير من الكتابات الارامية من نهاية القرن الأول قبل الميلاد إلى عام ٢٧٢ م وهو عام احتلال أووبليانوس تدمر التى زالت من التاريخ . أما فى بلاد الرافدين

---

(١) بشأن موضوع الآرامية كلغة كتبت بها مادة الأناجيل ، انظر :
Charles C. Torrey, Ourtranslated Gospels (New York, 1936).

(٢) أن هذا البطل الذى يظن أنه وضع الأمثال قد ذكر الأول مره فى طوبيا (١ : ٢١ وما يليه) ويظهر فى عدد من القصص العبريه والسريانية والارمينية والعربية وغيرها ويبدو تأثيره فى قصص ايسوب بل أن سيرة ايسوب متأثرة بسيرة الحكيم الشرقى القديم ، انظر : فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٨٢ حاشية ٥ .

من أرمينيا إلى الخليج العربى فقد قضى على اللهجات القديمة وظهرت الأرامية الشرقية . وفى أيامنا هذه نجد فى سوريا اقواما يتكلمون الآرامية بل هناك جماعات أكبر فى أرض الرافدين وأرمينيا (١).

ولقد ساعد على انتشار اللغة الارامية سهولة الكتابة بها لبساطة حروفها ولأنها أسرع فى التدوين من الخطوط المسمارية بالإضافة إلى تهجير الاراميين باعداد غفيرة وأعادة توطينهم فى الامبراطورية الاشورية ليخدموا فى الجيش الاشورى والإدارة الاشورية (٢) . هذا بجانب النشاط التجارى الواسع الذى وضع زمامه فى يد الاراميين الذين انتشروا فى المحطات التجارية التى اقيمت على طول طرق القوافل الرئيسية منذ القرن التاسع قبل الميلاد. فكان التجار الاراميون يبعثون قوافلهم إلى جميع مناطق الهلال الخصيب وحتى إلى منابع دجله فى الشمال وا كتشفت فى خرائب نينوى بعض الموازين البرونزية التى تركوها . وكانوا يحتكرون تجارة سوريا الداخلية كما كان يحتكر أبناء عمهم ومنافسوهم الكنعانيون التجارة البحرية . وكانت عاصمتهم دمشق ميناء البادية كما كانت جبيل ثم صور من موانىء البحر . وقد تاجر الاراميون . بالارجوان من فينيقيا وبالمطرزات والكتان واليشب والنحاس والابنوس والعاج من افريقيا وبمحصول البحار الذى ربما كان اللؤلؤ الذى اشتهر به الخليج الفارسى خلال العصور (٣) .

٣ — الديانة الارامية :

من الأمور الغامضة معرفة أثر الديانة الارامية على الشعوب الأخرى حيث

---

(١) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ١٠٩ — ١٢٣ (دار المعارف ، ٧١) .

(٢) ولضمان استقرار الاراميين المهجرين فى مواطنهم الجديدة ، فقد أمدتهم السلطات الآشورية بالطعام والملابس وبالزوجات أيضا ، قارن :

H.W.F. Saggs, Iraq 18 (1956), 41, ff, 55.

3. Olmstead, History of Palestine, p. 534.

أن الاراميين انفسهم قد تأثروا بالبيئات المختلفة التى عاشوا فيها . لقد استعار الاراميون من الشعوب المجاورة بعض الالهة التى ظهرت فى النقوش الارامية واعترفوا بها ومن بينها الالهه الـكنعانيه بعل ـ شمين ورشف الذى يمثل على هيئة مقاتل وملقارت والالهة العراقية القديمـــة شمش ومردوخ ونرجال وسين (١) .

ولقد كان الاله الارامى الرئيسى فى سوريا هو الاله حدد (هدد أو أدد) وهو اله عرفه الاراميون عن الاموريين والـكنعانيين وكان الها للامطار ومايصحبها من زوابع ورعود وبروق أوهو نافع حين يرسل الماء الذى ينفع الزراعة وهو مهلك أن أرسله سيولا جارفة ومن هنا جاء لقبه « رمون » أو « رمان » أى المرعد مثير العواصف وكان الأسمان يستعملان معا احيانا فيقال حدد ـ ريمون (٢) . ونشأة حدد فى هذه البقعة نشأه طبيعية فى أرض تلتمس الأمطار لتعيش عليها المزروعات وصورة الاله تمثله حاملا شوكه مثلثه الطرف ومطرقة رمز البرق والرعد وذلك فى نحت بارز من زنجرلى ، كما يمثل أحيانا على ظهر ثور (رمز الأخصاب والقوى المنتجة) وذلك فى نحت بارز من ملاطية . وقد اقترن بمعبود الحيثيين « تشوب » الذى يمثل فى العصور الـكلاسيكية كزيوس . وكان أهم معبد للاله حدد فى هيرابوليس (منبج) ولـكن له معابد فى مدن سورية أخرى كثيره وفى لبنان وامتزجت عبادته كذلك بعبادة الشمس لأنه كان الها للسماء قبل كل شيء فأخذ عنها اشعتها تزين رأسه وقد عرف فى

---

(١) اله القمر هو سهر فى الارامى وهو نظير سين الآكدى واله الشمس هو شمس فى النص الارامى ولدى الأكديين واله النـــار هو نسك فى النص الارامى ونوســكو لدى الأكديين .

(٢) يبدو أن الأكديين استعاروا هذه الـكلمة من المناطق الغربية . وقد يـكون اسم حدد اشتق من فعل الإيزال فى اللغة العربية وهو « هد » بمعنى كسر أو هدم . انظر، موسكاتى : المرجع السابق ص ٣٤٧ حاشية ٢١ .

العصر الروماني تحت اسم « جوبيتر الدمشقي » (١) وقد أمر بنا مو الأول ابنه في الكتابة التي تركها على تمثال حدد أن يتلو العبارة الاتية عندما يقدم الذبائح . «لتأكل روح بنامو مع حدد وتشرب روحه مع حدد ولتفرح بالتقدمة لحدد»(٢) ويعطينا ذلك فكرة عن نظره الأراميين القدماء للحياة الأخره وأنهم كانوا يعتقدون باتصال الملك المتوفى بالالهة كما هو واضح في الديانة المصرية القديمة من أيام الدوله القديمة (نصوص الأهرام) التي كانت وقفا على الملوك في هذا العهد لأن فرعون كان مقدسا .

ولقد عرف الاراميون بعادة تسمية ابنائهم « بارحدد » أي ابن حدد أو ابن الهه أخرى محببة لديهم . وبقيت هذه العادة شائعة في سوريا حتى العصر المسيحي وتلقي ضوءا على العلاقات المفترضه بين الاله والذي يعبده (٣) .

وكانت أتار جاتيس زوجة لحدد وقد عبدت مع زوجها أيضا في هليوبوليس ويدخل في الجزء الأول من تركيب أسمها الالهة المعروفة « عشتار » بينما يدخل في الجزء الثاني الالهة الكنعانية القديمة عنت وهذا يدل على أزدواج هاتين الالهتين السماويتين الكبيرتين بعضهما في بعض وكان الأسد والحمامة الحيوانين المقدسين لهذه الالهه . وكانت تمثل الأمومة وتصور لابسة تاجا ويصحبها أسد في بعض الأحيان كما تفعل عشتار وتجمع في رمزها بين الهلال

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم المرجع السابق ج ٣ ص ٤٨٠ وما بعدها ، فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ .

وهذا يفسر اطلاق اسم هليوبوليس « مدينة الشمس » على مدينة بعلبك التي كانت مركزا كبيرا لعباده حدد في وادي البقاع وقد أقام الإمبراطور الروماني انطونين التقي (١٢٨ ـ ١٦١ م) معبدا ضخما له في بعلبك لاتزال أطلاله تروع الناظرين (انظر موسكاتي : الحضارات السامية ص ٣٤٨ حاشية ٢٤ .

2. Arno Poebel, Das appotionnelle Pronomen (Chicago, 1932), p. 48.

(٣) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٨٧ .

وقرص الشمس وتظهر احيانا محجبة وكان كهنتها — مثل كهنة عشتار — ينذرون انفسهم لها فهم فى أغلب الأمر خصيان وقد كانت عسقلون فى فلسطين مركزا اخر لعبادتها وكانت تعدل « أفروديت » وقد انتشرت عبادتها فى أوربا فاقيم معبد باسمها فى روما كما حدث بالنسبة لعبادة الاله ايزيس المصرية .[١]

كما عبد الاراميون فى سمأل بجانب حدد الالهة المحلية مثل راكيب — ال سائق المركبات « وبعل — حمان » سيد (الجبل) حمان « وبعل — صمد » سيد التل » وبعل — شمين « سيد السماوات » وكذلك بعل — حران الذى كانت حران مركزا لعبادته . وهناك الهه أخرى تعبد لها الاراميون كما يتضح من اسمائهم التى يدخل فى تركيبها أسماء هذه الالهة خاصة فى الفنتين والمستعمرات الأخرى فى مصر . فهذه الأسماء تتضمن آلهة مثل نابو وبتيل والالهة المؤنثه ملكات شملين وبانيت التى كان لها مقاصير للعبادة فى المستعمره الارامية فى اسوان .[٢] ولابد أن الاراميين عبدوا أو على الأقل عرفوا الاله العبرى يهوه فقد وجدت اسماء أعلام فى مواضع مختلفه يدخل أسمه عنصرا فيها مثل ياو — بيدى الذى تذكره المصادر الاشورية ملكا على حماه أيام سرجون الاشورى (٧٢١ — ٧٠٥ ق . م) ، فالعنصر الأول يقابل يهوه ، مثل يهورام بن توعى ملك حماه فى القرن العاشر قبل الميلاد ومثل عزريا والذى تقول المصادر الاشورية أنه اغتصب عرش ملك سمأل[٣] .

ويبدو تأثير الديانة الآراميه بين الاسرائيليين واضحا فى أدخال مظاهر

---

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ج ٣ ص ٤٨١ ، موسكاتى : الحضارات السامية ص ٣٤٩ حاشية ٢٦ .

2. B. Porten, Archives from Elephantine (Berkeley, 1968) 164 ff.

3. Dupont-Sommer, Les Arméens, p. 114 f.

العبادة فى دمشق إلى بيت المقدس ويظهر ذلك فى المذبح الذى يحاكى طراز مذبح دمشق (الملوك الثانى ١٦ : ١٠ — ١٢) . وأن احراق ابن احاز فى النار كقربان للاله (الملوك الثانى ١٦ : ٣) يعتبر دليلا اخر على تأثير الديانة الارامية حيث أن هذا الطقس كان يمارسه الاراميون الذين نفوا إلى السامره من سفر وايم . ولقد كان الالة الذى يؤدى له هذا الطقس هو أدر ملك (الملوك الثانى ١٨ . ٣١) الذى هو بالتأكيد الاله أداد _ ملك الذى كان يؤدى له هذا الطقس فى جوزان أحد مراكز الاراميين . (١) ويجب أن نلاحظ أيضا عبادة هدد _ ريمون الاله المحلى لدمشق فى سهل مجدو (زكريا ٢١ . ١١ ، وقارن الملوك الثانى ٥ . ١٨). ولعل ميل الاراميين للتأثر بالديانة الاسرائيلية واضح من قصة نعمان قائد جيش ملك ارام _ دمشق (الملوك الثانى ٥ . ١٥ _ ١٧) . وفى عصر متأخر اصبح للديانة الارامية أثرها الواضح بين اليهود المقيمين فى الفنتين بينما يظهر التأثير اليهودى فى بعض الأسماء مثل شبتاى فى مجتمع الآراميين فى مستعمرة سين المجاورة .

٤ — الفنون الارامية .

أن الحفائر التى أجريت فى مدن مثل حلف (جوزان فى القرن التاسع قبل الميلاد وأثناء حكم الملك كابارا) (٢) . وارسلان طاش (حاداتا) ، وتل أحمر

---

(١) بشأن عبادة أدر ملك (أداد — ملك ، قارن .

K. Deller, Or. 34 (1965), 382 ff.

(٢) لقد كشفت الحفائر التى أجريت منذ أكثر من عشرين عاما فى ناحية جوزان عن احتلال آرامى فيها على الأقل قصر وبعض الآثار الأخرى من أيام حكم هذا الملك ، انظر :

=

(تل بارسيب) وزنجرلى (سمأل) وتل رفاد (أرباد) وحماه ، قد أزاحت الستار عن كثير من انجازات الاراميين الحضارية خاصة فى ميدان الهندسة والنحت والفنون الأخرى[1] ولـكن الأراميين قد تأثروا بحضارة جيرانهم والبيئات التى عاشو فيها ، ففى بلاد الرافدين تأثروا ببقايا الحضارة الميتانية والاشورية وفى سوريا بالحيثيين والفينيقيين وعلى الجملة فقد وصلت حضارة الاراميين ذروتها فى القرن العاشر والثامن قبل الميلاد .

لقد ترك الاراميون آثارا من توغلهم فى بلاد الرافدين فى حضارة تل حلف حيث كشف عن مجموعة كبيرة من التماثيل ومن الأبواب التى حفرت عليها صور بارزه غالبا مايرجع تاريخها إلى مابين القرن الحادى عشر والتاسع ق . م وظاهر من زخارفها أنها قد تأثرت بالفن الميتانى ، لأن تلك المنطقه كانت خاضعه للمتانيين قبل حلول الاراميين . وفى مجموعة فان هذا الفن خشن المظهر ، لـكنه اتسم بالحركة والحيلة . ويمكن تمييز أعمال الاراميين الفنية بما أعادوه من تصوير وجه الانسان باللحية محلوقه فوق الشفتين وتحتهما وموضوعات الصور البارزة هى أساسا أشكال الحيوانات والمخلوقات الغريبة ومناظر الصيد مع بعض الخشونة فى التصوير ، وهذا كلة يتبع طبعا الخطوط الأساسية للفن ببلاد الرافدين [2].

Von Oppenheim, Tell Halof (Paris, 1939); Amortgat, Archäologie Und altes Testament (1970), 211 ff.

(١) بشأن الاثار التى تدل على حضارة هذه المدن ، انظر :

H. Frankfort, The Art and Achitecture of the Ancient Orient, 4th, ed. (Harmondswarth, 1970), Ch. II.

(٢) موسكاتى . الحضارات السامية ص ١٨٦ .

أما فى الشمال فى سمأل (زنجرلى) فى شمال سوريا فواضح أن المجموعات الأثرية التى كشف عنها هناك قد تأثرت بالفن الحيثى لأننا نعلم من قبل أن الحيثيين قد احتلوا تلك المنطقة فترة طويلة . يتجلى ذلك فى نحت بارز لبار ركاب بن بنامو الثانى الذى يمثله بثوب طويل ذو حواش وقبعه من النوع الحيثى أما لحيته و تجاعيد شعره فانها تتبع الأسـلوب الاشورى حيث أن ملوك سمأل خضعوا للحكم الاشورى من أيام شلمنصر الثالث ، أى فى القرن التاسع ق . م [١] .

وكانت مدينة سمأل محاطه بصفين من الأسوار وكانت تقوم فى وسطها القلعة والمبانى العسكرية والقصور الملكية والمعابد • ومن الملامح المميزة للقصور الفناء الخارجى الذى على هيئة البواكى (بيت خيلانى) وقد رأيناه فى الفن الاشورى وتدل دراسات H. Frankfort على أنه نشأ أصلا فى سوريا وكان على جانبى المدخل تمثالان لاسدين عظيمين قد فغرا الفكين وتدلى منهما اللسان وكانت هناك تماثيل كثيره على صورة ابى الهول [٢] .

كما كشف فى حماه عن لوح زين بمشهد لتقدمة خاصة بالموتى وفى النصف العلوى من اللوح نسر ذو رأسين وربما يعود أصله إلى تأثر حيثى بحت • وعثر فى دمشق على نقش بارز من العصر الارامى يمثل وحشا وهميا وواضح من النقش أنه متأثر بحضارة الفينقيين . وعثر على مجموعات مصنوعه من العاج فى أرسلان طاش وفى مجدو والسامره ونمرود وواضح أن

---

(١) فيليب حتى . المرجع السابق ص ١٨٥ ومابعدها •

(٢) موسكاتى • الحضارات السابقة ص ١٨٦ .

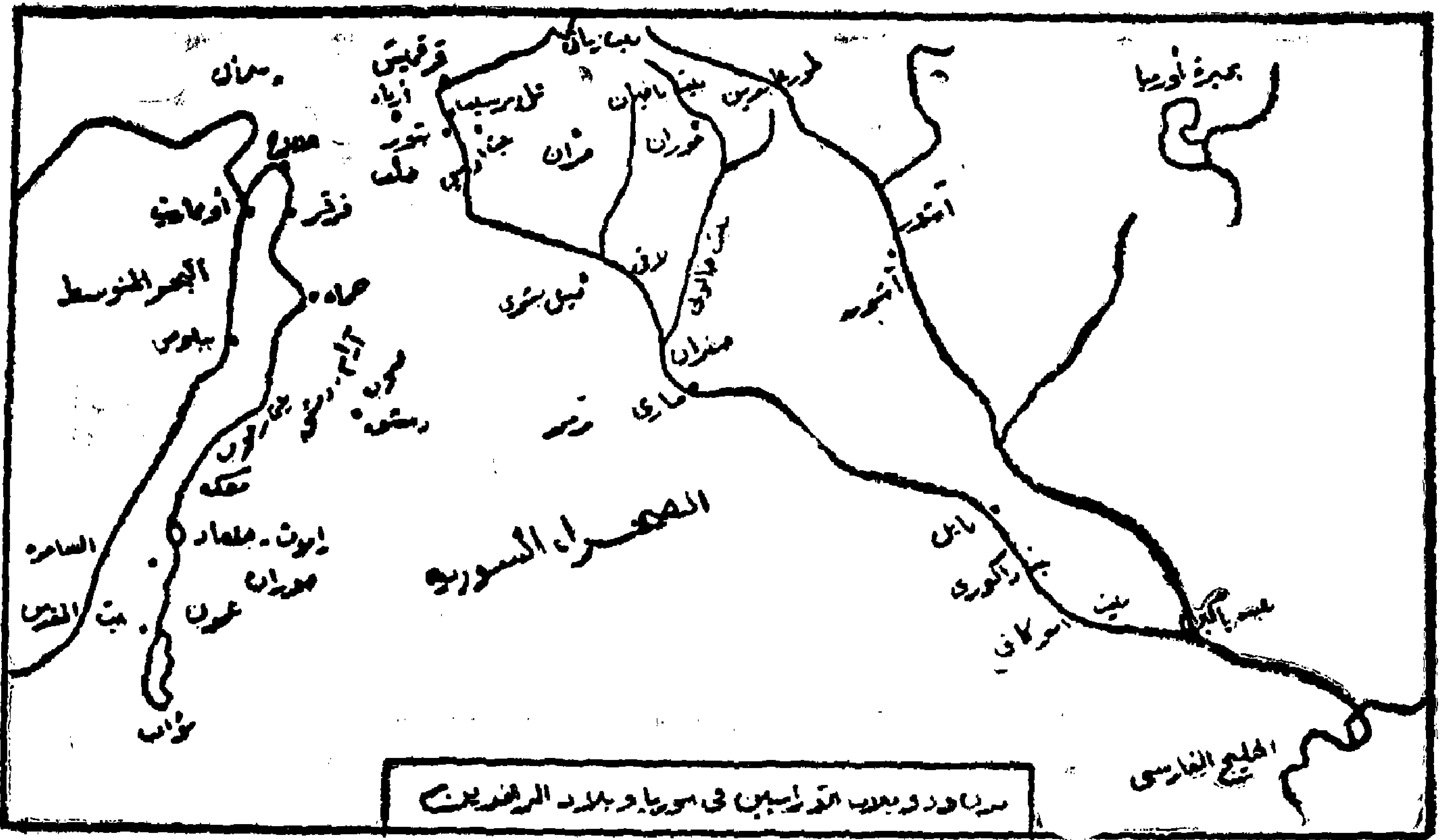
فيها تأثيرات مختلفة مصرية وحيثية وفينيقية وايجيه [1] .

وبالرغم من نظرة اعداء الاراميين لهم على أنهم « شعب تائه » [2] وأن حضارتهم لم تكن اصيلة ولا خلاقه ، فانهم تبوؤا مكانهم المميز فى التاريخ وكانوا قوة مؤثره رئيسية فى حضارة الشرق الأدنى القديم .

---

(١) عبد الحميد زايد . الشرق الخالد ص ٣٦٧ .

2] C.J. Gadd, Iraq 16 (1954), p. 192.



مدن ودويلات التوراتيين في سوريا وبلاد الرافدين

الفصل الرابع

العبريون

العبريون

أجمع معظم المؤرخين على أن العبريين كانوا الشعب السامى الرابع الرئيسى الذى سكن سوريا بعد الأموريين والكنعانيين والاراميين وكان أهم مركز للاحداث السوريه فى عهد الأموريين فى الشمال فى منطقة الجسر السورى ثم انتقل مركز هذه الأحداث فى زمن الكنعانيين إلى الساحل وكان فى زمن الاراميين فى الدخل ، أما الان فقد تحول مع العبريين إلى الجنوب أى فلسطين (١) . ولقد اعتمد هذا الرأى على أساس الفكرة الشائعة بأن العبريين والاسرائيليين شعبا واحدا وأن تاريخ بنى اسرائيل هو بعينه تاريخ العبريين . ولكن بالبحث العميق والدراسة المتأنية للكتابات المسمارية ونصوص العهد القديم بجانب النصوص المصرية المعاصره ، أمكن الوصول إلى أن العبريين والاسرائيليين شعبين مختلفين يجب عدم الخلط بينهما . وقبل الدخول فى بيان هذه الحقيقة . يجب أن نعرف متى ظهر هؤلاء العبريون والأماكن التى انتشروا فيها وزاولوا فيها أنشطتهم والأصل الذى اشتق منه أسمهم .

اكتشاف العابيرو — خابيرو :

أن النصوص المصرية التى تم اكتشافها فى القرن التاسع عشر الميلادى تذكر اسم شعب كتب اسمه بالهيروغليفية [hieroglyphs] « عبرو » وهى كلمة دونت فى صيغة الجمع . وهناك على الأقل تسع من النصوص المصرية

---

(١) انظر على سبيل المثال ، فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ح ١ ص ١٩٠ .

المعروفة لنا تذكر بوضوح هذا الشعب يرجع تاريخها إلى الربع الأول من القرن الخامس عشر ق . م حتى القرن الحادى عشر ق . م . ففى نصوص القرن الخامس عشر ق . م . يذكر العبرو أما كحاربين فى كنعان [٢] أو كأسرى يعملون كخدم « لعصر النبيذ » [٣] . وفى القرن الرابع عشر ق . م . وأوائل القرن الثالث عشر ق . م . قابل سيتى الأول هذا الشعب حيث ذكر ثورتهم على احدشا هديه اللذين اقامهما فى بيت شان فى فلسطين نفسها [٤] وفى القرن الثانى عشر ق . م . أثناء حكم رمسيس الثالث (١١٨٢ — ١١٥١ ق . م .) يرد ذكرهم كأسرى يوهبون للمعابد بينما فى عهد رمسيس الرابع (١١٥١ ـ ١١٤٥ ق.م) نراهم كعمال فى محاجر وادى الحامات [٥] . ثم يبدأ اختفاؤهم فى المصادر المصرية منذ بداية القرن الحادى عشر ق . م . كما يختفون أيضا من لغة الحديث فى اسرائيل فى القرن العاشر ق . م

ويبدو أن التوحيــد بين « العبرو » المذكورين فى النصوص المصرية و « العبرم » الذين ذكرهم العهد القديم لايمثل مشكلة من الناحية اللغوية حيث ثبت التشابه فى الاستعمال بين حرف (ب = P) فى اللغة المصرية وحرف (ب = b) فى اللغات السامية وذلك بفضل الابحاث التى قام بها كل من مولر وبور خارد. ولــكن الصعوبة تــكمن فى علامات الحركة لأن النصوص المصرية تغفل كتابتها بينما النصوص المسمارية التى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق . م والتى عثر عليها فى مصر توضحها كتابة كما هو ... فى وسائل

2. ANET, p. 247.

3. T. Säve-Söderbergh, ' "The 'prw as vintagers in Egypt", Orientalia Suecana, I, 1952), 5 ff.

(٤) الشاهد من البازلت ومحفوظ الان فى متحف بيت المقدس تحت رقم ٨٨٥
انظر : ANET, p. 255.

5. ARE, 4, §§ 389-99.

العمارنة [٦] . فني المنطقة التي كان الفراعنة يحاربون فيها العبرو ويأخذونهم أسرى ، كانت المراسلات الدبلوماسية التي تصدر من بلاط امنحتب الثالث والرابع تتشكى عن ثوار يسمون خابيرو ولقـــد كتب اسمهم كاملا في الخطابات التي أرسلها أمير بيت المقدس عبدى ـ خيبا إلى فرعون مصر [٧] . ومن الواضح أنهم نفس المجموعات أو العناصر التي يطلق عليها في رسائل أخرى (رقم ٣٤ ، ٨٨) « ساجاز » وهي كلمة كتبت بعلامة تصويرية سومرية . وكان لهؤلاء الخابيرو نشاط كبير في كنعان وفي فينيقيا في اقصى الشمال . كما ورد ذكرهم في نصوص يرجع تاريخها إلى الألف الثالثة حتى الألف الأولى ق . م . ولـكن هذه النصوص الأخيرة تنسخ روايات قديمة وتتحدث عن هذا الشعب وآلهته في الماضي . والسؤال الذي يطرح نفسه الان هل يمـكن التوحيد بين عبرو النصوص المصرية وخابيرو النصوص المسمارية وعبرم العهد القديم ؟ لقد اختلف الباحثون حول هذا الموضوع .

يرى الـكسندر شارف أنه لا توجد أي علاقة بين الخـابيرو والعبرانين ويرجع أن الأسمين يرجعان إلى أصلين مختلفين وأن وجد بينهما تشابه في بعض الحروف الأمر الذي دعا بعض المستشرقين أن يربطوا بينهما لغويا [٨] .

---

(٦) عثر على هذه الرسائل في العمارنة في المبنى التي كانت تحفظ فيه المراسلات وهي مـكتوبة كلها على الواح صغيرة من الطين المحروق باللغة الأكدية الدارجة كتب أغلبها كنعانيون أو مصريون يعرفون هذه اللغة . ومجموع المعروف منها ٣٣٧ رسالة توضح لنا ما كانت عليه الحالة السياسية في بلاد سورية — فلسطين وبابل وآشور وميتاني وخيتا في أواخر أيام امنحتب الثالث وطيلة أيام اخناتون وخليفته سمنخ كارع . وقد عكف العلماء على جمعها وترجمتها نذكر منهم . J.A. Knudtzon
Die El-Amarna - Tafeln (Leipzig, 1907-15)

(٧) رسائل العمارنة من رقم ٢٨٧ إلى رقم ٢٩٠ ، أنظر
ANET, p. 487-89.

(٨) الـكسندر شارف : تاريخ مصر ص ١٤٤ من الترجمة العربية لعبد المنعم أبوبكر (القاهرة ١٩٦٠) .

ويضيف أدوارد دورم أن العلاقة بين اللفظتين مشكوك فيها فاللفظة خابيرو طبقة معناها الرفيق أو الحليف أو الشريك أما عبرى مشتقة من الفعل السامى الشائع فى العربية « عبر » بمعنى اجتاز . كما أن العناصر الصوتية فى كلمة عبرى (جمعها عبريم ونادوا عبرييم كما فى خروج (٣ : ١٨) لا تتفق مع تلك الموجوده فى كلمة خابيرو (٩) .

أما الفريق الآخر وعلى رأسهم شبيسر فيقول بالتوحيد بين عبرو النصوص المصرية وخابيرو رسائل العمارنة والكلمة العبرية التى ظهرت بعد ذلك وتقرأ עִבְרִי « عبرى » (١٠) كما يحاول بعضا من هذا الفريق تبرير التوحيد بين الخابيرو والعبريين بإبراز التشابه بين أعمال وتحركات الخابيرو وغزو العبريين بقيادة يشوع لكنعان على أساس أن الاسرائيليين والعبريين شعبا واحدا . وهم بهذا يرون أن غزو بنى اسرائيل لكنعان من ذلك النوع من القتال بين الزراع والرعاة وبين الحضريين والبدويين وذلك مع الفارق القائل أن عدد بنى اسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم فى مصر وحرمانهم الهائل فى التيه مما جمع بينهم واقنطهم فصاروا كقطيع من الذئاب المزيلة التى دفعها الجوع إلى الاقتراب

---

9. E. Dhorme, La Religion des Nomades Hébreux (Bruxelles, 1937), pp. 75-85.

10. E. Speiser, "Ethnic Movements in the Near East in the Second Millennium B.C.", AASOR 8 (New Haven, Conn., 1933).

وكذلك أيضا .

H.R. Hall, The Ancient History of the Near East,
11th ed. (London, 1950)
P. 406-7, W.O.E. Oesterley, Egypt and Israel (Oxford, 1947), p. 222.

من المدن (١١) ومن هنا لم تكن هزيمتهم للكنعانيين الا مثلا لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين (١٢) .

ولكن اكتشاف نصوص جديدة من القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق . م . ودراستها أدى إلى بعض التقدم لحل هذه المشكلة ووضع حد لبعض الخلافات . فقد اسفرت الدراسات التي أجريت على هذه النصوص على أن الخابيرو لم يكونوا شعبا بدويا خالصا بل منهم من عاش حياة متحضره في مدن فلسطين وسوريا وبلاد الرافدين كما تمتعوا بوضع اجتماعي متميز كانوا فيه انداداً للامراء والملوك كما سنفصل ذلك في الصفحات التالية .

من هذا نرى أنه من الصعب التوفيق بين قصة غزو كنعان المذكوره في سفر يشوع وبين أعمال وتحركات الخابيرو التي أوضحتها رسائل العمارنة بصفة خاصة . ومن النصوص التي ساهمت في حل هذه المشكلة تلك التي اكتشفت في رأس شمره (أوجاريت) والتي كتبت بلغات وكتابات مختلفة كانت احداها قريبة من مسمارية العمارنة والأخرى قريبة من اللغة العبريه . ففي هذه النصوص اعطيت اربع اسماء لمدينة « خالبي » ربما كانت تعبر عن أحياء المدينة الأربعة . فاحد هذ الأسماء كتب « خالبي ساجاز » بمقاطع مسمارية والاخر « خلب عيرم » بلغه سامية غربية (١٣) فمن هاتين الكتابتين يمكن التوحيد بين الخابيرو والساجاز والعيرم ، هذا بجانب ماسبق أن أوضحناه من التوحيد بين خابيرو العمارنة وعبيروو النصوص المصرية .

---

(١١) جوستاف لوبون . اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص٣٥ من الترجمة العربية لعادل زعيتر (القاهرة ١٩٦٧) وكذلك .

H.R. Hall, op. cit., p. 407.

(١٢) ول . ديورانت . قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٦ من الترجمة العربية لمحمد بدران (القاهرة ١٩٦١) .

13. C. Virollea d, CRAIBL (1939); RES (1940), 74 ff.

أما بالنسبة للتوحيد بين الخابيرو والعبريم المذكورين فى العهد القديم فالحروف الساكنة أصبحت لا تمثل مشكلة من الناحية اللغوية . فحرف العين فى العبرية يماثل حرف الخاء حيث أن حرف العين لا يكتب فى السمارية بطريقة مباشرة ولكن يستبدل غالبا بحرف الخاء (١٤) أما بالنسبة لحرف (ب المجهورة) وحرف (ب) فإن الانتقال من الحرف الساكن الغير مجهور إلى المجهور شائع فى اللهجات السامية ، علاوة على ذلك فبعض نصوص العصر البابلى المتأخر (نهاية الألف الثانية ق . م .) ذكرت الكلمة « خابيرا » بالباء غير المجهورة الأمر الذى يحتمل معه تطور نطق هذه الكلمة فى نهاية الألف الثانية ق . م وهو الوقت الذى كتبت فيه نصوص العهد االقديم إذا أخذنا بالتاريخ الاقدم . ولقد أوضحت الدراسات النقدية للعهد القديم أن المعلومات الأساسية التى وردت فيه قد دونت بطرق مختلفة عبر القرون . فنعرف من سفر التكوين (١٤ : ١٣) أن ابرام العبرانى قد ذكر وهو فى حبرون ومن الأصحاح ٢٣ (٨ ـ ٩ ، ١٩) من السفر نفسه يشترى ابراهام نفسه مغارة فى حبرون (خبرن) من عفرون (عيرن) الحيثى . فالكلمة « خبرن » القريبة من خابيرو قد كتبت بالباء الغير مجهورة بينما الكلمة « عيرن » القريبة من عبرى كتبت بالباء المجهورة. وإياما كان الأمر فالنتائج المستخلصة من مثل هذه الملاحظات لا تزال قيد البحث ولكنها تمهد الطريق لحل المشكلة . وقبل بيان العلاقة بين العبريين (والاسرائيليين) والخابيرو ، يجب أن نعرف أولا من هم هؤلاء الخابيرو .

---

(١٤) قارن ، خومرى = عمرى ، خازيتى = عزه (غزه) كيناخى = كنعان .

مواطن انتشار وانشطة الخابيرو — عبرو :

لقد افادتنا كثيراً فى معرفة الـكثير عن هذا الشعب مجموعتى النصوص التى قام بتنظيمها ونشرها العالمين J. Bottéro والذى سيرمز لمجموعته بالحرف (B) Greenberg, والذى سيرمز لمجموعة بالحرف (G) (١٥) وهناك نصوص قليلة نادره ومرونه لم ترد فى هاتين المجموعتين ، كما أن هناك نصوص أخرى نشرت بعد ذلك جاءت من السومويه (١٦) ومن المملـكه الحيثه القديمه (١٧) ومن نوزى إلى الشرق من نهر دجـــــله (١٨) ومن اوجاريت (١٩) ومن العمارنه (٢٠) .

فمن هذه النصوص المختلفة التى ورد فيها اسم الخابيرو ، يمـكن القول بصفة مؤكده بأن هؤلاء الخابيرو اعتبروا ساجاز فى إما كن معينه وفى فترات معينه ولـكن هذا لايستتبع أن نقرأ الـكلمه خابيرو فى كل حالة يظهر فيها الإصطلاح ساجاز . حقيقه أن مؤلفى المعاجم لم يذكروا فى قوائم مفرداتها ترادف الساجاز بالخابيرو ، أما المرادف الأكدى للـكلمة السومريه ساجاز كان داعا « خباتو »

---

15. J. Bottéro, Le problème des Habiru, Cahiers de la société Asiatique, 12 (Paris, 1954); M. Greenberg, The Hab/piru, A O S (New Haven, Conn., 1955).
16. . Falkenstein, ZA 53 (1959), p. 286, n. 32.
17. H. Otten, ZA 52 (1957), 216 - 23.
18. E. Cassin, "Quelques remarques à propos des archives administrative de Nuzi," RA 52 (1958), 16 - 28, "Nouveaux documents sur les Habiru", JA 246 (1958), 225 - 36.
19. J. Nougayrol, PRU 4 (1956), 17 238 (pp. 107 ff) 17. 341 (pp. 161-3).
20. D.O. Edzard, "Die Tontafeln Von Kamid el-loz", Beiträge zur Altertum kunde (Bonn, 1970), pp. 52 - 62.

التى تعنى أصلا « جوال ، تباع ، حير ، فلاح متجول » من الفعل « خبـاءو » « يتجول ، يعبر » ثم اتخذت معنى ثانويا هو « قاطع طريق ، لص »[٢١] .

وحيث أن الكلمة لا تعنى شيئا فى السومريه فقد اعتبرها البعض تصحيفا سومريا للكلمة الإكديه « شاجاشو » والتى تعنى « معتدى » وقد أيد هذا المعنى نص من العصر السومرى الحديث ، وصف فيه الساجازبانهم « أناس بدون ملابس ، يسافرون فى سكون تام ، يدمرون كل شىء ويذهب رجالهم حينما يريدون وتملك نساؤهم المنازل ... ويقيمون خيامهم وخياتهم ويقضون أيامهم فى الحقول ولا يطيعون قوانين شولجى مليكى »[٢٢] وبنهاية الألف الثالثة ق . م كان الساجاز شعبا متجولا يعيش على مشارف مجتمع متحضر يخضع لسيطرة أسرة أور الثالثه ، ولكن هذا الاسم يمكن اطلاقه على أى شعب غير مستقر لا يخضع لأى سلطة .

وهكذا نرى أن الكلمة ساجاز اصطلاح عام أوسع تطبيقا من الخابيرو الأمر الذى لا يجعلنا بالضرورة نعتبر تلقائيا كل ساجاز أحد الخابيرو ، لذلك علينا الا نحاول معرفة السبب الذى من أجله اعتبر الخابيرو ساجاز قبل أن نمر على هذه الكلمة مكتوبة كاملة المقاطع . وايا ما كان الأمر ، فعلى لوحة من تل براك التى تقع على الخابور الأعلى غرب نينوى ، يرجع تاريخها إلى العصر الأكدى (٢٣٧١ — ٢٢٣٠ ق . م) نجد ذكر شخص يحمل اسم خابيرام (B. 6) . وإلى الشمال قليلا نقابل الخابيرو كأسرى فى المستعمرة الأشورية فى كبادوكيا من عصر كولتبى المتأخر . لقد وصفوا باللقب « اويلو » الذى لم يكن بالضروره لقبا شرفيا فى هذا العصر ولكن كان يدل على أنهم يمتلكون ثروة كافيه لذلك رقبتهم (B. 5)

---

(٢١) انظر : C A D

22. A. Falkenstein, ZA 53 (1959), 286.

وحوالى نفس الوقت (عصر لارسا الذى يؤرخ بالقرن ١٩ ق . م) يظهر الخابيرو فى جنوب بلاد الرافدين فى النصوص الأداريه ، وكان يشار اليهم عامة كساجاز ولكن نصا واحدا دون بوضوح الكلمة « خابيرى » مما يؤكد أن الساجازهم الخابيرو . ومن هذه النصوص نعرف انهم كانوا يعملون جنودا (B.16) تحت امرة رئيس (B. 17) وكانوا يتسلمون إمدادات من الطعام . وفى نص مماثل عثر عليه فى سوسا فى عيلام كانوا يتسلمون اغناما (B. 35) مع مجموعات أخرى كان يطلق عليها جميعا « جنود الغرب » الأمر الــــذى يثير الإهتمام .

وفى نفس الوقت يذكرون فى عديد من النصوص من مارى على نهر الفرات إلى الغرب من بابل . فالخابيرو فى هذه النصوص لم يطلق عليهم ساجاز أبدا ، بل كانوا ايضا جنودا (B. 18, B. 20) تحت أمرة رؤسائهم وقد بلغ عدد احدى مجموعاتهم عشرون الفا (B. 18) . وكانوا ينتقلون من خدمة رئيس لأخر (B. 29) « فى منطقة شوبات — شمس » ونتيجة لهذه التنقلات ارتبطوا باسم جغرافى ، فكان منهم من يشار اليه بأنه « من البلاد (المنبسطه) (B. 18) أو من « يامونبال » (B. 19) أو من « سوخو » جنوب مارى (B. 33) كما يرد أن أحدهم هرب من اشدونا (B. 30) وكانوا يمتلكون الجير (G. 15) ويغيرون على ادا ماراز ويستولون على المدن مثل ياهومبوم وسورروزوم واشوشيك ولوهايا ورغم ذلك كانوا لايحتفظون بها . ولاثارة المتاعب كانوا ينضمون إلى مجموعات أخرى مثل سكان تالمايا واسلاكا (B. 27) كما أنهم كانوا على غير وفاق مع ملك مارى وكانوا كذلك احيانا مع ملك آشور .

وفى نص متأخر قليلا (القرن ١٨ ق . م .) عثر عليه فى اقصى الغرب فى الالاخ فى سوريا نجد الخابيرو وقد تصالحوا مع ملك البلاد المدعوا اركابتوم وكانوا تحت امرة شخص يدعى شمويا . وفى نصين من المملكة الحيثيه قديمة

معاصرين لعصر ماري نرى الخابيرى والقوات الحيثيه قد عقدا معاهده بينهما موثقة بالقسم من كلا الجانبين . وهناك نصوص أخرى من المملكة الحيثيه القديمة يظهر فيها الخابيرى كقوات نظامية يمكن للملك الحيثى استخدامها فكان فى استطاعته أن يحشد ٣٠ الف منها كان يستخدمهم فى الحاميات . هناك نص كتب بلغة حيثية عتيقة يذكر قائد الجيش حورى ومعه ثلاثة آلاف من الجنود الخابيرو ولا يذكر أى نص من هذا العصر موقف الخابيرو سواء كانوا اعداء أو حلفاء للحوريين مما يجعلنا نتساءل هل كان الخابيرو يتكونون من عنصر حورى ؟ (B. 72)

ونقابل الخابيرو ايضا فى نهاية القرن ١٦ ق . م وفى بداية القرن ١٥ ق . م . فى منطقة الالاخ التى كان ينتشر فيها العناصر الحورية التى كانت تتكون منها اغلبية السكان .

لقد كان للخابيرو اسماء حوريه (B. 41, B. 44, B. 45, G. 50) وحيثما كانت الكلمة تكتب كاملة كانت تنتهى بالحرف المتحرك « ى » ولكن الكتبه كانوا دائما يستخدمون العلامه التصويرية ساجاز . لقد كانوا جنودا (B. 40) وقاطعى احجار تحت امرة قواد من الساجاز وكانوا يكونون مجموعات مستقلة كتلك التى التجأ اليها الملك أدريمى (B. 37) ولكنهم كانوا يكونون طبقة اجتماعية هامة حيث نجد فى قائمة باسماء الوظائف (B. 39) أن الخابيرى وضعوا بين « الإبن الملكى » وضابط القصر . ومثل هذا الوضع سنجده فى كنعان . وكانوا يمتلكون المنازل وينتشرون فى مناطق وأماكن مختلفة (B. 44) كما هو الحال فى عصر ماري . وجملة القول أنهم كانوا أناسا على جانب من الأهمية .

وفى خلال القرن ١٥ ق . م . أيضا يظهر الخابيرو فى اعداد كبيره ولكن فى أوضاع مختلفة فى مدينة نوزى الحوريه إلى الشرق من نهر دجله . ففى بعض

الأحيان نجد أو وضع الخابيرو فى نوزى يشبه وضعهم فى مارى والالاخ ولـكن فى احيان أخرى يختلف وضعهم . فى نوزى يـكتب الخابيرو دائما بصورة كاملة بدون العلامه التصويريه ساجاز التى كانت بغيضه فى اعين سـكان بلاد الرافدين . لقد كانوا يتسلمون جرايات من الطعام (HSS 15.237) وملابس (HSS 13.123, 152) ولـكنهم كانوا يمتلـكون خيولا (HSS 14.53) كما كانوا يعمـــلون فى تحت الأحجار (B. 64) [٢٣] كما كانوا قواد فوق (HSS 15.62) سواء كانوا جنودا أو عمالا وكانوا يوضعون فى قوائم الجرايات مع الصيادين (HSS 14.102) والنجارين (HSS 15.237) وكذلك مع الخيول .

لقد كانت المرأة من الخابيرو مقيده أكثر من من الرجل وفى حالة المرأة التى تفسخ عقدا كانت « تفقأ عيناها وتباع » . وكان فى استطاعة الرجل أن يفك اسره إذا قدم تعويضا اما بديلا عنه (B. 60) أو يدفع مبلغ كبير من المال ميغا من الذهب وآخر من الفضه (B 66) ولم يتمتع الرجال والنساء بالحريه حيث كانوا يوضعون تحت تصرف القصر (B. 64) أو شخصيات هامة مثل تهيپتيلا . وكان فى إمـكان سـكرى — تشوب أن يأخذ خابيرو إلى بلاد ارابخا (B. 64) . أما فى حالة السرقة أو سوء السلوك كان الخابيرو ينحط إلى مرتبه « الواردو » أى يصبح عبدا (B. 54) وأخيرا يجب أن نلاحظ أن الخابيرو فى نوزى بجانب تحت الإحجار وقيادة الفرق ، كانوا يعملون فى السخره لصالح صاحب الدين [٢٤] ومع ذلك فقد كان فى قدرتهم أن يعتقوا انفسهم بل أن يقرضوا قروضا ويضعوا انفسـهم فى الوضع القانونى المعروف فى الشرائع الإسرائيليه باسم « عبت » والذى بمقتضاه لايدخل صاحب الدين بيت المدين ليأخذ رهنا بل ينتظر خارج البيت ليخرج له الرهن (تثنيه ١٥ : ٦

---

23. C.F.E. Cassin, JA 246 (1958), 236.

24. Ibid., 231 - 2.

٢٤ : ١٠) . ولعل المقارنه بين هاتين الحالتين مهمة من الناحية اللغوية والتاريخية .

وهكذا كانت هناك علاقات واضحه بين الخابيرو فى نوزى وبين سكانها الحوريين . وهناك احتمال كبير أنه بسبب هذه العلاقات منح هؤلاء الخابيرو اللاجئين من آشور وبابل وغيرها وضعا أحسن من وضع العبيد . هذا فى الوقت الذى يذكر نص حوثى من القرن ١٥ ق . م . الخابيرو فى وضع اجتماعى أدنى حيث يوضعون بعد النبلاء والكهنه ولكن قبل الموتى والأحياء والسحره وفى نص آخر يوضعون بعد الوالدين والأخوه والأخوات والعبيد والأماء . ومن هذا يمكن القول أنه بينما حظى الخابيرو فى نوزى بوضع أفضل من وضع العبيد فقد أنحدروا إلى وضع أدنى فى آسيا الصغرى الغير حوريه . وفى أحد النصوص التاريخيه نجد أن ٦٠٠ من الساجاز منحوا لأله العبد كما فعل رمسيس الثالث الذى وهبهم إلى معابد الدلتا . لقد اعتبر الحيثيون الخابيرو اعداء خطرين (B. 87) وبعد قرن من الزمان يذكر مورسيل الثانى (حوالى ١٣٣٤ ـ ١٣٠٦ ق . م) أن أحدى المدن السورية قد اسرها ملك بلاد الحوريين واعطيت « لجدتى الساجاز » [٢٥] وهكذا نجد مرة أخرى أن من بين إعداء الحيثيين الحوريين والساجاز (أو الخابيرو) .

وتأخذنا هذه النصوص الحيثيه إلى القرن ١٤ ق . م . بل إلى ما بعد عصر رسائل العمارنه . لقد كشفت لنا هذه الرسائل عن أنشطه الساجاز خابيرو فى سوريا وفينيقيا بالقرب من سومور وبترون وبيلوص وكذلك فى أوبى بالقرب من دمشق وفى بيت المقدس فى أقصى الجنوب وفى نفس المنطقة التى قاتل فيها المصريون العبرو منذ أيام امنحتب الثانى فى القرن ١٥ ق . م . فى حملة مؤرخه

25. H. Klengel, "Der Schiedespruch des Mursilis II hinsichtlich **Barga**" Or. 32 (1963), 32-55.

بالسنة التاسعة من حكمه اسرفيها « ١٢٧ ملكا و ١٧٩ أخوة ملوك ٣٦٠٠ عبرو و ١٥٢٠٠ من الشاسواحياء و ٣٦٣٠٠ حوريين و ١٥٠٧٠ من النجس أحياء (٢٦) وواضح من هذا النص مركز العبرو سواء من عددهم أو من وضعهم بين الملوك وأخوة الملوك وبين جموع الشاسو والحوريين . وهذا الوضع يجعلهم يقفون على قدم المساواة مع مجموعات الإرستقراطيه العسكرية التى عاشت فى مارى والالاخ والتى ذكرت فى النصوص الحيثيه . وهناك ترتيب مماثل ذكر فى أحدى رسائل العمارنه كتبها بيرياوازا حاكم أوبى بالقرب من دمشق لامنحتب الرابع حوالى سبعين عاما بعد ذلك (B. 132) . فى هذه الرساله يذكر بيريا وازا نفسه ثم أخوته ثم الساجاز وبعد ذلك السوتو الذين يشبهون الشاسو فى النصوص المصريه . وفى بعض الرسائل ارتبط الخابيرو « بالخاباتى » أى « قطاع الطرق » (B. 148) وكان يطلق عليهم « الكلاب الضالة » (B. 93) ويمكن أن يقبلوا الرشوه (B. 115) ولم يذكر اسم أى رئيس لهم .

وأياما كان الأمر فقد كانوا قوة حربية (B. 97, B. 93) قادرة على الاستيلاء على المدن مثل سومور (B. 99) والتغلب على الملوك مثل ملك حاسور (B. 127) وكانوا معادين لرب — عدى حاكم بيلوص كما عقدوا تحالفا ضده مع عبدى — اشيرتا ملك امورو ومع أبنه عزيرو من بعده . لقد استولوا على سومور وباترون وشيجاتا وامبى (B. 99, 106) كما لقيت بيلوص وابيرتا نفس المصير (B. 111) كما اعطاهم لابايا حاكم شكيم أملاكا (B. 145) بل أن لابايا نفسه الذى كان رئيسا للخابيرو إستطاع أن يمد سلطته على منطقة امتدت من البحر المتوسط إلى جبال جلعد ومن سهل اسدرالون إلى حدود بيت المقدس وكان حليفا لميلكيلو حاكم جزر وتاجو حاكم جات فى سهل شارون واستطاع أحد أبنائه (؟) ويدعى موت بعل أن يصبح رئيسا لبلدة بلا على الجانب الشرقى من الاردن جنوب

26. ANET, p. 247.

بيت شان . وبعد وفاة لابايا فى السنوات الأولى من حكم امنحتب الرابع سار ابناؤه على خطواته وكانوا معادين لفرعون مصر مثل أبيهم (٢٧) ومن الرسائل التى نشرها حديثا إدزارد (٢٨) نعرف أن بعضا من مجموعاتهم كانت تخضع لسلطة فرعون مصر الذى كان يرسلهم إلى « مدن كاشو ليسكنوا هناك وهذا التهجير للسكان يشبه ما قام به الملك حور عب » (٢٩) .

لقد كانوا يتحالفون مع الحكام الآخرين . فاحد هؤلاء الحكام أخذهم ليحاربوا ضد ماهزيبى وجيلونى وماجدالى وكان عليه أن يسلم أربعين منهم كانوا قد هربوا بعد هزيمتهم أمام حازى . وقد أصبح هو نفسه مشتبها فيه وكان عليه أن يهرب إلى أن ساجاز آخر (B. 130) وفى الجنوب كان ملك بيت القدس معاديا لهم بالرغم من أنه الوحيد الذى كتب اسمهم كاملا بدون العلامة التصويرية البغيضة ساجاز ومن المحتمل أن السبب فى ذلك أنه كان يحمل أسما حوريا هو عبدى — حبات (٣٠) .

وفى حوالى عام ١٣٠٠ ق . م . اضطر سيتى الأول أن يخمد ثورة قام بها الخابيرو الذين اتوا من جبل ياريموتا ومن تير . (٣١) وفى قصة حصار يافا التى كتبها كاتب مصرى حوالى نفس الوقت ، كانوا يشكلون عنصرا معاديا للمصريين أيضا بتحالفهم مع الماريانو (٣٢) الذين كانوا عنصرا هندو — أوربى ذا صلة بالحوريين وقد ذكروا بعد العبرو فى قاعة من عهد رمسيس الثالث (B. 189) كما

---

27. G.E. Wright, Shechem (New York, 1965), 205 ff.
28. D.O. Edzard, op. cit., pp. 52-62, 12-14.
29. Cf. W. Helck, VT 18 (1968), 476.
30. Thureau - Dangin, "Le nom du prince de Jérusalem au temps d'El-Amarna," Mémorial Lagrange (Paris, 1940), pp. 27-8.
31. ANET, p. 255.
32. ANET, p. 22.

ذكر الخابيرو أيام رمسيس الثالث والرابع باعتبارهم عمال يعملون فى المحاجر . وفى القرن الثالث عشر ق . م نعرف الخابيرو بصفة أساسية من نصوص أوجاريت فى سوريا . فلا يزالون أجانب وعناصر مشبوهة قادرة على تدمير قلعة (B. 162) وفى نص ينسخ رواية قديمة (B. 157) وضع الساجاز بين اللص والمجرم . ولكن الساجاز أصبح لديهم الميل إلى الاستقرار وقد سبق أن أشرنا إلى أنه كانت توجد مدينة تسمى خالبي كان يمتلكها العبرو . وفى معاهدة بين خاتوسيل الثالث الحيثى (١٢٧٥ — ١٢٥٠ ق . م) وملك أوجاريت ورد ذكر لممتلكات الساجاز فى بلاد الحيثيين حيث كان يلجأ الفارون من أوجاريت وكان الملك الحيثى يتعهد بتسليمهم [٣٣] ويذكر نص حيثى مدينة للخابيرو (G. 137) وكان أحد الخابيرو طرفا فى قضية أمام ملك قرقميش وأرسله الملك إلى مكان ما حيث أنه لا يسكن هناك (B. 158). ومن أسماء الأشخاص فى أوجاريت نعرف أن نصف السكان تقريبا كانوا حوريين [٣٤] وفى نص يذكر شخصا حوريا نجد بجانبه خابيرو أيضا (B. 163 وهناك بعض الأسماء التى الحقت بها الصفة خابيرى . وكما أنه لا توجد أى أشارة إلى العبريين فى نصوص الألف الأول من اسرائيل ، كذلك لا تعرف النصوص المصرية والمسمارية من نفس هذه الفترة أى مجموعات خابيرو — عبرو .

اصل وطبيعة الخابيرو — عبرو :

لقد حاول العلماء معرفة الأصل الذى اشتق منه اسم هذه المجموعة البشرية ، فمعظمهم يميل إلى أرجاع الأسم إلى أصل سامى . وحيث أن صيغة الأسم المكتوبة بالباء المجهورة اقدم من المكتوبة بالباء الغير مجهورة ، فإن

33. J. Nougayrol, Le palais Royal d'Ugarit IV : Textes accadiens des Archives Sud (Paris, 1956), p. 107, 161 ff.
34. C. Schaeffer, Ugaritica 4 (Paris, 1962), 87.

المصدر الذى يقترحوه اصلا للكلمة هو « ابرو » (خابارو فى رسائل العمارنة) فى النصوص المسمارية و (عير) فى العبرية والذى يعنى « تراب » (٣٥) وقد أيد البريت هذا الاشتقاق وساق لتأييده النصوص التى تتحدث عن الساجاز باعتبارهم جماعة من الجوالين الذين يعيشون فى الصحراء ويسكنون الخيام (٣٦) وكذلك ذهب البعض إلى أن الكلمة عابيرو تعنى « الرجال المغبرين » فى اللغة الشمالية الغربية (٣٧) وأن نفس الكلمة تظهر فى اللغة السوريانية بنفس المعنى (٣٨) ويسوقون لتأييد هذا الرأى أن الباعة الجائلين فى العصور الوسطى كان يطلق عليهم « ذوى الأقدام المتربة » (٣٩) وأن من سمات الذين يحملون هذا الأسم أنهم يسيرون فوق التراب خلف الحمير والبغال والعربات . ولكن هذا الرأى يناقضه أن هذه التسمية اختص بها العبريون دون غيرهم من الأمم السامية والتى لاتختلف عنهم فى موطنها الاصلى . هذا بجانب أن هذا الوصف الذى الحق بهم يشبه تلك الأوصاف العامة التى اطلقها البابليون على الأسيويين من الغرب كالاموريين والمهم (٤٠) والتى وردت أيضا فى النصوص المصرية التى أطلقت عليهم « الأسيويين البؤساء » (٤١) فهذا الوصف لاينطبق على الخابيرو بصورة مطلقة كما سبق أن أوضحنا ، كما أن النصوص تفرق دائما بين العبرو

---

35. E.G.R. Borger, "Das Problemder 'apiru", ZDPV 47 (1957), 121-32.
36. W. F. Albright, "Abram The Hebrew", BASOR 163 (1961), 36-54.
37. E. Dhrome, "Les Habirou et les Hébreux", Revue historique 211 (1954), 256 ff.
38. Borger, op. cit., p. 131.
39. Cf. for example, E. Lipson, The Economic History of England, I (The Middle Ages), 221 ff., 250 ff.
40. J.R. Kupper, Le Nomades en Mésopotamia en temps des rois de Mari (Paris, 1957), p. 160.
41. ANET, p. 416.

وجماعات الشاسو والسوتو التى تتصف دائما بالبداوة يتجلى ذلك فى حملة امنحتب الثانى فى فلسطين حيث ذكر العبرو ثم الشاسو وفى رسالة بيريا واز حاكم أوبى حيث جاء ذكر السوتو بعد العبرو . وفى نصوص العصر الحيثى القديم التى تؤرخ بحوالى ١٥٠٠ ق . م كان التميز بين الساجاز والبدو والسياس (٤٢) . وفى أحد خطابات العمارنة يتوسل رئيس كنعانى يدعى داجان ـ تاكلا للملك أن ينقذه « من أيدى العبرو وقطاع الطرق والبدويين » (B. 148) فهنا بجانب التمييز بين العبرو والبدويين ، نجد التميز واضحا بينهم وبين قطاع الطرق الذين يزاولون نشاطهم على الطرق المتربة . علاوة على ذلك فإن الكتبه المصريون لم يستخدموا فى كتابة الكلمة عبرو العلامة التصويرية التى تعبر عن الرجلين أو الأرض أو البلاد الصحراوية أو حتى عصا الرماية التى كانت من مستلزمات البدو الرحل ، لكنهم استخدموا علامة يصعب التعرف عليها (٤٣) .

وشبيه بهذا الرأى مانادى به دوسين (٤٤) الذى اقترح أن الكلمة مشتقة من الكلمة السومرية « جابيرى » والتى تعنى « صحراء » . ولكن يرد على هذا بأن النصوص السومرية لا تعرف الا الساجاز وتطلق عليهم مارتوسكان الغرب وليس اسم خابيرو . علاوة على ذلك فإن البيئة التى وجدنا فيها الخابيرو ليست سومرية كما أن النص الذى جاء من سوسا فى عيلام يحدد أن الخابيرو كانوا جنودا من الغرب .

كما يرى البعض (٤٥) أن الأسم مشتق من الفعل السامى الشائع فى العربية

---

42. H. Otten, op. cit., 216 ff.
43. A. Gardiner, Egyptian Grammer, 3rd ed. (London, 1957), p. 542 Aa 20).
44. G. Dossin, "Les Bédouins dans les textes de Mari (Studi Semitici 2, Rome 1959), pp. 35-51.

(٤٥) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٧١ ، ٧٢ .

« عبر » بمعنى اجتاز . والعبر بكسر العين وسكون الباء اسم موجود فى اللغة العبرية بكسرتين خفيفتين ومعناها كما هو فى العربية الجهة الأخرى التى يستلزم الوصول إليها اجتيازا أو عبورا . واستعمل فى العبرية (عبر الوادى) بمعنى الناحية الأخرى منه (صموئيل الأول ٣١ : ٧) و (عبر النهر) مثل الأردن (تكوين ٥٠ : ١٠) وكان اليهود يقولون بلغتهم (عبرها نهر) ومعنى ذلك الشطر الأخر من النهر أى نهر الفرات بالذات . وبناء على ذلك يكون العبرى هو ساكن الأرض الواقعة إلى الضفة الغربية من الفرات وهى الاقاليم المتاخمة لسوريا والتى تسمى بادية الشام . كذلك كانت تسمية عبرى تنطبق على من يهاجر من العراق فيعبر نهر الفرات إلى الشام ويستدلون على ذلك بما جاء فى الأصحاح الرابع والعشرين من سفر يوشع بن نون (٢ ، ٣) حيث نقرأ « وهكذا قال الرب اله اسرائيل ، آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الازل تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة آخرى ، فأخذت ابراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به فى كل أرض كنعان وأكثرت من نسله وأعطيته اسحق » . ويؤيد شبيسر هذا الرأى مضيفا أنه بالرغم من أن العبرو والخابيرو والعبريين أسماء لمسمى واحد الا أن هذه التسميات ليست عرقية أو طبوغرافية ولكنها تصف جماعات من البدو تعيش حياة الترحال والتنقل المستمر (٤٦) . ولكن يقف فى طريق هذا الرأى أمران : الأول أن الكلمة « عبر » لاتتفق مع جذر الأسم الذى كتب بالباء المجهورة ، والثانى أن كثيرا من الشعوب شاركت هؤلاء العبريين السكنى فى بادية الشام قبل استقرارها فى العراق أو سوريا وأن موجاتها كثيرا ما عبرت الفرات أو غيره من الأنهار كما فعل آباء العبرانيين ومع ذلك لم يطلق عليها هذا الأسم .

---

46. E. Speiser, op. cit.; A Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947), Vol. I, p. 184, n. 1.

وهناك من يرى أن هذا الأسم نسبة إلى « عابر » الذى ينحدر من «سام» أكبر أبناء نوح أصل الجنس البشرى فى التوراه بعد الطوفان فنقرأ فى سفر التكوين (١٠: ١٠، ٢١) أن « بنى نوح سام وحام ويافث وأن سام أبو كل بنى عابر » . ولـكن هناك مايقف فى طريق الأخذ بهذا الرأى ، ذلك لأن ابراهيم الذى لقب بالعبرانى (تـكوين ١٤ : ١٣) لوشاء أن ينتسب إلى أحد أجداده لـكان من البديهى أن ينتسب إلى سام أشهر أجداده ولظهرت هذه التسمية قبل عبوره الفرات وهو بعد فى أرض عشيرته[٤٧] . هـــذا بجانب أن العبرو ـ خابيرو ـ عبرم ليسوا هم بنو عابر الذين جاء ذكرهم فى سفر التكوين (١٠ : ٢٥ — ٣٠) والذين يشتملون على القبيلة العربية يقطان وقبائل بلاد العرب الجنوبية ومنهم حضرموت وأوفير .

والحق يقال أن البيئة التى وجدنا فيها الخابيرو بيئة حورية . فقد وجدناهم فى كبادوكيا جيرانا للحيثيين وللمستعمرين الاشوريين . لقد ظهر الحوريون فى التاريخ حوالى ٢٣٠٠ ق . م . وفى منطقة الخبور الأعلى التى سيطروا عليها ظهر الاسم الشخصى خابيرام (تل البراك)· وفى مارى التى كانت مركز جذب للخابيرى كان فيها عناصر حورية واستطاع كوبر أن يحصى اسماء حورية لأربع أو خمس امراء مثل أريشينى أميرناحور وشوكرو ـ تشوب أمير الأحوت[٤٨] . ولم تـكن مصادفة أن نجد أعدادا وفيره من الخابيرو فى مناطق الألاخ ونوزى التى كانت مأهولة بالحوريين . كذلك لم تـكن مصادفة أن يعامل الخابيرو فى النصوص الحيثية كغرباء ودخلاء مثل الحوريين تماما . وفى نفس العصر أى فى القرن الخامس عشر ق . م كشفت النصوص المصرية عن وجودهم فى كنعان

(٤٧) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى والقديم — اسرائيل ص ٢ ، ٣ .

48. J. R. Kupper, "Northern Mesopotamia and Syria", CAH, rev. ed., ii, fase, 14, p. 26.

حينما كان الكتبه المصريون يطلقون على المنطقة اسم « خارو » وفى عصر ممارنة، نجد أن ملك بيت المقدس الحورى كتب اسمهم كاملا بدون العلامة التصويريه البغيضة ساجاز على الرغم أنه كان عدواً لهم . ثم بدأوا يختفون كما حدث فى العهد القديم حيث نجد موجة الغزو الحورى ماهى الا ذكرى من أيام الآباء الأول ـ التى لم تترك أثراً بخلاف « الحوريون ، أبناء سير فى أرض أدوم » (تكوين ٣٦ . ٢١) .

وهكذا يمكن القول بأن العلاقة بين الخابيرو والحوريين قد أصبحت أمر لا شك فيه ، ولكن النصوص لانسمح بالتوحيد بين الشعبين اللذين يظهران متميزين الواحد عن الآخر على شاهد أمنحتب الثانى [٤٩] ولا يسع المرء إلا أن يقبل نتائج الدراسة التى قام بها كل من بوتيرو وجريتبرج اللذين أكدا أن الخابيرو ليسوا كيان عرقى ولكن طبقة اجتماعية . فهل كان الخابيرو تلك الأرستقراطية الهندو ـ أوربية التى عاشت بجوار السكان الحوريين أو بينهم فى بلاد الميتان وفى كنعان أيام رسائل العمارنة كما عاش أرتأنا ما وشوتارنا وبيرياوازا وآخرين ؟ [٥٠] أن الإجابة بالايجاب على هذا السؤال يؤيدها أن بيريا وازا حاكم أوبى الذى يحمل أسما هندو ـ أوروبى يتحدث عن أخوته والساجاز الذى يمتلكه فى قائمة امنحتب الثانى . وحينما اراد فرعون مصر أن يكتب بشأن نقل الخابيرو فى كوش « فى المكان الذى نقل فرعون الناس منه » نراه يكتب «الرجل دمشق » فى أوبى . [٥١] وهذا يدعونا إلى أن نبحث عن اصل هندو ـ أوروبى للكلمة خابيرو عبرو خاصة أن الكلمة الحيثية «خاباريا» تتضمن معنى

49. ANET, p. 247.

50. M. Mayerhofer, Die Indo-Arier imalten Vorderasien (Wiesbaden, 1966), pp. 140-7.

51. Edzard, op. cit., 53, 65.

« ينقل ، يهجر، سوق »[٥٢] ولـكن يقف فى طريق هذا الرأى عدة اعتبارات . أولها أن الـكتبة المصريين كانوا يسمون المحاربين الهندو ـ أوروبيين ماريانو وليس خابيرو . وثانيها أن الشوار داتا الذين ورد ذكرهم فى رسائل العمارنة كانوا هندو أوربين وأعداء للخابيرو [٥٣] . وأخيرا فـكل أسماء الخابيرو التى نعرفها ليست هندو — أوربية بل حورية . وإذا كان بوتيرو قد لاحظ أن قلة من الأسماء التى ظهرت فى الالاخ يمـكن أن تـكون سامية فإن « معظم الأسمـاء حورية » [٥٤] .

لقد أوضح شبيسران الحوريين والخابيرو تلازما مكانا وزمانا بدرجة ملحوظة ولـكن طرقهم اختلفت بدرجة كبيرة [٥٥] ولقد اظهرت الدراسات الأخيرة أن الشعبين يختلفان عن بعضهما من وجهة النظر الاجتماعية بصفة أساسية . فالعبارة « أيرى ـ بلى » (B. 42) والتى تعنى « ايرى سيدى » تدعو إلى الأنتباه لصيغتها السامية . فقد تشير الـكلمة « أيرى » أو « خابيرى » إلى الارستقرامية الحربية الحورية التى كانت قادرة على التفاوض مع الملوك الحيثين والتعامل معهم كانداد والقادرة على السيطرة على سوريا والتوغل فى كنعان حتى بيت المقدس . وأثناء الاضطرابات الميتانية التى شهدها القرن ١٥ ق . م ،،تفرقت

---

52. J. Friedrich, Hethitisches Wörterbuch (Heidelberg, 1952), p. 54. كما لاحظ I.M. Diakonoff فى (MIO (1967), 364) أن كلمة « خيباراس » تعنى فى القانون الحيثى « اسير » . فهل كلمة « خيباراس » كتابة حيثية للـكلمة التى ظهرت فى كل مكان على هيئة « خابيرو » ؟

53. F. Thureau - Dangin, "Nouvelles lettres d'El-Amarna", RA 19, (1921), 91 ff.

54. J. Bottéro, op. cit., p. 185.

55. Op. cit., p. 34.

عناصر من هذه المجموعة وانتشرت فى آشور وبابل وأكد وحينما اتجأت إلى منطقة نوزى الحورية أخذت وضعا خاصا .

وفى ضوء هذا يجد المرء نفسه مضطرا لأن يبحث عن أصل حورى لاسم هــذه المجموعة البشرية حيث أن كلمة « سيد » كتبت بالسمارية الحورية « أورى » أو « أبرى » . وهذا الافتراض جدير بأن ينال نصيبا وافرا من البحث والدراسة. وإذا كان هناك اعتراض على أن كلمة « أبرى » كتبت بالف فى بدايتها وليس بعين فى مسمارية أو جاريت حيث أن المرادف لـكلمة خابيرو هو عبر ، فيمكن الرد على ذلك بأن الحوريين لايعرفون حرف العين التى يقتصر ظهورها فى أو جاريت فى النصوص الحورية فى الـكلمات ذات التركيب الأجنبى مثل عبرم = ساجاز . ولـكن حينما يضطر الـكتبه فى أوجاريت إلى تدوين كلمة حورية يستعملها الـكثره من السكان الحوريين مثـل « أوبر » أو « أبرى » فيـكتبونها بالف فى بدايتها (٥٦).

وأياما كان الأمر ، فهناك احتمال كبير أن تـكون هذه المجموعات البشرية التى سبق أن ذكرناها ذات أصل واحد مشترك ولـكن بعد خمسة قرون من تنقل الخابيرو وترحالهم بدأت كل مجموعة تظهر وكأنها مجموعة متميزة عن الأخرى . وهذا الأصل المشترك قد يكون تلك الارستقراطية العسكرية الحورية التى كانت بدون موطن ثابت فى عصر مارى . وكانت هذه المجموعات ثانوية بالنسبة لدويلات الألف الثانى ق . م الـكبرى منها والصغرى . لقد التجأ أدريمى إلى أحدى هذه المجموعات لمدة سبع سنوات وكان الملوك يستخدمون أفرادها ويحاربونهم ويعقدون المعاهدات معهم . ولم تعد هذه المجموعات تنتمى إلى مجموعة عرقية

---

56. E. Speiser, "Introduction to Hurrian", AASOR 20, (1941), 44-9.

منظمة كما أصبح أكثر مايميز أفرادها هو مركزهم كأجانب أو لاجئين قبل أن يذوبوا فى المجتمعات التى عاشوا بين ظهرانيها .

العبريون (العابيرو) والاسرائيليون :

لقد عودنا الباحثون على أعتبار العبريين والاسرائيليين شعبا واحدا حتى أنه فى عصرنا الحديث يطلق على اللغة التى يتكلم بها الاسرائيليون اللغة العبرية وليست اللغة الاسرائيلية (٥٧) . ولكن هذا التوحيد بين الشعبين حدث فى وقت متأخر . وهناك حالة مماثلة حينما أصبح يطلق على الاسرائيليين يهودا نسبة إلى السبط الأقوى « يهوذا » وذلك منذ سبى الأسباط العشرة إلى نينوى وتشتتهم فى البلاد بعد سقوط السامرة عاصمة مملكة اسرائيل عام ٧٢٢ ق . م . (الملوك الثانى ١٧ : ٣ ـ ٥) ولكن مما يجدر ملاحظته أنه فى زمن العهد القديم كان اليهود يميزون غالبا عن السامرين والجليليين . وعلى هذا النهج فقد ساعدت الاكتشافات الأثرية الحديثة بجانب الدراسة الفاحصة للعهد القديم على ضرورة التمييز بين العبريين والاسرائيلين .

ويبدو أن التوحيد بين هذين الاصطلاحين نشأ من قصة سيدنا يوسف التى أوردها سفر التكوين والتى وصفته فيها امرأة فرعون بأنه « رجل عبرانى » (تكوين ٣٩ : ١٤) وذلك على الرغم من أن سيدنا يوسف هو أبن سيدنا يعقوب الذى سمى باسرائيل والذى يعنى « جندى الرب » وقد ورث أبناؤه كنية أبيهم هذه ومن ثم يطلق عليهم « اسرائيل » كرادف لبنى اسرائيل حتى منذ أيام يعقوب نفسه (تكوين ٣٤ : ٧) . وفى أغلب الأحايين استعملت

---

(٥٧) بشأن هذا الموضوع ، قارن .

M. Gray, "The Habiru - Hebrew Problem in the Light of the Source Material available at Present", HUCA 29, (1958), 188 ff.

التوراه كلمة عبرانيين عند الإشارة إلى الإسرائيليين (خروج ١٠ : ٣) . ومن النظرة الأولى يبدو أن نصوص العهد القديم تحاول أن تضع الاسرائليين فى مواجهة المصريين ، ولـكن النظره الفاحصة توضح لنا أن هذه المواجهة ليست دقيقة حيث أن الرواية التى يعرضها سفر الخروج تذكر أن الاسرائيليين لم يطردوا وحدهم من مصر بل صحبهم مجموعة كبيرة مختلطة من غير الاسرائيلين « فارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة الف ماش من الرجال عدا الاولاد وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وافره جدا » (خروج ١٢ : ٣٧ ، ٣٨ وكذا عدد ٢ : ١ - ٣٤) فهذه الرواية تؤكد على أظهار التباين بين السادة المصريين والعبيد الاسرائيليين سواء كانوا عبيدا لفوطيفار أو لفرعون مصر . وتتعلق هذه النصوص بالفترة التى حكمت فيها مصر بلاد كنعان التى كان يسميها الـكتبه المصريون « خارو » والتى كان المصريون يأخذون سكانها أسرى إذا ماقامت على أرضها حرب أو يجندونهم للخدمة فى مصر إذا ما كان هناك سلم . فى هذه النصوص نجد أن كلمة « عبرى » اصطلاح عام كان يستخدمه المصريون وحينما كان أحد يخاطب المصريين .

وأثناء عرضه لقصة سيدنا يوسف يطلق سفر التكوين (٤٠ : ١٥) على أرض كنعان اسم « أرض العبرانيين » [٥٨] فبجانب ما فى ذلك من خطأ تاريخى لأن العبرانيين لم تـكن لهم أرض تسمى بأسمهم فى كنعان أيام موسى فضلا عن أن يكون ذلك على أيام يوسف ، نجد أن أرض كنعان لم تتمتع بالوحدة السياسية بل كانت أرضا يسكنها عديد من الشعوب فـكانت « مكان الـكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسين » (خروج ٣ : ٨) . كما

---

(٥٨) أنظر :

D.B. Redford, "The land of the Hebrews in Genesis 40 : 15," VT (1965), 529-32.

يذكر سفر الخروج (٣ : ١٨ ، ٥ : ٣ ، ٧ : ١٦ ، ١٠ : ٣) عبـــارة « اله العبرانيين » التي لم تـكن الا تعبيرا استخدام أثناء مخاطبة فرعون لتمييزه عن آلهة فرعون وعن فرعون نفسه ، ونفس التعبير نجده في النصوص المسارية ويصرح العهد القديم بأن الاسرائيليين والميديانيين كانوا يـكنون له اجلالا واحتراما (خروج ١٨) . وأخيرا فإن العبارة « لأن المصريين لايقدرون أن يأكلو طعاما مع العبرانيين » (تـكوين ٤٣ : ٣٢) تتعلق بتمييز اجتماعي عنه قوي ، لأنه في تـكوين (٤٦ : ٣٤) تقرأ « لأن كل راعي غنم رجس للمصريين » والمقصود بالرعاة هنا سيدنا يعقوب وأهل بيته . ولـكن كوخ اعترض على أن تكون الكلمة « عبري » علما على طبقة اجتماعية وفي رأيه أنها تشير إلى دائرة أوسع من الشعوب تشمل اسرائيل وغيرها [٥٩] .

كما يعتقد كوخ أنه كانت توجد قصة عبرية مكتوبة عن الخروج قبل وجود نسخة المصدر اليهوي المنقحه وأن كاتب هذه النسخة المنقحة استخدمها في كتابة تاريخه « الاسرائيلي » [٦٠] وحيث أن الإصطلاح « عبري » يختفي قبل الخروج (طبقا لخروج ١٠ : ٣) ليظهر مرة ثانية فقط في سفر العدد (٢٤ : ٢٤) على هيئة « عبر » ويرتبط بناحية كتيم ، فيصبح المصدر الذي اقترحه كوخ لقصة الخروج التي اعتمدت عليها نسخة المصدر اليهودي المنقحة أمرا يحتمل الشك . ويبدو أن الاصطلاح « عبري » لم يدخل مفردات العهد القديم من الشعب العبري نفسه ولـكن نتيجة استخدامه من جانب المصريين ومن خلفوهم في فلسطين حينما كانوا يشيرون إلى الأجانب الأسيويين .

---

59. K. Koch, "Die Hebräer Vom Auszug aus Aegypten bis zum Grossreich Davids, "VT 19 (1969), 37-81.

60. Ibid., 62.

وعن مصـادر العهد القديم ، انظر ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٤٦ — ٤٧ .

ولها من الأهمية بمكان التمييز بين العبريين والاسرائيليين حيث أن النصوص المصرية التي تم اكتشافها في القرن التاسع عشر الميلادى تذكر اسم اسرائيل وكذلك شعب « عبرو » الذى ثبت أنه شعب الخابيرو الذى ذكر فى النصوص السماره وهو بعينه شعب العبرم المذكور فى العهدالقديم . ولا ترجع هذه النصوص جميعها إلى عصر واحد . فيذكر مرنبتاح خليفة رمسيس الثانى أنه فى السنة الخامسة من حكمة (حوالى ١٢٣٠ ق . م .) بينما كان يحارب بين كنعان وخارو التقى باسرائيل بالقرب من بينو عام وعسقلان وجزر . وفى ذلك يقول على اللوح الذى اشتهر باسم لوح اسرائيل (٦١) . « لقد دمرت أرض تحنو ، خانى هادئة ، ونهبت كنعان وأصابها كل شيء ، عسقلان تم الأستيلاء عليها وجزر قد أخذت ، ينو عام أصبحت كان لم تسكن ، اسرائيل اقفرت وليس بها بذرة . . خارو غدت أرملة لمصر » (٦٢) . والأمر الذى يدعو إلى الاهتمام أن اسم اسرائيل كان مصحوبا بالمخصص الذى يشار به إلى قوم وليس إلى منطقة مثل ليبيا وخانى وعسقلان وجزر وينو عام ، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن اسرائيل كانت لا تزال قبيلة أو مجموعة من القبائل ولم تصبح بعد منطقة مأهولة بالسكان المستقرين .

ويبدو أن العمال والأسرى الذين كان يطلق عليهم المصريون اسم « عبرو » ليسو « بنو عابر » الذين جاء ذكرهم فى سفر التكوين (١٠ : ٢٥ _ ٣٠) والذين يشتملون على القبيلة العربية يقطان وقبائل بلاد العرب الجنوبية ومنهم حضر موت وأوفير . ويبدو أن فكرة وجود شعب « بنى عابر » يشمل اسرائيل

---

(٦١) لوح اسرائيل محفوظ فى المتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٣٤٠٢٥ وقد عثر عليه بترى عام ١٨٩٦ فى خرائب معبد مرنبتاح الجنائزى بطيبة وقد نشره كثير من العلماء منهم بترى وبرستد وأرمان وويلسون .

62. ANET, p. 376-8.

وغيرها لاتنتمى إلى المأثورات الاسرائيلية القديمة ، بل ظهرت نتيجة الاعتقاد العام بأن سيدنا ابراهيم باعتباره « أب لجمهور من الأمم » (تكوين ١٧ : ٤) أو أب لجميع قبائل قطوره (تكوين ٢٥ : ١ - ٤) يمكن أن تتضمن سلالته شعوبا كثيره بخلاف شعب اسرائيل .

وفى الحقيقة أن الذين يتكلمون عن « العبريين » فى العهد القديم بعد الاشارات عنهم من جانب المصريين هم الفلسطينيون الذين اتو من كافتور (كريت) وكانوا متحالفين مع شعوب البحر الأخرى طبقا لما ورد فى المأثورات القديمة ، وفى وقت ما أصبحوا ورثة الفراعنة فى أرض الساحل « الفلسطينى » وهؤلاء هم سكان المدن الذين اعتبروا العبرانيين جماعة مختلطة العناصر تسكن الظهير وكانوا ينظرون إليهم نظرة احتقار وازدراء (صمويل الأول ٤ : ٦ ، ٩ و ١٣ : ٣ و ١٤ . ١١) وكان الاسرائيليون وعناصر أخرى من بين الجماعات التى لقيت نفس المعاملة .

لقد أيدت وجود العبريين والاسرائيليين كجماعتين منفصلتين ثلاث نصوص من العهد القديم لايمكن فهمها فهما كاملا إلا فى ضوء التمييز بين الجانبين فيذكر سفر صمويل الأول (١٤ . ٢١) « والعبرانيون الذين كانوا مع الفلسطينيين منذ امس وماقبله الذين صعدوا معهم إلى المحلة من حواليهم ، صاروا هم أيضا مع اسرائيل الذين مع شاول ويوناثان » . فهنا نجد أن العبريين الذين كانوا مع الفلسطينيين قد غيروا موقفهم وانضموا إلى الاسرائيليين . وفى الأصحاح (١٣ : ٦ ، ٧) من نفس السفر اتخذ العبريون والاسرائيليون مسلكا مختلفا تجاه الجيش الفلسطينى ، فبينما ظل الأسرائيليون حيثما كانوا وأن اضطروا إلى أن يختبئوا فى الكهوف وبين الأحراش والصخور ، فقد عبر العبريون نهر الاردن إلى أرض جاد وجلعاد . وأخيرا النص المذكور فى صمويل الأول (١٣ . ٣)

حيث التميز بين الشعبين أقل وضوحا . « وضرب شـــاول بالبوق فى جميع الأرض قائلا ليسمع العبرانيون فسمع جميع إسرائيل قولا قد ضرب شاول نصب الفلسطينيين » . فمن المحتمل أن هذا النص كتب تحت تأثير فـكرة التوحيد بين الاسرائيليين والعبريين ولـكن يمـكن تفسيره بأن شاول رغب فى أن يعرف كل « العبرانيين » نصر يوناثان على الفلسطينيين وفى نفس الوقت يريد أن يبث الشجاعة فى نفوس الاسرائيليين الذين أصبحوا اعداء الفلسطينيين .

لقد اختفى الاصطلاح « عبرى » عمليا من لغة الحديث بعـد حكم شاؤل (١٠٢٠ ــ ١٠٠٠ ق.م) أول ملك على اسرائيل. وإذا كان سفر التثنيه (١٥ : ١٢) وارميا (٣٤ : ٩، ١٤) قد استخدما هذا الاصطلاح فذلك فقط فى معرض الاشارة إلى نص اقدم يتعلق بالقانون الخاص بالعبد « العبرى » والمذكور فى سفر الخروج (٢١ . ٢) فيبدو الأمر هنا أنه مجرد اقتباس لنص اقدم . أما بالنسبة لورود هذا الاصطلاح فى سفر يونان (١ . ٩) فيعتبر حالة فريدة ظهرت فى وقت كان الاتجاه فيه يميل إلى استخدام التعبيرات القديمة . فالبطل فى هذا السفر هو يونان الذى كان يخاطب البحارة الأجانب فهو فى موقف يشبه إلى حد ما موقف سيدنا يوسف وهو يخاطب المصريين . ويمكننا القول يقينا أنه بعد حكم داود (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق . م .) الذى وحد مملـكة اسرائيل وحكم سليمان (٩٦٠ ــ ٩٢٢ ق . م .) الذى أنشأ أقسام إدارية فى مناطق كان اقلية سـكانها من الاسرائيليين (٦٣) بدأ يختفى التميز بين عناصر السكان المختلفة فى فلسطين وأضحت كلمة « عبرى » تستخدم فقط فى نصوص تنسخ روايات أ كثر قدما . لقد بدأ الاسرائيليون يعتبرون أنفسهم « بنى اسرائيل » مهما كانت

---

63. A. Caquot, “Préfets”, Supplement du Dictionnaire de la Bible, 7, fasc. 43 (Paris, 1968), p. 284.

القبيلة التى ينتمون إليها . وأصبحت مملـكة شاؤل وداود مملكة اسرائيل الجد الأكبر (صموئيل الأول ٢٤ : ٢٠) بالرغم من أنهم اعتبروا أنفسهم أيضا من سلالة ابراهام العبرانى (تـكوين ١٤ : ١٣) أب جمهور من الأمم » التى منها الميديانيين والديدانيين وآخرين كثيرين (تـكوين ٢٥ : ١ ـ ٢٤) .

لقد نادى مندنهال بأن الاسرائيليين هم العابيرو وقد عرف الفرد من هؤلاء الأخيرين بأنه الشخص « الذى تخلى عن أى واجب تجاه المجتمع الذى كان يتمتع فيه بمركز معين وبذلك حرم نفسه من حمايته »[٦٤] . ولكن هذا التعريف لا يتفق مع الوضع الذى تمتع به العابيروو فى المجتمعات التى عاشوا فيها كما سبق أن أوضحنا. ولـكن من ناحية أخرى استطاع ويبيرت أن يثبت أن الاسرائيليين ليسوا العابيرو وأن الغزو الإسرائيلى لـكنعان لم يـكن نوعا من ثورة الفلاحين ضد المدن الـكنعانية على حد قوله[٦٥] . ولقد أكد ويبيرت على أهمية قانون العبد العبرى فى سفر الخروج (٢١ : ١ — ١١) واوضح التشابه بين وضع الخابيرو فى نوزى والعبد العبرى الذى يرتبط أيضا بالتزام لفترة محددة فقط وفى استطاعته أن يستعيد مركز « حوبشى » أى « الحر » بعد مضى سبع سنوات . وهذه المده هى بعينها المدة التى قضاها أدريمى كلاجىء عند العابيرو بل ربما أصبح عابيرو نفسه .

وحينما درس ويبيرت المشكلة الصوتية فى الـكلمتين اعتقد أن عابيرو صيغة من نوع « فاعيل » التى تطورت إلى صيغة « فاعل » أو « فعل »[٦٦] ولو

---

64. G.E. Mendenhall, "The Hebrew Conquest of Palestine BA 25 (1962), 71.
65. M. Weippert, Die Landnahme der israelitischen Stämme in der neuren wissenschaftlichen Diskussion (Göttingen, 1967), pp. 66-102.
66. Ibid., p. 84.

سلمنا بأن أصل الكلمة هو ابرى الحورية ، يكون العهد القديم قد كتبها أقرب إلى الأصل من الكتبه الأكديين الذين يبدو أنهم أرادوا أعتبار الاصطلاح اسم فاعل من الفعل « خابار » بمعنى « يعبر » . أما عن أطالة علامات الحركة فهذا يعتمد على حالات الكتابة الكاملة التى أوضحها فون سودن (٦٧) . بالاضافة إلى ذلك يقدم ويبيرت ما يقرب من خمسة عشر مثالا من الكلمات التى كتبت أما بالباء الغير مجهورة أو بالباء المجهورة بدون أى تغيير فى معانيها . وعلى ذلك يمكن القول بأنه حينما توغل الاسرائيليون فى كنعان وجدوا هناك بقايا الارستقراطية العسكرية الحورية التى أصبحت بالتأكيد تعانى من الضعف والانحلال ولكنها أعطت المصريين والفلسطينيين الفرصة لاستخدام أسمها كاصطلاح عرقى لسكان الظهير . ولقد ذهب الاسرائيليون بعيدا إلى حد أنهم اتخذوا قانون العهد العبرى القديم لتطبيقه على الحالات التى قد يحصلوا فيها على عبيد ويضموهم إلى أسرهم بالطقس الخاص الذى كان يؤدى عند باب المنزل .

ولكن كيف نستطيع أن نقرر كيف حدد الاسرائيليون علاقتهم بهؤلاء « العبريم » ؟ يعطينا سفر التكوين (١٠ : ٢١ وما بعدها) قائمة بالشعوب التى تعتبر « عابر » من سلالة سام من خلال أرفكشاد ، بينما ارتبطت القبائل السامية الجنوبية بعابر من خلال أبنه يقطان . وحيث أن ابن سام الأكبر يدعى عيلام فيبدو واضحا أن هذه القائمة جغرافية أكثر منها عرقية . وكثيرا ما قورن اسم ارفكشاد باريخا حيث وجد الحوريون من نوزى والخابيرو الذين التجأوا إلى نوزى أيضا . لقد ارتبط يقطان بعابر من خلال أخيه فالج الذى اكتسب اسمه من ظاهرة انشقاق الأرض على أيامه . ولكن

---

67. W. Von Soden, Grundriss der akkadischen Grammatik (Rome, 1952), § 7e.

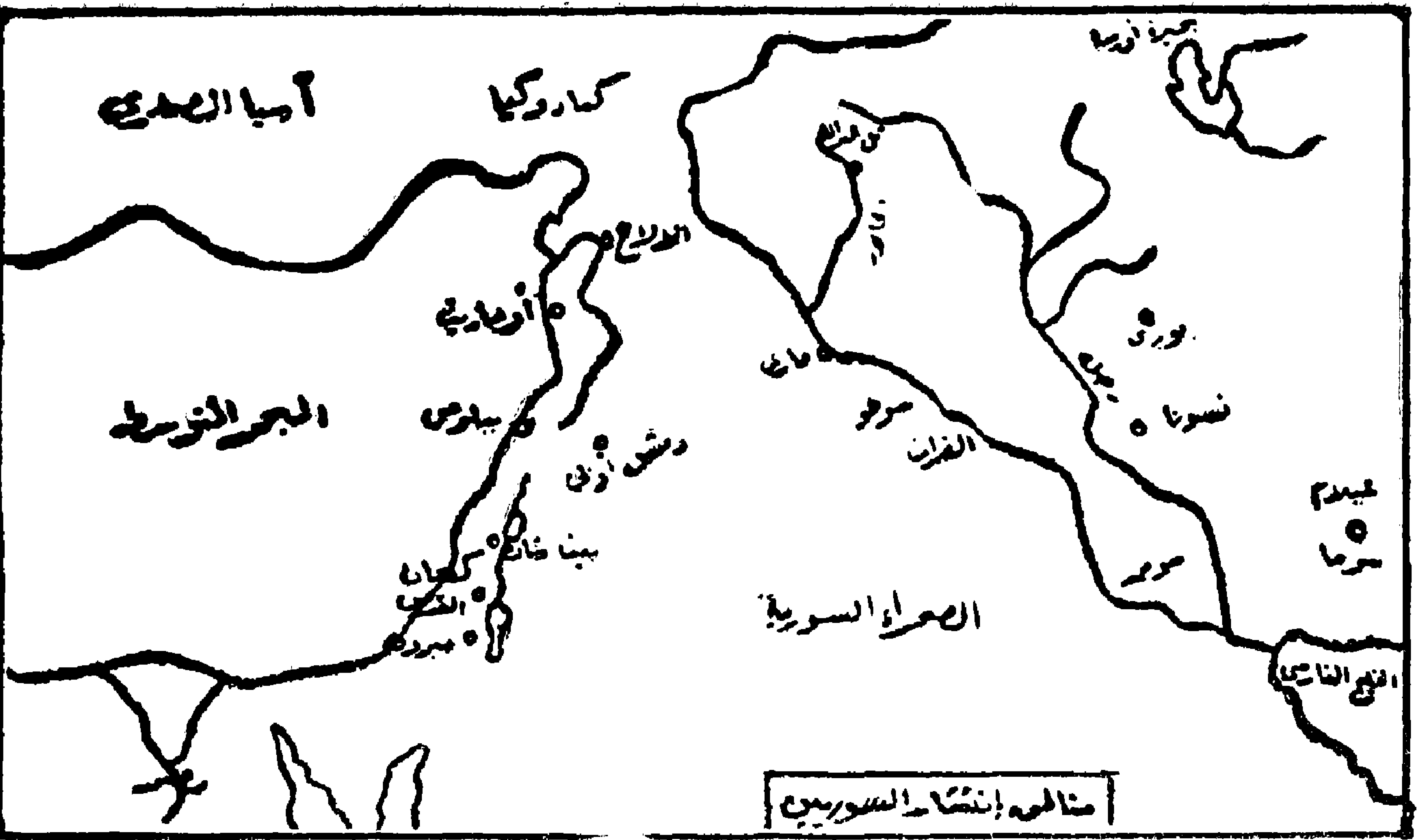
كما سلف أن أوضحنا كيف أن الاعتبارات الاجتماعية لها أهميتها فى مسألة الخابيرو — عبرم .

وهناك فجوة فى رواية المصدر اليهوى للعهد القديم بخصوص العلاقة بين ابرام وعابر فى الاصحاحين العاشر والحادى عشر من سفر التكوين ، بينما رواية المصدر الكهنوتى فى الاصحاح العاشر (١٠ — ٢٩) من نفس السفر واضحة . ففى سفر التكوين (١٣:١٤) أطلق على ابرام لقب « العبرى » وقد أصاب ويبيرت فى لفت الانتباه إلى أن نفس النص يحمل من ممرا أسما الشخص آمورى « وكان ساكنا عند بلوطات ممرا الأمورى أخى اشكول وأخى عانر » بينما هو اسم جغرافى لمكان مقدس كان لا يزال مستعملا كسوق فى القرن الرابع بعد الميلاد . وتقدم لنا القصة فى هذا الاصحاح ابرام فى صورة رجل محارب « فلما سمع ابرام أن أخاه سبى جر غلمانه المتمرنين . . . وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبه التى شمال دمشق . . . فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه . . وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلى وباركه وقال مبارك ابرام من الله العلى الذى اسلم أعداءك فى يدك » . فهذه الصورة تختلف عن تلك التى وردت بشأن ابرام فى قصص سفر التكوين الأخرى والتى لم يذكر أبرام فيها كمحارب أبدا . فنحن هنا أمام نموذج من الخابيرو الذين عاصروا رسائل العمارنه . ولقد حدثت المعركة عند حوبه بالقرب من دمشق حيث وجدنا خابيرو العمارنه . والقصة المذكورة فى هذا الاصحاح قديمة جدا ولكن يبدو أنها مرتبطة بقصة أخرى تشير إلى بيت المقدس (شاليم) وحبرون حيث اشترى ابرام مغاره المكفيله من عفرون (عيرن ا) لتكون مثوى لجثمان زوجة ساره (تكوين ٢٣) . فكل هذه العناصر لها قيمتها ولكن لا يمكن هدم كل العناصر التاريخية والاجتماعية التى سبق ذكرها .

لذلك يبدو ممكنا أن صفة « عبرى » التى لقب بها ابرام تتعلق بأحد عنصرى الرواية كما وردت إلينا . فاما أنها تتعلق بالتحالف الكبير الذى انتهى بالمعركة شمال دمشق أو بمحادثة ملكى صادق فى الجنوب . ويكفى أن نعرف أن كاتب سفر التكوين أعطى كحلفاء لابرام اسمين جغرافيين هما ممرا الشجرة المقدسة وأشكول الوادى ، وكان يهدف من وراء هذا استحضار عصر ما قبل اسرائيل معتبرا ابرام الأب لجمهور من الأمم وسليل عابر طبقا للمصدر الكهنوتى رمزاً لتجمع من الشعوب أكثر عددا من بنى اسرائيل ، وهذا تأكيد لقائمة الانساب المذكورة فى سفر التكوين (٢٥ : ١ — ٦ التى تذكر سلالة ابرام من قطورة . وجميع اسماء سلالته سامية التكوين كاسم ابرام نفسه . ولكن شعب حبرون ليس بالضرورة أن يكون ساميا واسم عفرون (عبرن ا) الحيثى يذكرنا بالعبرم مرة أخرى . وهكذا يمكن القول بأن الوثائق أو الروايات التى استخدمت فى كتابه الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين قد أكدت العلاقات الجغرافية وليست العرقية تماما كما أعتبر سفر التكوين (١٠ : ٢٢) عيلام — الاسم الجغرافى — الذى لم يكن ساميا من بين سلالة سام .

من كل ماتقدم يمكن استخلاص بعض النتائج بشىء من الحذر فالعبريم المذكورين فى العهد القديم هم خابيرو النصوص المسمارية وعبرو — النصوص المصرية وعبرم فى نصوص أو جاريت . ولم يكونوا مجموعة عرقية بقدر ما كانوا طبقه اجتماعية ذات صلة بالحوريين تتبع تحركاتهم بدون أن تتوحد معهم . لقد ظهر افراد هذه الطبقة فى أعالى بلاد الرافدين فى نهاية الألف الثالث ق . م . كارستقراطية عسكرية كانت تهددجيرانها الغير حوريين الذين أطلقوا على أفرادها أسم ساجاز « قطاع الطرق » حتى حينما كانوا يبرمون معهم عقودا أو ينتفعوا بخدماتهم أفرادا أو جماعات . لقد جاء أفراد هذ الطبقة إلى كنعان فى وقت كان الكتبه المصريون يطلقون عليها « خارو » ولكن لم يتوحدوا بالحوريين . لقد

اختفت هذه الطبقة كمجموعة متميزة فى نفس الوقت الذى اختفى فيه الحوريون أى فى نهاية الألف الثانى ق . م لقد كان الاسرائيليون على دراية بوجود علاقة معينة مع أفرادها ولـكن هذه العلاقة كانت جغرافية أكثر منها عرقية . وفى عصر الملكية توقفوا عن أن يروا فيهم شعبا حيا بالرغم من أنهم ورثوا عنهم بعض عاداتهم التى يرجع تاريخها إلى عصر الآباء الأول .



آسيا الصغرى
كبادوكيا
البحر المتوسط
أوغاريت
بيبلوس
دمشق
بيت شان
كنعان
الصحراء السورية
الفرات
ماري
نوزي
عيلام
الخليج الفارسي
بحيرة أورميا
مناطق إنتشار السوريين

الفصل الخامس

الفلسطينيون

الفلسطينيون

كان الفلسطينيون من الشعوب التي استقرت فى فلسطين فى العصور القديمة ومنحوا أسمهم للمنطقة التى استقروا فيها فاصبح يطلق عليها « فلسطيا » Pleset بينما كتب أسمهم فى النصوص المصرية القديمة « برست » Prst وفى النصوص الاشورية بالاستو Palastu وذكرهم العهد القديم باسم بليشتين Plistim (١) .
ولم يكد الاسرائيليون ينزلون أرض فلسطين حتى كان الفلسطينيون قد استقروا على السهل الساحلى بين يافا والمنطقة الصحراوية جنوب غزة بنحو خمسين ميلا وأن لم تلزم علاتهم الشاطىء بل امتدت إلى الداخل حتى جبال يهوذا وأصبح لهم نفوذ قوى فى يافا ويابنيل وجرار وشاروهين (٢) . لقد أصبحوا الطبقة الحاكمة فى خمس مدن كنعانية قديمة على طول الساحل هى غزه واشدود وعسقلان وعكرون وجات وكانت عسقلان هى الوحيدة التى تقع على الساحل بينما المدن الأخرى حالت بينها وبين الساحل كثبان رمليه ، فاشدود مثلا كانت تتخذ لها ميناء أشدود يام التى تبعد عنها حوالى ميلين ونصف ميل (٣) . وإذا كان الفلسطينيون قد حرموا تلك الموانى التى جعلت من الفينيقين شمال الكرمل شعبا بحريا ، إلا أنهم كانت لهم أرضهم الخصبة وكان لهم طريق الشاطىء الذى قادهم إلى الشمال وإلى الشرق، الأمر الذى أدى إلى احتكاكهم بالعبريين ونشوب الحروب بين الطرفين .

---

1. T.C. Mitchell, "Philistines", J. Douglas (ed.) The New Bible Dictionary (Grand Rapids, 1962), p. 988.
2. D. Baly; Geography of the Bible (New York, 1957), pp. 138-47.
3. T.C. Mitchell, A O T S , pp. 405-406.

موطن الفلسطينيين الأصلي

جاء في سفر التكوين (١٠ : ١٣ ـ ١٤) أن من بين البلاد التي تتبع مصرايم (مصر) الكلسوحيم التي منها خرج الفلسطينيون وتنتهي قائمة أسماء هذه البلاد بالكفتوريم . والأمر المثير للاهتمام في هذه العبارة هو مجيء الفلسطينيين من الكلسوحيم ذلك المكان المجهول وليس من الكفتوريم بالرغم من أن الكفتوريم والفلسطينيين ينتمون إلى منطقة عامة واحدة [٤] وفي عبارة سفر عاموس (٩ . ٧) « يقول الرب . ألم أصعد اسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور » ما يشير إلى أن الاسرائيليين خرجوا من مصر التي لم تكن موطنهم الأصلي [٥] ، وقياسا على ذلك يمكن القول أن الفلسطينيين خرجوا من كفتور وأن مواطنهم الأصلي يوجد في مكان آخر ربما كالسوحيم كما ورد في سفر التكوين . كما يؤكد سفر أرميا صلة الفلسطينيين بكافتور (٤٧ . ٤) .

وتؤكد العلاقة بين الفلسطينيين وكافتور وكالسوحيم ضرورة فحص هذه المسميات الجغرافية مع الكيانات الأخرى ذات الصلة بها . فالكفتوريم سكنوا مكان العويون ـ الأقل شهره ـ في جنوب غزه (تثنية ٢ :٢٣ وقارن أيضا يشوع ١٣ : ٣) وتتفق هذه المنطقة جغرافيا تقريبا مع « نقب الكريتيين » التي

---

(٤) قد يعكس وضع الفلسطينيين بين البلاد التي تتبع مصر خضوعهم السياسي لها ، قارن G.E. Wright, BA 29 (1966), p. 71 n. 3 وقد صح هذا في أواخر القرن ١٣ وأوائل ١٢ ق . م . ولفترة قصيرة في بداية القرن العاشر ق . م. ولكن ليس في عصور أخرى .

(٥) كثيرا ما تذكر المأثورات العبرية أن مصر كانت أرض اقامة مؤقته وليست أرض الآباء .

ورد فى سفر صموئيل الأول (٣٠ . ١٤) ثم استخدمت كلمة الكريتيين » فيما بعد كرادف « للفلسطينيين » (قارن حزقيال ٢٥ . ١٥ ـ ١٦) . لقد احتل الفلسطينيون جنوب غرب فلسطين أثناء معظم التاريخ العبرى . وهكذا يمكن القول تأكيدا بأن الكافتوريم هم الكريتيون وكافتور هى جزيرة كريت ، بينما لم يعرف بعد أى شىء يتعلق بالكاسوحيم (٦) .

ويظهر الأسم « كافتور » فى الوثائق المسمارية فى صورة كابتارا (٧) التى تقابل كفتيو فى النصوص المصرية (٨) . اذ صورت جماعات من الكفيتو على جدران مقاصير المقابر فى طيبة التى يرجع تاريخها إلى القرن ١٥ ق م . ويشارك أفرادها نفس الملامح التى يتسم بها أفراد الشعب المصورين على اللوحات الجصية من كنوسوس فى كريت والتى ترجع إلى العصر المينوى (٩) . كما توضح لنا قائمة طبوغرافية من طيبة ترجع إلى عهد امنحتب الثالث (حوالى ١٤٠٠ ق . م)

---

(٦) وإذا كانت الكلمة Kslhm هى نفسها الكلمة (m) SKLH مع افتراض حدوث قلب مكانى للحرفين الأولين ، فيمكن فى هذه الحالة مساواتها بكلمة تشككر Tjekker التى وردت فى المصادر المصرية ، انظر .

R.A.S. Macalister, The Philistines, Their History and Civilization (1913) p. 28.

(٧) فى اللوحات المتأخر التى تذكر سرجون الأكدى (حوالى ٢٣٧٠ ق . م :) قارن :
E.F. Weidner, AFO 16 (1952), 1 ff.

وفى أرشيفات مارى التى يرجع تاريخها إلى القرن ١٨ ق . م . ، أنظر :

G. Dossin, Syria 21 (1939), 111-13.

وبعد ذلك فى أوجاريت بالأكدية ، انظر :

J. Nougayrol, P R U 3. 107.

8. Vercoutter, L'Egypte et le monhe égéen Préhellénique (1956), pp. 106-14.

9. Ibid.

ما كانت تعنيه كلمة كفيتو من وجهة النظر المصرية [١٠] . فعلى الجانب الأيمن من القائمة يوجد اسمى كفتيو وتانايو اللذين يتبعهما مجموعة الأسماء المنقوشة على الجانب الأيسر . وتقابل تانايو المذكوره فى هذه القائمة دانا والاغريقية [١١] والتى تعنى الإغريق القاطنين فى أرجوليس فى جنوب بلاد اليونان ثم اتسع مدلولها بعد ذلك . [١٢] وبينما تتبع تانايو (داناو) الأماكن التى تحمل أسماء موكيناى ومسينيا وكثيراء نجد أن هناك أربعة أماكن تتبع كفتيوهى كنوسوس وفايستوس وكيدونيا وليكتوس وكلها أسماء مدن فى كريت ، الأمر الذى يؤكد أيضا أن المقصود بكفتيو هو جزيرة كريت .

فإذا كان الفلسطينيون قد وصلوا كنعان من كافتور فانهم فعلوا ذلك من كريت تماما كما فعل الكفتوريم الذين ذكرهم سفر التثنيه (٢ : ٢٣) وحيث أن الفلسطينيين لا يشبهون الكريتيين المينويين سواء فى دروعهم أو فى ملامحهم ، فقد كانت كريت بمثابة محطة توقف فى طريق هجرتهم [١٣] ولكن لم يعرف بعد الوطن الأصلى للفلسطينيين قبل وصولهم كريت [١٤] . لقد ذكر رمسيس

10. E. Edel, Die Ortsnamenlisten aus dem Totentempel Amenophis III (1966), pp. 33 ff. and pl. III, K.A. Kitchen, Or. 34 (1965), 5-6 and pls. II, IX.
11. P. Faure, Kadmos 7 (1968), 138-49.
12. A.H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica I (1947), p. 125*
13. J. Garstang, Joshua - Judges (London, 1931), 311.

(١٤) على القرص الذى عثر عليه فى فايستوس فى كريت والذى يرجع تاريخه إلى القرن ١٦ ق . م . نجد أحدى العلامات الهيروغليفيه الشائعة وهى عبارة عن رأس رجل وفوقها خوذه يعلوها ما يشبه العرف من الريش . وغطاء الرأس هذا يشبه ما كان يرتديه الفلسطينيون فى المناظر المصرية . وهنا يمكن القول أنه — على الأقل — كانت خوذاتهم معروفة فى كريت فى ذلك الوقت سواء كان الفلسطينيون موجودون حقيقة أم لا ، انظر :

J. Pendlebury, The Archaelogy of Crete, an Introduction (London, 1939), p. 170.

الثالث فرعون مصر (حوالى ١١٩٠ ق . م .) شعب البرست Prst ضمن « الشعوب الأجنبية التى تآمرت فى جزائرها » واتجهت شرقا وجنوبا عبر سوريا إلى مصر [١٥] . فالمقصود بالجزائر هنا جزيرة كريت وجزر حوض بحر ايجه . وهناك أشارات طفيفة تربط الفلسطينيين بهذه المنطقة أوحت بها الأدلة المحدده التى ترجح قرابة « اللغة الفلسطينية بلغات غرب الأناضول ومماثلة الفلسطينيين دائما بالبلازجيين [١٦] الذين ارتبطوا بعد ذلك بغرب آسيا الصغرى وبلاد اليونان فى بعض الروايات الاغريقية [١٧] . هذا بجانب الاشارات الكلاسيكية الخاصة بالخوذه الكارية التى يعلوها مايشبه العرف من الريش والتى تشبه تلك التى كان يرتديها الفلسطينيون وبعض شعوب البحر [١٨] .

الفلسطينيون فى عصر الآباء العبريين .

تظهر اقدم الإشارات عن الفلسطينيين فى العهد القديم فى سفر التكوين (٢١ : ٣٢ ، ٣٤ و ٢٦ : ١ ، ٨ ، ١٤ — ١٨) حيث تذكر اتصال ابراهام بهم وبأبى ملك « ملك الفلسطينيين » فى جرار التى فى « أرض الفلسطينيين » . وحيث أن المصادر الأخرى تؤكد وجود الفلسطينيين فى فلسطين منذ حوالى

---

15. K.A. Kitchen, Ramesside Inscriptions V, I (1970), pp. 39 ff., trans. W. Edgerton & J.A. Wilson, Historical Records of Ramses III (1939), p. 53, ff.

ويعتبر هذا أول ذكر لاسم « برست » وكان « بلايست » اسم مكان فى منطقة الايريا وهى اقليم ابيروس ، انظر :

G. Bonfante, "Who were the Philistines ?" AJA, 50 (1946), p. 251.

16. W.F. Albright, CAH, ii, Ch. 33, pp. 29-30.

17. Cf. Ibid.

18. Strabo, 14, 1. 327.

١٢٠٠ ق . م . ، أى فى زمن لاحق للعصر الذى عاش فيه الآباء العبريين [١٩]، لقد اعتبر بعض المؤرخين هذه الاشارات من المفارقات التاريخية .

لقد تأكد الآن أنه كانت هناك علاقات بين حوض بحر ايجة وكنعان وبلاد شرق البحر المتوسط ترجع إلى العصر البرونزى المتوسط (١٩٠٠ — ١٧٠٠ ق . م .) . فتذكر ارشيفات مارى أن ملك حاسور أرسل هدايا إلى كابتارا (كريت) [٢٠] كما كانت هناك رحلات بحرية منتظمة عبر البحر المتوسط يقوم بها بحارة سوريون وفينيقيون فى الألف الثانى قبل الميلاد ، الأمر الذى يؤكده نقش أكدى عثر عليه فى كثيرا من بلاد الاغريق ، هذا بجانب ذكر كابتارا فى وثائق مارى الذى يدل على الصلات بين كريت وبلاد النهرين عبر مدن الساحل السورى الشمالى [٢١] . كما عثر على فخار من العصر الميذوى المتوسط الثانى فى حاصور وأوجاريت [٢٢] وكذلك فى ثلاث مواقع فى الوجه القبلى فى مصر من عهد الدولة الوسطى [٢٣] . كما أن الصناعات المدنية الميذويه كانت تستعمل فى مصر وفينيقيا فى الألف الثالث قبل الميلاد [٢٤] . وهكذا كانت الصلات بين

---

(١٩) تضع كل الأدلة الآباء الأول من ابراهام إلى يعقوب فى النصف الأول من الألف الثانى قبل الميلاد (حوالى ١٩٠٠ — ١٧٠٩ ؟) ، قارن :

K.A. Kitchen, Ancient Orient and Old Testament (1966), pp. 41-65.

20. A. Pohl, Or. 19 (1950), 509.

21. Cf. G. Dossin, "Les archives économiques du Palais de Mari," Syria 20 (1939), pp. 105-26.

22. Y. Yadin et al., Hazor II (1960), p. 86 and pl. 115; 12-13; C.F.A. Shaefer, Ugaritica i (1939), 54 ff.

(٢٣) فى كاهون وهاداجة وأبيدوس، قارن :

H. Kantor in R.W. Ehrich (ed.), Chronologies in Old World Archaeology (1965), pp. 19-22.

24. G.V. Childe, New Light on the Most Ancient East (New York, 1957), pp. 157 and 117

الشرق والغرب تتحرك فى كلا الاتجاهين . أما على المستوى اللغوى ، فنجد أن اختلاط الأسماء السامية مثل أبى ملك واحوزات مع الأسماء غير السامية مثل فيكول فى سفر التكوين (٢٦ : ٢٦) يدل على استيعاب الاجانب للحضارة السامية كما حدث بعد ذلك مع الفلسطينيين انفسهم [٢٥] .

وبناء على ذلك يؤكد Kitchen صحة رواية العهد القديم بوجود فلسطينيين عاصروا الآباء العبريين ومدللا على ذلك بذكر الكفتوريم فى سفر التثنية (٢ : ٢٣) [٢٦] . كما يرى Albright أن ابراهام كانت له صلات تجارية بالشعوب الايجيه التى كانت تتخذ من جرار مركزا لها وربما كانت معاملاته التجارية فى المنطقة بين فلسطين ومصر . ويرجح أنه فى ذلك الوقت عاش ابراهام فى « أرض الفلسطينيين » بينما كان أبى ملك ملكا وحيث أن هذا الشخص نفسه كانت له معاملات مع اسحق أيضا ، فالاحتمال كبير أن يكون أبى ملك وهى كلمة تعنى « والدى ملك » لقب سامى اتخذه الحكام الفلسطينيون وليس أسما لشخص [٢٧] . ويؤكد Mitchell هذا الرأى مضيفا أن مجموعة صغيرة من الاجانب قد تكون قد فعلت ذلك لتكسب ثقة الشعب الذى عاشوا بين ظهرانيه [٢٨] . ويقترح Kidner بأن الأسم يحتمل أنه تكرر فى أسرة واحدة وليس مجرد لقب ، وعلى ذلك فابى ملك الذى قابله اسحق فى جرار بعد سنوات عديدة من زيارة ابراهام ليس هو نفس الشخص الذى قابله ابراهام وهذا ينطبق أيضا على قائد جيشه

---

(٢٥) انظر ص ٢٠٧ .

26. Kitchen, Ancient Orient, pp. 80-81.

27. Albright, BASOR, 163 (1961), pp. 36-54.

28. AOTS, pp. 408-409.

« فيكول » الذى يحمل اسما غير سامى على ارجح الأقوال [٢٩] . ويرى Astour أن أبى ملك باعتباره على رأس مجموعة قليلة من الشعوب الايجيه التى تعمل فى ميدان التجارة فى فلسطين ، رأى أن ارتباطه واقامة علاقات تجارية معه سيعود عليه وعلى شعبه بفوائد جمة وقد تجلى هذا فى الهدايا التى قدمها لابراهام لكسب صداقته (تكوين ٢٦ : ١٤ — ١٨) وحينما تغيرا لموقف اضطر خلفاء ابراهام إلى الهجرة من المكان الذى اقاموا فيه ومن المحتمل أن الشعوب الايجيه التى كانت تسكن جرار فعلت نفس الشيء تاركه وراءها أدلة مادية ضئيلة على اقامتهم هناك [٣٠] . وبناء على ذلك استنتج بعض العلماء أنه كان يوجد حقيقة مستوطنات فلسطينية صغيرة فى فلسطين فى عصر الآباء العبريين وكان ابراهام واسحق على صلة بالفلسطينيين الأوائل الذين استقروا فى جرار مؤقتا للعمل فى التجارة [٣١] .

وأياما كان الأمر ، فان الفلسطينيين المذكورين فى سفر التكوين يختلفون كلية مع الفلسطينيين الذين ظهروا منذ حوالى ١٢٠٠ ق . م . فصاعدا فالذين ذكرهم سفر التكوين عاشوا حول جرار (أبو حريره حاليا) وكان يحكمهم ملك وليس فى المدن الخمسة التى عاش فيها الفلسطينيون منذ القرن ١٣ ق . م . تحت حكم « اقطابهم » الخمسة . هذا بجانب أنهم كانوا مسالمين نسبيا ونادرا مادخلوا

---

29. D. Kidner, Genesis, An Introduction and Commentory (London, 1067), p. 154.

وكذلك أنظر : Kitchen, Ancient Orien؛, pp. 80-81. الذى يؤيد ذلك موضحا عادة المصريين القدماء فى تسمية الأبناء بأسماء الآباء والأجداد وقد تستمر هذه العادة أربعة أجيال متعاقبة مثلما نجد فى أسماء مثل امنمحات الأول وخنوم حتب الأول وامنمحات الثانى وخنوم حتب الثانى .

30. A. Astour, Hellenosemitica (Leiden, 1967), 126-27.

31. E.E. Hindson, The Philistines and the Old Testament (Michigan, 1975), p. 17.

فى حروب مع جيرانهم بالرغم من أنه كان لديهم قائد للجيش . لذلك يجب الحذر من مقارنة الفلسطينيين الذين عاصروا ابراهام واسحق بشعب مثل الكفتوريم الذين ذكرهم سفر التثنية (٢ . ٢٣)واعتبار الاصطلاح « فلسطينى » نفسه اصطلاحا ظهر فى القرنين ١٣ ، ١٢ ق . م . ولكن الذين دونوا العهد القديم استخدموه ليدل على شعب ايجى عاش فى عصر اسبق مثل الكفتوريم (٣٢) وهكذا يمكن القول بأن أشارات سفر التكوين عن الفلسطينين تدل على الصلات الايجيه بفلسطين فى عصر الأباء العبريين (العصر البرونزى المتوسط) كما توضح تخطى استخدام الاسم « فلسطينى » ليدل على الشعوب الايجيه بجانب دلالته على شعب « البرست » الذى ورد فى المصادر المصرية المتأخره . ويتفق هذا التفسير مع تبادل أسماء الفلسطينين والكفتوريم والكريتيين فى العهد القديم كما يتفق ما دأب عليه الاسرائيليون من استخدامهم لكلمة « الفلسطينيين » واطلاقها على كل « شعوب البحر » لأن الفلسطينيين كانوا المجموعة البارزة فى فلسطين نفسها. هذا بجانب أنه لم يعثر بعد على دليل أثرى فى جرار يؤكد وجود الفلسطينين فيها فى عصر الأباء العبريين (٣٣) .

دخول الفلسطينيين كنعان :

حينما وصل الفلسطينيون (برست Prst بالمصرية القديمة) أرض كنعان فى عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ — ١١٦٦ ق . م .) ، لم يصلوا وحدهم بل أن

---

32. Cf. e.g. J. Bright, A History of Israel (Philadelphia, 1959), pp. 73-74.

الذى يعتبر ذكر كلمة الفلسطينيين فى عصر الأباء « مسحه مستحدثة » من جانب أحد كتبة العهد القديم فى عصر متأخر .

33. G.E. Wright, "Philistine Coffins and Mercenaries BA 22 (1959), 59, n. 10.

أسمهم لم يذكر بمفرده أبدا . فالنص الذى يؤرخ بعام حكمه الخامس يذكرهم مع التشكر بينما يضيف نص عامة الثامن وبردية هاريس (I) أسماء أربع شعوب أخرى هى الشردن والدانونا والشكلش والوشش [٣٤] ، هذا بخلاف اللوكا والاقا يواشا والتورشا الذين ذكرتهم نصوص الملك مرنبتاح (١٢٣٦ — ١٢٢٣ ق . م .) . [٣٥] لقد سمح رمسيس الثالث لهؤلاء الغزاه من شعوب البحر بما فيهم الفلسطينيون بالتوطن على الساحل الفلسطينى تحت السيطرة المصرية . [٣٦] ومن مناظر الحرب المصوره على جدران معبد رمسيس الثالث فى مدينة حابو ، نلاحظ أن الفلسطينيين والتشكر والدانونا ارتدت زيا واحد يتكون من سترة على الصدر محلاة بشرائط مدلاة من طرفها السفلى بينما تغطى رءوسهم خوذه يعلوها مايشبه العرف من الريش [٣٧] ، وهم فى هذا يختلفون عن الشردن الذين يغطون رءوسهم بخوذات ذات قرون والتورشا ذوى غطاء الرأس المستدير [٣٨] . ومن الأهمية بمكان تلك الإشارة الخاصة بالزى الموحد الذى تتميز به هذه الشعوب الثلاثة من شعوب البحر ، حيث أنهـا تؤكد أن التوابيت الفخارية وجميع مخلفات الشعب الذى يرتدى أفراده الخوذه ذات الريش [٣٩] .

---

34. ANET, p. 262.

(٣٥) السيرالن جاردنر : مصر الفراعنة ص ٢٢٩ من الترجمة العربية لنجيب ميخائيل ابراهيم (القاهره ١٩٧٣) .

36. Cf. J. Gray, Archaeology and the Old Testament (New York, 1962), p. 78.

37. Epigraphic Survey, Medinet Habu I (1930), Pls. 43 (Tjekker) and 44 (Dannuna, Philistines).

38. Medinet Habu VIII (1970), Pl. 600B.

(٣٩) ويشبه غطاء الرأس هذا ما كان يلبس فى كريت فى القرنين ١٧ و ١٦ ق . م . وفى موكيناى فى القرن ١٦ ق . م . وفى قبرص فى القرنين ١٣ ، ١٢ ق . م . انظر :
R. Maxwell - Hyslop, Iraq, 8 (1946), pp. 47-60.

ولامثلة أخرى من غطاء الرأس هذا ، قارن :

R. D. Barnett, CAH, rev. ed., ii, ch. XXVIII, 19.

ليست بالضرورة أن تكون « فلسطينية » بل يمكن نسبتها إلى أفراد أى شعب من الشعوب الثلاثة المذكوره آنفا وربما لشعوب أخرى [٤٠] وحيث أن بعض هذه الشعوب بما فيهم الفلسطينيين قد استقروا فى كنعان [٤١] ، بينما اقتصر العهد القديم على استخدام اسم « الفلسطينيين » دون غيرهم ، لذلك يبدو منطقيا أن الذين تناولوا كتابة العهد القديم قد اطلقوا على كل هذه الشعوب المتجانسة اسما واحدا .

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الشعوب التى يربطها جميعا أصل مشترك والتى إليها ينتمى الفلسطينيون ، لم تفد إلى منطقة شرق حوض البحر المتوسط فجأة حوالى عام ١٢٠٠ ق . م ، بل يبدو أنها جاءت قبل هذا التاريخ بوقت طويل تحت ضغط هجرة الأوربيين من وسط أوربا إلى منطقة بحر ايجه . فنجد أن أفرادا من شعب اللوكا (اسلاف الليكيين) يظهرون كثيرين فى

---

40. Medinel Habu I, Pl. 44.

حيث يظهر صف ثالث من الأسرى لم يكتب أسمهم بجوارهم ولكن النص الرأسى يذكر اسم الشكلش بجانب الفلسطينيين والدانونيم وهذا يوحى بأن أسرى الصف الثالث هم الشكلش ، أنظر أيضا :

Edgerton & Wilson, Historical Records, p. 47, n. 15a

(٤١) لقد استوطن التشكر منطقة دور جنوب جبل الكرمل حوالى ١٠٩٠ ق . م . كما ورد فى قصة وينامون المبعوث المصرى إلى الساحل السورى ، انظر :

ANET, p. 26.

وفى حوالى هذا التاريخ تذكر لنا قائمة أسماء من عهد امنموبى العمردن والتشكر والفلسطينيين ولكن بدون ذكر الأماكن التى كانوا يستوطنونها أنظر :

Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, i 194*-205*, Nos. 268-70.

ويرجع البعض أن شعوب البحر الأخرى التى كانت على صلة بالفلسطينيين تقدمت فى سهول يزرعيل واقامت هناك بالقرب من بيت شان ، قارن :

A. Alt, Palastinejahrbuch, 22, pp. 118-119.

خطابات العمارنة حوالى عام ١٣٧٠ ق . م [٤٢] وكحلفاء للحيثيين ضد رمسيس الثانى فى معركة قادش حوالى ١٢٨٦ ق . م . [٤٣] وبعد ذلك نجدهم فى ليبيا حيث يشتركون مع الليبيين وشعوب أخرى فى أول هجوم «لشعوب البحر» [٤٤] على مصر والذى تصدى له مرنبتاح حوالى عام ١٢٢٠ ق م . [٤٥] وفى خطابات العمارنة نجد أن الدانونا منطقة تقع شمال أوجاريت [٤٦] قبل أن يتجه شعبها جنوبا للاشتباك مع رمسيس الثالث ، ويظهر نفس هذا الأسم بعد ذلك فى النصوص الهيروغليفية الحيثية والفينيقية من كاراتبي . ولقد اثبت الدراسة التى قام بها لاروش للاسماء والنصوص أن الدانونا هى منطقة وشعب أدانا فى قيليقيا [٤٧] و ـ ـت دانا والتى تقع فى أقصى الغرب [٤٨] . كما يظهر الشردن أيضا فى خطابات

42. J. Knudzen, Die El-Amarna - Tafeln, 38.

وفى هذا الخطاب يشير ملك الاشيا (قبرص) الى غاراتهم .

43. K.A. Kitchen, Ramesside Inscriptions, ii, 1-3 (1969-70), pp. 4, 17, 32, 50; III, 143 : 64 Trans. A.H. Gardiner, The Kadesh Inscriptions of Ramesses II (1960), pp. 7, 8, 10, 29, 44.

(٤٤) وهو اصطلاح استخدمه المصريين فى عهد مرنبتاح ورمسيس الثالث ، قارن :
Gardiner, Onomostica i, 196*.

45. Kitchen, Ramesside Inscriptions, iv, I (1968), pp. 2, 4; trans. Breasted, Ancient Records of Egypt III, §§ 574, 579.

46. Knudzen, op. cit., 151, 1. 52.

حيث يرد ذكر دانونا وأوجاريت وقادش وأمورو مرتين من الشمال إلى الجنوب .

47. Laroche, Syria 35 (1958), 263-75.

(٤٨) وأيا ما كان الأمر ، فقد وصل الموكينيون قيليقيا فى الجزء الأخير من العصر البرونزى المتاخر خاصة طوروس التى انتجت فخارا موكينيا ، قارن :

V.R.d'A. Desborough, The last Mycenaeans and their Successors (1964), pp. 205-6.

ويحتمل أن هؤلاء الوافدين قد تحركوا جنوبا ليصبحوا الدانونا الذين ذكرتهم نصوص رمسيس الثالث.

العمارنة (٤٩) ثم كفرصان يغيرون على سواحل الدلتا إلى أن هزمهم وأسرهم رمسيس الثانى (٥٠) الذى اشركهم فى معركة قادش (٥١) . وكان الشردن أيضا ضمن أعداء مرنبتاح الذين ضموا ايضا الاقايواشا (٥٢) والشكلش والتورشا الذين ظهروا مرة أخرى فى عهدرمسيس الثالث. كما يظهرالشردن كاعداء وحلفاء للمصريين فى حروب رمسيس الثالث (انظر حاشية ٣٧) .

وهكذا يمكن القول بأنه حينما ظهر الفلسطينيون والتشككر والوشش مع الشردن والدانونا والشكلش والتورشا أيام رمسيس الثالث ، فإنهم فعلوا ذلك كجزء من حركة شعوب كانت قد بدأت تفد إلى منطقة شرق حوض البحر المتوسط (قيليقيا وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا) منذ أ كثر من مائة وخمسين عاما قبل حوالى عام ١٢٠٠ ق . م . الذى بلغت فيه هجرتهم ذروتها . وحيث أن الشردن بصفة خاصة قد اشتركوا مع المصريين فى حروبهم فى فلسطين ، فقد تشير العبارة التى وردت فى سفر يشوع (١٣ : ٢) إلى وجود « شعوب البحر » فى جنوب غرب كنعان فى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد (٥٣) بقواتهم التى استخدمت فى الحاميات المصرية التى وضعت فى المراكز الإدارية الهامة مثل غزه . وهناك أدلة أخرى تؤيد هذا الرأى .

---

49. Knudzen, op. cit., 81 : 61, 122 : 35, 123 : 15

50. Kitchen, Ramesside Inscriptions, II, 6 (1971), pp. 289-90.

51. Ibid., II, i (1969), p. 11, trans. Gardiner, Kadesh Inscriptions, p. 7.

(٥٢) ولمساواة الاقايواشا بشعب الأهيياو الحيثى والأخيين الاغريق ، قارن :
G.T. Huxley, Achaeans and Hittites (1960).

(٥٣) وأن ماجاء فى يشوع (١٣ : ٣ قد يكون شرحا لما جاء فى (١٣ : ٢) من جانب من تولى كتابة هذا السفر الذى استخدم اصطلاح المراكز الفلسطينية الخمسة الذى يرجع إلى حوالى عام ١٢٠٠ ق. م . وما بعدها كذلك عبارة « أقطاب الفلسطينيين الخمسة » التى وردت فى سفر القضاة (٣ : ٣) قد تشير بالمثل إلى « الاسياد » الذين حكموا =

لقد شهد أواخر الألف الثانى ق . م . نشاط التجارة الميتويه ثم الموكينيه بين منطقة حوض بحر ايجه ومنطقة شرق حوض البحر المتوسط [٥٤] . وهناك من الأدلة ما يشير إلى وجود جماعات من شعوب البحر فى سوريا — فلسطين ومصر فى أواخر القرن ١٣ ق . م ، أى قبل حروب رمسيس الثالث . فهناك مجموعة كبيرة من التوابيت الفخارية قد زينت أغطيتها بصوروجوه واذرع نسبت إلى « شعوب البحر » أو بصفة خاصة إلى الفلسطينيين الذين عاشوا فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق . م . [٥٥] وقد عثر على اثنين من هذه التوابيت فى فى المقبره رقم ٥٧٠ فى لاخيش (تل الدوير الحالية) مع فخار من طراز فخار العصر البرونزى المتأخر الثانى الذى يرجع تاريخه إلى أواخر القرن ١٣ ق . م . ويرى Wright فى هذا دليلا على أمكانية وجود جماعات من شعوب البحر أو الفلسطينيين هناك فى ذلك الوقت [٥٦] . ولـكن ماينادى به من أن مقابر تل فرعا التى بنيت على شكل مصاطب والتى ترجع إلى العصر البرونزى المتأخر ذات اصل ايجى ومن ثم تدل على وجود جماعات من شعوب البحر فى ذلك الوقت [٥٧] ، يضعف منه أن هذا الطراز من المقابر يشبه طراز وطنى سابق يرجع تاريخه

= مدن فلسطين الخمسة حوالى هذا التاريخ أيضا . كما يحتمل أن تكون عبارات مثل « طريق أرض الفلسطينيين » (خروج ١٣ : ١٧) وبحر الفلسطينيين) «خروج ٢٣ : ٣١» إصطلاحات ظهرت حوالى عام ١٢٠٠ ق . م . وما بعدها ، وربما حلت محل عبارات أقدم مثل « طريق أرض كافتوريم » أو ما شابه ذلك .

54. Vercoutter, op. cit., and cf. F.H. Stubbings, Mycenaean Pottery in the Levant (1951).

55. G.E. Wright, BA 22 (1959), 53-66.

56. BA 29, (1966), 74.

57. Ibid.

إلى العصر البرونزى المتوسط [٥٨] وليس مؤكداً أيضا ماناى به Albright من أن شعوب البحر دمرزا أوجاريت حوالى ١٢٣٠ ق. م. [٥٩]

وتؤكد الأدلة التى عثر عليها فى دير علاق وادى الاردن هذا الرأى أيضا حيث عثر على طبقة تنتمى إلى القرن الثانى عشر ق. م. وتحتوى على أوان من طراز فلسطين تعلوا طبقةأخرى تحتوى على فخار يرجع إلى العصر البرونزى المتأخر الثانى وكذلك على مقصورة بها آنية خزفيه للملكة توسرت (حوالى ١٢٢٠ ق. م.) ولوحات فخارية كتب عليها بخط يشبه الخط القبرصى - الميتوى [٦٠] لقد اقترح Wright [٦١] أن هذه اللوحات التى يرجع تاريخها إلى أواخر القرن ١٣ق م. كتبها أعضاء من شعوب البحراو فلسطينيون معاصرون للملكة توسرت وربما أيضا لاسلافها القريبين [٦٢] .

وهناك أيضا تتابع طبقات العصر الحديدى فى بيت شان [٦٣]. ففى الطبقة السادسة عثر على أوان فخارية ترتبط أشكالها بالعصر البرونزى المتأخر الثانى أكثر من العصر الحديدى الأول . وتنتمى إلى هذه الطبقة أيضا آثار رمسيس الثالث والتوابيت الفخارية التى تنسب إلى الفلسطينيين ، أما الطبقة الخامسة « العليا » فتحتوى

---

58. W.H. Stiebing, AJA 74, (1970), 139-43.

59. CAH ii, Ch. 33, p. 31.

60. Wright, BA 29 (1966), 73; H.J. Franken, VT 14, (1964), 377-9, 417-22; Excavations at Deir ‘Alla I (1970).

61. BA 29 (66), 73.

(٦٢) ويشير خرطوشها على آنية دير علا على أنها كانت ملكه حاكمة إنما كانت قبل ذلك مجرد زوجة الملك سيتى الثانى .

63. F. James, The Iron Age at Beth Shan (1966).

على مبان جديدة ونصوص هيروغليفية كما شهدت أيضا أعادة أقامة شاهدى سيتى الأول ورمسيس الثانى وتمثال رمسيس الثالث ولقد اعتبر عام ١١٠٠ — ١٠٧٥ ق ٠ م ٠ أدنى تاريخ مقبول لبداية الطبقة الخامسة « السفلى » أما الطبقة الخامسة « العليا » فتمثل عصر أسرائيل (فخار القرن العاشر) أيام داود وسليمان ، بينما الطبقة الرابعة ترجع إلى عهد انقسام الملكية [٦٤] .

ويبدو هذا التتابع صحيحا فيما عدا أنه لا يوجد ما يدل على أن هيبة النفوذ المصرى حوالى ١١٠٠ — ١٠٧٥ ق .م . قد أدت إلى مثل هذا التكريم الذى حظيت به آثار الملوك السابقين ، حيث أن هذا العصر شهد ضعف النفوذ السياسى المصرى فى سوريا ـ فلسطين كما يظهر من رحلة وينامون . لذلك فمن الانصاف وضع تاريخ مبكر للطبقة الخامسة « السفلى » وكذلك للطبقة السادسة ٠ وقد تنسب هذه الطبقة الأخيرة إلى عهد رمسيس الثالث بصفة عامة ، بينما تبدأ الطبقة الخامسة « السفلى » بعهد رمسيس السادس الذى عثر له على قاعدة تمثال من البرونز فى مجدو [٦٥] . ولكن كما أوضح Cerny [٦٦] لا تدل مثل هذه الأشياء الصغيرة على شيء ولا يجب الاعتماد عليها فى تحديد تاريخ طبقات الحفائر . بجانب هذا لم يعرف عن رمسيس السادس أنه أولى اجداده أى نوع من أنواع التبجيل أو التكريم .

وبناء على ذلك يمكن القول بأن الطبقة الخامسة « السفلى » تأسست فى العام الثامن من حكم رمسيس الثالث أو بعده مباشرة (أى عقب هزيمته لشعوب

64. Ibid., 133-9, 149-54.

65. Porter & Moss, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hierogtpphic Texts, Relief and Paintings 7 (1952), p. 381.

66. CAH ii, Ch. 35, pp. 11-12.

البحر) ، وفى ذلك الوقت أعاد أقامة تمثال وشاهدى رمسيس الثانى وسيتى الأول باعتباره أحد المشهود لهم بالإعجاب بجده العظيم . أما الطبقة السادسة فقد تمثل الحكم المصرى فى بيت شأن فى السنوات الأولى من حكم رمسيس الثالث حتى السنة الثامنة وربما فى السنوات القليلة الأخيرة من الأسرة التاسعة عشرة . وقد يفسر هذا ذلك التشابه الكبير بين فخار الطبقة السادسة وفخار العصر البرونزى المتأخر الثانى الذى يوحى بأن الحامية المصرية فى بيت شان كانت تضم بين رجالها افرادا من جماعات شعوب البحر ذات الصلة القريبة بالفلسطينيين فى نهاية القرن ١٣ ق . م . وهذا يتفق تماما مع الأدلة التى جاءت من لاخيش ودير علا ومع الحقائق التى أفصحت عنها المصادر المصرية والسمارية عن شعوب البحر فى بلاد شرق حوض البحر المتوسط المذكورة آنفا .

وبعد هذا الذى قدمنا ، يمكن القول أنه فى خلال مائة وخمسين عاما (من حوالى ١٣٧٠ إلى ١٢٠٠ ق . م .) تجمعت فى بلاد شرق حوض البحر المتوسط شعوب مختلفة من حوض بحر ايجه وغرب اسيا الصغرى، جاء بعضها عن طريق كريت (الفلسطينيون مثلا) ، والبعض الآخر كان مقيما فى فلسطين فى المناطق التى كان النفوذ المصرى فيها قويا ومنهم من جند للعمل مع القوات المصرية . وبعد ذلك استولت « شعوب البحر » هذه على قبرص وهاجمت شمال سوريا (أوجاريت والالاخ) فى موجات عديدة (٦٧) لايفصل بينها فترات متباعدة (نهاية القرن ١٣ ق . م .) وبعد ذلك هاجرت مجموعات من هذه الشعوب قضت على المملكة الحيثية فى اسيا الصغرى بينما اتجهت المجموعات التى كانت تقطن سوريا جنوبا وتجمعت فى أمورو ثم هاجرت جنوبا تجاه مصر وهاجمت سواحلها بسفنها الحربية فى الوقت الذى قدمت فيه أسرهم برآ فى عربات تجرها الثيران . وبعد أن هزمها رمسيس الثالث ، استقر كثير منها فى كنعان (خاصة

---

67. R.D. Barnett, CAH ii, Ch. 28, p. 19, cf. Mitchell, ACTS, p. 410.

الفلسطينيون والتشكـكر) بينما ابحرت مجموعات أخرى عائدة غربا لتستقر فى صقلية وسردينيا واتروسكيا وهى مناطق خلعت عليها هذه الشعوب اسمائها (٦٨) ولقد حدث نفس الشيء لجنوب غرب كنعان الذى أصبح يطلق عليه فلسطيا .

مواطن إستقرار الفلسطينيين فى كنعان :

بعد السنة الثامنة من حكم رمسيس الثالث (حوالى ١٢٠٠ ـ ١١٩٠ ق.م.) كان الفلسطينيون (البرست) قد سيطروا ليس فقط على المنطقة الساحلية المحدده بالطريق والمدن الساحلية غزه وعسقلان واشدود ولـكن أيضا على منطقة الظهير التى تقع إلى الشرق منها والتى اشتهرت بزراعة القمح (٦٩) ويبدو أنه لم يمض وقت طويل بين استيطان الفلسطينيين فى المنطقة الساحلية وسيطرتهم على عكرون وجات اللتين تقعان فى الداخل حيث أن عرض الظهير من الغرب الى الشرق حتى حافة تلال هضبة شيفلاه لايزيد عن اثنى عشر ميلا (٧٠) أما انتشارهم فيما وراء هذه الحدود ، فيبدو أمرا بعيد الاحتمال حيث كان سيقف فى طريق تقدمهم العبريون ودويلات المدن الـكنعانية ، كما أن سياستهم بنيت على أساس أن يظلوا قريبين من البحر حتى يمكنهم السيطرة على طرقه واستخدام التلال التى تغطيها الـكروم فيما وراءه وكان الـكرمل الحد الفاصل بين مدنهم الساحلية وبين مدن الفينيقيين إلى الشمال .

---

(٦٨) فالشكلش يذكروننا بالسيكلوى أو الصقليين والشردن بأسلاف السردينيين بينما التورشا فقد ربطهم البعض بالتير سينوى الذين طالما تناول التأكيد اعتبارهم أسلافا للاتروسكيين ، انظر : سيرالان جاردنر : مصر الفراعنة ص ٢٩٩ .

69. Cf. D. Baly, The Geography of the Bible (1957), pp. 138-42.

70. Cf. B. Mazar, The Philistines and the Rise of Israel and Tyre (1964) p. 10.

الذى يرى أن سيطرة الفلسطينيين على منطقة عكرون حتى جات تم تدريجيا بعد وقت ليس بقصير .

وفى خلال سنوات قليلة من استقرار الفلسطينيين فى جنوب غرب كنعان ظهر فى هذه المنطقة طراز مميز من الفخار المزين بالرسوم . وقد تأثر هذا الطراز إلى حد كبير بفخار العصر الموكينى المتأخر سواء فى اشكاله أم فى زخارفه كما احتوى أيضا على عناصر فلسطينية محلية وقبرصية ومصرية كذلك [٧١] لقد أطلق على هذا الطراز من الفخار « الفخار الفلسطينى » لتركز انتشاره فى فلسطيا وضواحيها فى القرنين ١٢ ، ١١ ق م . وتعتبر هذه التسمية صحيحة لأنها تتفق زمانا ومكانا مع ذروة السيطرة الفلسطينية كما ثبت ذلك تاريخيا . ويظهر هذا الطراز من الفخار فى فلسطيا فى المواقع الساحلية بعد طبقة العصر البرونزى المتأخر الثانى مباشرة [٧٢] بينما يتأخر ظهوره بعد هذه الطبقة فى المواقع الداخلية [٧٣] ، أما فى الجنوب فيظهر فى يورزا وشاروهين وجرار [٧٤] وفى الشرق يظهر فى المواقع التى على الحدود بين فلسطين واسرائيل (هضبة شيفلاه) من دبير (تل بيت مرسيم) حتى جزر مما يظهر أيضا على ساحل البحر المتوسط شمالا حتى يافا [٧٥] وقليل من طراز هذا الفخار عثر عليه خارج هذه المنطقة فيما عدا حالات نادرة . وعلى النقيض ، لم يعثر فى بيت شان ، التى كانت آهلة بالسكان منذ ماقبل القرن ١٣ ق م حتى القرن العاشر ق م. ، إلا على شقفه واحده من هذا الفخار [٧٦] . وعلى ذلك يعتبر هذا الطراز من

---

71. A. Furumark, The Chronology of Mycenaean Pottery (1941), pp. 118-22.

(٧٢) كما فى عسقلان وتل جمه ، أنظر.

Albright, AASOR 12 (1932) 54-55.

وربما فى أشدود ، انظر : BA 26 (963), 136.

(٧٣) كما فى بيت شمش وتل بيت مرسيم وهى مواقع اسرائيلية وليست فلسطينية ، انظر :

Albright, AASOR 12 (1932), 54-55.

(٧٤) أى تل جمه والفرعا الجنوبية وهريره .

75. Cf. Ibid.

76. F. James, Iron Age at Beth Shan, p. 150 and fig. 24.

الفخار أحدى سمات المنطقة التى استوطنها الفلسطينيون ، كما يشير أيضا إلى تغلغل نفوذهم فى مناطق الحدود بينهم وبين جيرانهم المباشرين ونادرا ما أمتد إلى ابعد من ذلك .

والجدير بالملاحظة ، أن « الفخار الفلسطينى » لم يظهر فى منطقة دور الساحلية (تانتورا الحالية جنوب جبل الكرمل) التى تقع شمال سهل شارون حيث كان يستوطنها التشككر فى حوالى عام ١٠٩٠ ق . م . (٧٧) . وقد يفسر لنا الموقف فى دور ما أثير حول أصحاب التوابيت الفخارية التى عثر عليها فى بيت شأن والتى نسبها البعض إلى الفلسطينيين(٧٨) . ولكن عدم وجود الفخار الفلسطينى فى هذه المدينة يجعل نسبة هذه التوابيت إليهم أمر مشكوك فيه ، لذلك يجب أن تنسب إلى الشكلش أو بعض الشرون أو التشككر الذين كانوا أحد عناصر سكانها (٧٩) .

ولايزال تحديد مواقع المدن الفلسطينية الخمسة التى احتفظت باسمائها السامية تحت حكمهم موضع جدل كبير . فبينما أمكن تحديد موقع كل من غزه التى تحتل مكانها مدينه غزه الحديثة وأن وضعها البعض مكان تل العجول التى تبعد

---

(٧٧) جاء ذلك فى بردية وينامون التى تؤرخ بالعام الخامس من « عصر النهضة » الذى بدأ فى السنة التاسعة عشرة من حكم رمسيس الحادى عشر الذى حكم مصر من ١١١٤ — ١٠٨٧ ق . م . ، انظر :

78. Cf. G.W. Wright, "Philistine Coffins and Mercenaries", BA 22 (1959), pp. 54-66.

ANET, p. 25b.

الذى يربط بين هذه التوابيت الفخارية وبين الفلسطينيين ويتبعه فى ذلك Mitchell مضيفا بأنه يحتمل أنهم نقلوا هذه العادات الجنائزية من مصر حينما كانوا يعملون جنودامرتزقة فى الجيش المصرى ، انظر : AOTS, p. 44.

79. Cf. F. James, Iron Age at Beth Shan, p. 136-8.

ومن أجل الإشارات عن وجود كنعانيين فى بيت شأن ، انظر : هوشع ١٧ : ١١—١٣ ، القضاه ١ : ٢٧ — ٢٨ .

ميلين عن الساحل وسته أميال عن غزه الحالية ، واشكلون (عسقلان الحاليه) وأشدود (أسدود الحالية) ، فلا يزال موقع جاث وعكرون غير معروف . وهناك احتمال كبير فى أن يكون موقع عكرون هو خربة المقنع حاليا ذات الموقع الجغرافى المتاز الذى يؤهلها لأن يكون لها دور فى تاريخ المنطقة . (٨٠) أما عن موقع جاث فقد أ كد Mazar على ضرورة التمييز بين جاث الفلسطينية وجيتايم التى تقع شمال غرب جزر (عند رأس أبو حميد) (٨١) . أما من الناحية الجغرافية فيعتبر الموقع الذى يعرف بتل العريني (عشرون ميلا شمالا غزة) أو عراق المنشية (على بعد سته أميال ونصف غربى بيت جبرين) أو تل جاث مناسبا لجاث الفلسطينية ، ولـكن الحفائر الحديثة لم تظهر الا استيطانا فلسطينيا محدودا على تل كبير يرجع إلى تاريخ أقدم وقد يكون موقعها تل النجيله على بعد أثنى عشر ميلا جنوبا ولـكن الحفائر اثبتت أنها لم تـكن مستوطنة فلسطينية بالرغم من اكتشاف بعض الفخار فى الطبقات السطحية (٨٢) ويميل العلماء الاسرائيليون إلى تحديد موقعها بمكان تل الصافى التى تقع إلى الشمال (٨٣) ، ولـكن هذا المـكان غير ملائم لعدة اعتبارات : أولا . أنه يضع جاث بعيدة جدا عن زكلاج (٨٤) (المجاورة لمنطقة النقب) التى أعطاها أخيش ملك جاث لداود ليقيم فيها وهذا لا يتفق مع التجاور المباشر بين الملـكين والذى أوضحه سفر صموئيل الأول (٢٧ : ٥ — ١٠) ثانيا : أن المسافة بين عكرون (خربة المقنع) وجاث عند تل الصافى تبلغ ستة أميال وهى مسافة قصيره لاتتناسب

---

80. J. Naveh, IEJ 8 (1958), 166 ff., B. Mazar, IEJ 10 (1960), 10 ff.

81. IEJ 4 (1954), 27-35.

82. Cf. Wright, BA 29 (1966), 79.

83. E.g. Y. Aharoni, Theland of the Bible, p. 250.

(٨٤) هناك احتمال كبير أن يكون موقعها الحالى تل الشريعة ، قارن :

Ibid., 259, and n. 7.

مع النجاح الكبير الذى حققته اسرائيل على هذه الحدود والذى ورد فى صمويل الأول (١٤:٧) ثالثا: وجود جات فى مدخل وادى الاه لا يتفق مع مطاردة رجال إسرائيل ويهوذا للفلسطينيين حتى جات وعكرون فى صمويل الأول (٥٢:١٧) بجانب هذا اقترح Wright لموقع جات الفلسطينية تل الشريعة فى الجنوب (٨٥) ولكن يقف فى طريق هذا الرأى عدة اعتراضات بالرغم من أنه يحقق ما أثير فى الاعتراض الثانى ويلائم ما أثير فى الاعتراض الأول لو أن زكلاج وضعت فى تل الخويلفه وليس فى تل الشريعة نفسها . أما بالنسبة للاعتراض الثالث فموقع جات هذا فى اقصى الجنوب لايتفق مع جاء فى صمويل الأول (١٧ : ٥٢) حيث أنه من غير المعقول أن يقطع الجرحى الفلسطينيون مايقرب من عشرين ميلا أمام العبريين الذين أخذوا يطاردونهم حتى جات وعكرون . وأما عن تل الصافى فقد ثبت أنها تحتل ذات الموقع الذى كانت تحتله قديما مدينة لبناه (٨٦) . وأما عن أعتبار تل الشريعة مكانا لجات الفلسطينية فلا يتفق مع ما ورد فى الملوك الثانى (١٢ : ١٧) الذى يتضمن بأن جات كانت تقع على مدخل طريق مباشر يؤدى إلى بيت المقدس ، بينما تل الشريعة تقدم طريقا طويلا عبر يهوذا (٨٧). وهكذا سيظل موقع جات مجهولا تماما ، ولكن من الناحية الطبوغرافية يجب البحث عن موقعها قريبا من تل العريبى أو تل النجيله أو بين هاتين المدينتين وقد تؤدى الحفائر فى المستقبل إلى تحديد موقع هـــذه المدينة (٨٨) .

---

85. BA 29 (1960), 78-86.

86. Wright BA 29 (1966), p. 80, n. 23; Albright, AASOR 2-3 (1923) 12-17

(٨٧) بشأن الطرق المؤدية لبيت المقدس ، قارن :
Albright, op. cit., 13 f.

88. Cf. Albright, CAH ii, ch. 33 p. 26 and n. 3
حيث يضع جات مكان تل العريبى الحالية .

التوسع الفلسطيني في كنعان .

في القرنين ١٢ ، ١١ ق . م . امتدت أنشطة الفلسطينيين وغيرهم من شعوب البحر شمالا وشرقا وبحرا وبرا ووصلوا إلى ذروة قوتهم ونفوذهم ، بينما بدأ النفوذ المصرى في سوريا ـ فلسطين في التدهور بعد رمسيس الثالث حتى تلاشى نهائيا بعد رمسيس السادس [٨٩] .

وبما أن الفلسطينيين وحلفائهم قد وصلوا إلى سوريا — فلسطين عن طريق البحر في بعض مراحل هجرتهم ، فقد احتفظوا بشيء من النزعة البحرية التي تظهر في قصة ويتامون (حوالى ١٠٩٠ ق . م .) المبعوث المصرى إلى فينيقيا الذى طاردته سفن أمير دور من شعب التشكر • ويذكر أيضا ثلاثة حكام آخرين يحملون أسماء غير سامية ربما كانوا حكام غزه وعسقلان واشدود الفلسطينيون [٩٠] .

ويحتمل أن المدن الفلسطينية الساحلية في القرنين ١٢ ، ١١ ق . م . اصبحت منافسا خطيرا في التجارة البحرية للمراكز الكنعانية النشطة في صور وصيدا وبيلوص [٩١] . ولا أدل على نشاط الفلسطينيين في التجارة البحريه من ذلك الفخار الذى أكتشف في البحر تجاه عسقلان واشدود [٩٢] ، هذا بجانب

---

(٨٩) يعتبر رمسيس السادس آخر فرعون يترك آثارا في سيناء وعلى ذلك أصبح من المشكوك فيه أن المنطقة من السويس حتى العريش كانت تمثل حدود مصر الشرقية ، قارن :

J. Cerny, C AH ii, ch 35, p. 12.

90. Mazar, The Philistines (1964), pp. 2-4.

91. Ibid., 4-6

ويقترح أن عسقلان كانت الميناء الفلسطيني الرئيسي حتى ذلك الوقت والتي اصطدمت مع صور .

ما اشتهر به الفلسطينيون من أنشاء الطرق (مسيلاه) التي استخدمت في ربط المدن مثل الطريق الذي كان يربط بين عكرون وبيت شمس (صموئيل الأول ٦ : ١٢) (٩٣)

أما في الداخل ، فقد بدأت بوادر الصدام بين الفلسطينيين والعبريين منذ عام ١١٠٠ ق . م . وليس في القرن ١٢ ق . م . لأن كلا من القوتين كانتا تسعيان إلى التوسع تدريجيا وكان دخول الفلسطينيين أرض كنعان بمثابة تهديد مباشر للشعب الاسرائيلي . ويحتمل أنه في ذلك الوقت حدثت واقعة شمجار بن عناة المذكورة في سفر القضاة(٣ : ٣١) الذي استطاع أن يقتل ستمائة فلسطيني بشوكة البقر وبهذا « خلص اسرائيل » ، لم يكن شمجار « قاضيا » إنما أمورد كان هو القاضي في ذلك الوقت . لقد اشتهر الفلسطينيون بأنهم كانوا يسلبون أعداءهم اسلحتهم ومن أجل هذا استخدم شمجار شوكة البقر كسلاح . أعتبر الاسرائيليون شمجار محررا لهم من أعدائهم بالرغم من أنه كان مجرد بطل وطني. بعد ذلك لم نسمع عن أي اشتباك بين الفلسطينيين والاسرائيليين لفترة طويلة من الزمن ولم يقم الفلسطينيون بأي دور في أحداث سفر القضاة حتى حادثة شمشون الرئيسية (قضاه ١٣ — ١٦) .

وفي هذه الأثناء كان رمسيس الثالث قد صد هجوم شعوب البحر على السواحل المصرية ثم بدأ الفلسطينيون بعد ذلك في الاستيطان على الساحل الفلسطيني بينما استولت اسرائيل على المنطقة الجبلية في الداخل . لم يقنع الفلسطينيون بهذا بل سرعان ما بدوا في الاندفاع شرقاً تجاه هضبة شيفلاه وجبال يهوذا ، الأمر الذي أدى إلى الاشتباك مع اسرائيل . لقـــد نجح الفلسطينيون في السيطرة على اسرائيل (حوالي ١٠٧٠ ق . م.) لمدة أربعين سنة

---

93. M. Noth, The Old Testament World (Philadelphia 1966), p. 85.

(قضاه ١٤ : ٤ ، قارن ١٣ : ١) . ونتيجة لهذا نجد أن جزءا من الحدود الفلسطينية — العبرية يقع بين تيمناه[٩٤] وعكرون فى جانب وبين زوراه وبيت شمس فى الجانب الأخر. لقد ساعد على انتصار الفلسطينيين تفوقهم على العبريين فى الحضارة وفنون الحرب .

لقد كان الفلسطينيون الذين خضعوا لحكام مدنهم الخمسة أكثر تماسكا وقوة من العبريين الذين كانوا لا يزالون يعيشون فى ظل نظام قبلى ضعيف . علاوة على هذا فقد كان الفلسطينيون متفوقين على أعدائهم فى أسلحتهم الحديديه . وهناك صورة خاطفة لمحارب فلسطينى مزود بالأسلحة المعدنية فى قصة جولياث الذى كانت قناة رمحه « كنول النساجين » وسنان رمحه كان يزن « ست مائة شاقل حديد » وكان ترسه ثقيلا جدا حتى أنه احتاج إلى حاملى ترس خاص « يمشى قدامه » (صموئيل الأول ١٧ : ٧) . واستثمر الفلسطينيون معرفتهم فى صهر الحديد واستخدامه حتى أنهم احتكروها وكانوا يضطرون الاسرائيليون الذين يريدون تجديد آلاتهم الزراعية وادواتهم القاطعة أن يذهبوا إلى حدادين فلسطينيين (صموئيل الأول ١٣ : ١٩ — ٢٢)[٩٥] . لقد ساعد احتكار الفلسطينيين لصناعة الحديد فى ذلك الوقت على استمرار سيطرتهم على اسرائيل هذه المده الكبيره ، حيث أنه لم يسمح للاسرائيليين بأن يصنعوا سيوفا حديدية

---

94. Cf. Aharoni, PEQ 90 (1958), 27-8.

(٩٥) كان الحيثيون قبل قدوم الفلسطينيين قد استخدموا الحديد بصورة محدوده فى أوائل القرن ١٣ ق . م . وكان مصدر الحديد المناطق الواقعة على البحر الأسود ، غير أنه لم يصبح استعمال هذا المعدن شائعا فى سوريا حتى قدوم الفلسطينيين الذين ربما تعلموه من الحيثيين حينما كانوا يعملون فى جيوشهم كجنود مرتزقة . كما يظهر ذلك فى معركة قادش أيام رمسيس الثانى . لقد حافظ الحيثيون على أسرار صناعته بحرص شديد كما فعل الفلسطينيون من بعدهم ، ولقد تفوق الكنعانيون الذين تعلموا من الفلسطينيين استخدام المركبات الحديدية تفوقا حاسما على الغزاه الاسرائيليين (يشوع ١٤ : ٧ ، ١٣ : ٢٤).

أو حرابا لذلك ليس غريبا أن يستخدم المحاربون الاسرائيليون فى ذلك الوقت تلك الأسلحة الغريبة مثل شوكة البقر الذى استخدمها شمجار وعظمة الفك التى استخدمها شمشون والمقلاع الذى استخدمه داود .

وجدت اسرائيل فى شمشون ، أحد القضاة الذى حكمها عشرون عاما ، مخلصا لها من الفلسطينيين (قضاة ١٣ ـ ١٦) . كانت مدينة زوراه موطن شمشون الأصلى وتقع على الحدود بين دان ويهوذا فى شرق هضبة شيفلاه بينما تطل على وادى سورك الذى شهد انتصارات شمشون . لقد تزوج شمشون أحدى النساء الفلسطينيات ولكن بعض الفلسطينيين قاموا باشعال النار فيها فقتلهم شمشون جميعا والتجأ بعد ذلك إلى يهوذا أرسل الفلسطينيون جنودا ليهاجموا يهوذا حتى تسلم شمشون . ولما خشيت يهوذا الحرب طلبت من شمشون أن يتركها والفلسطينيين وحدهم وفى هذا دليل على أن النفوذ الفلسطينى كان قويا فى يهوذا[٩٦] وهكذا يمكن القول أنه فى حوالى عام ١١٠٠ ق . م . وما بعدها ، أدى التوسع الفلسطينى شرقا إلى مصادمات اسفرت عن سيطرة الفلسطينيين على غرب يهوذا وكان هذا أيضا معاصرا لانشطتهم البحرية .

أخيرا سلم اليهوذيون شمشون للفلسطينيين وقامت بين الطرفين معركة كان سلاح شمشون فيها عظمه فك بسبب احتكار الفلسطينيين لصناعة الأسلحة الحديدية وعادتهم فى الاستيلاء على أسلحة أعدائهم . تمكن شمشون من قتل الف من الفلسطينيين بينما لاذ الباقون بالفرار . ومن المحتمل أنه بعد هزيمة الفلسطينيين توقف توغلهم فى يهوذا بصفة مؤقته وربما أيضا نعمت اسرائيل بسلام نسبى خلال هذه السنوات التى حكم فيها شمشون شعبة كقاض . ولكن قبضوا بعد ذلك على شمشون وكبلوه بالاغلال واحضروه إلى غزه حيث استعبدوه فى الأعمال الشاقة مثل طحن الغلال . اعتبر الفلسطينيون نصرهم هذا من عند

96. Cf. W.F. Albright, The Biblical Period from Abraham to Ezra (New York, 1963), pp. 35-48.

داجان الذى شهد معبده احتفالات النصر الذى اعتبر نصرا لداجان على يهوا اله العبريين .

أما فى الشمال ، فقد تمت السيطرة الفلسطينية على شمال وسط افرايم بطريقة مشابهة ولكن أكثر بطئا . فقد وعد صموئيل اسرائيل بالدخول فى حرب مع الفلسطينيين وذلك بعد سنوات عديدة من أيام شمشون . استعدت اسرائيل وصممت على أيقاف الزحف الفلسطينى على ممتلكاتها . بدأت اسرائيل الحرب بأن اصدرت الأوامر لجيشها بالتجمع عند ابن ـ ارز بينما عسكر الفلسطينيون عند افيق . وما أن بدأ الاشتباك بين الطرفين حتى سقط أربعة آلاف رجل من اسرائيل ، الأمر الذى أزعج رجال اسرائيل الذين قرروا أخذ تابوت العهد أمامهم فى المعركة (صموئيل الأول ٤ : ١ ـ ٧)(٩٧) ولعل رغبة الاسرائيليين فى اصطحاب تابوت العهد معهم فى المعركة كانت بتأثير من الفلسطينيين الذين كانوا يعتقدون فى القوة الخفية التى تكمن فى التماثيل والتمائم السحرية التى كانوا يحملونها معهم فى المعارك . ونشبت المعركة مرة أخرى وقتل فيها ما يقرب من ثلاثين الف أسرائيلى كان من بينهم أبناء إلى كما تم الاستيلاء على تابوت العهد وهرب باقى الاسرائيليون . وحينما سمع إلى العجوز الذى كان مقيما فى شيلوه (خربة سيلون) نبأ الاستيلاء على تابوت العهد سقط على الأرض ميتا . وهناك احتمال كبير ان هزيمة اسرائيل مرتين وفقدانها تابوت العهد بعد أن حملة الفلسطينيون إلى أشدود قد كان سببا فى أن نهب الفلسطينيون شيلوه ودمروا مركز العبادة فيها وكان ذلك فى السنة الأخيرة من عهد

---

(٩٧) كان تابوت العهد عند الاسرائيليين بمثابة الصورة المرئية لوجود الآله بين شعبه . بشأن صلة تابوت العهد بما يشبهه وبما جاء قبله عند الساميين — أى الكعبة قبل الإسلام عند العرب والمحمل فى الحج عند المسلمين والعطفة عند البدو ، انظر :

J. Morgenstern, The Ark, The Ephod and the "Tent of Meeting" (Cincinnati, 1945), p. 1 ff.

إلى (٩٨) . بعد ذلك سيطر الفلسطينيون على سهل اسدرايلون وشفيلاه والنقب واجزاء من جبال يهوذا (٩٩) .

لقد ظل تابوت العهد فى أرض الفلسطينيين سبعة شهور (صمويل الأول ٦ : ١) وأودع أولا معبد داجان فى اشدود على الساحل الذى أصبح مركزا لعبادة داجان بعد أن حطم شمشون معبد غزه . وضع الفلسطينيون التابوت بجوار تمثال داجان وهم يقصدون بذلك تقديمه قربانا لآلهتهم . وحينما لاحظوا سقوط تمثال داجان أمام تابوت العهد فكروا فى التخلص منه فارسلوه إلى جاث ثم إلى عكرون التى رفض سكانها استقباله . بعد ذلك لم يجد الفلسطينيون بدا من أعادة التابوت إلى الاسرائيليين بعد حوالى عشرين سنة (صمويل الأول ٧ : ٢) من هزيمة الأسرائيليين عند ابن ـ ازر . استعدت اسرائيل من جديد لمقابلة الفلسطينيين بقيادة النبي صمويل . وما أن وصلت اخبار الاستعداد الاسرائيلى ، حتى سارع الفلسطينيون وأرسلوا لمحاربتهم « أسياد » مدنهم الخمسة بجيوشهم . وفى مصفاة (تل النصبه) انتصر الاسرائيليون على الفلسطينيين وطاردوهم حتى حدودهم مستعيدين الممتلكات التى فقدوها « من عكرون حتى حتى جاث » (صمويل الأول ٧ : ١٤) وأيا ما كان الأمر ، فقد استعاد الفلسطينيون سيطرتهم من جديد على الممتلكات الاسرائيلية فى الوقت الذى أصبح فيهم نبيهم صمويل رجلا طاعنـا فى السن (قارن صمويل الأول

---

98. Cf. H. Kjaer, "The Excavation of Shiloh, 1929", The Journal of the Palestine Oriental Society 10 (1930), pp. 87-117.

(٩٩) ومن أجل الأدلة على التوغل الفلسطيني حتى وادى الاردن ، انظر :

C. Gordon, Introduction to Old Testament Times (New Jersy, 1953), p. 100 f.

حيث يناقش ماعثر عليه فى وادى الاردن من فخار فلسطيني ويشير الى ان كلمة « الأردن » كلمة كريتية تعنى « نهر » Iardonos قارن يشوع ٤ : ٢٢ حيث وردت عبارة « هذا الاردن »

٩ : ١٦) ووضعوا حامياتهم فى أماكن مختلفة (قارن صمويل الأول ١٠ : ٥ ، ١٣ : ٣ — ٥ ، ١١ — ١٤) .

لقد استمرت الحرب طويلا بين شاؤل (١٠٢٠ — ١٠٠٠ ق . م .) والفلسطينيين (صمويل الأول ١٤ : ٢٧ ، ٥٢) ولم يحرز أى الطرفين نصرا حاسما طوال اشتبا كاتهما المتكررة (صمويل الأول ١٤ ، ١٧ ، ١٨ : ٢٧ ، ٣٠، ١٩ . ٨ ، ٢٣ : ١ ــ ٥ ، ٢٤ : ١) ولكن ربما احتفظ الفلسطينيون بسيادة هزيلة معظم الوقت على مدن بعيدة فى الداخل مثل بيت شان (صمويل الأول ١٣ : ٣ وما بعدها) ويبدو أن الفلسطينيين لم تصبح لهم السيطرة الفعلية على كل شمال وسط اسرائيل غرب الاردن الا بعد وفاة شاؤل فى معركة جلبوع(١٠٠) (صمويل الأول ٢٩ : ١ ، ٣٠ ــ ٣١ ، ٣١ : ٧) . عبأ الفلسطينيون قواتهم شمالا وعسكروا عند شونم بينما عسكر جيش شاؤل على منحدرات جبل جلبوع بالقرب من وادى يزرعيل . لقد كان على الاسرائيليين ذوى الأسلحة الخفيفة أن يحاربوا القوات الفلسطينية القوية المنظمة ، لذلك ما أن بدأت المعركة حتى هرب رجال اسرائيل أمام الفلسطينيين ولقوا حتفهم فوق جبل جلبوع (صمويل الأول ٢٨ ، ٣٠) وقتل شاؤل وابناؤه الثلاثة . بينما أرسل درعه إلى فلسطيا لاعلان انتصارهم على الاسرائيليين فى معابدهم وأخيرا وضعوه فى معبد عشتاروت فى بيت شان التى علقت على أسوارها أجساد شاؤل وابنائه لبث الرعب فى قلوب الاسرائيليين حتى لايعاودوا الحرب معهم . وليس من شك فى أن الفلسطينيين لقوا تأييدا من التشككر حلفائهم القدامى كذلك من سكان المدينة الكنعانيين(١٠١) .

---

(١٠٠) وهو اليوم جبل الفقوعه فى المرتفع الشمالى الشرقى لجبل افرايم وهو مكان انفصال المياه بين حوض قيشون ووادى الاردن ، ويذكرنا اسم القرية الحديثة جلبون بالاسم القديم .

101. Cf. Wright, BA 29 (1966), pp. 70-85.

بدأ الفلسطينيون فى أعادة توطين المدن التى استولوا عليها بينما حاولوا تقسيم الأرض لأضعاف السيطرة الاسرائيلية . ولكن لم يتحرك الفلسطينيون بعد ذلك لاخضاع اسرائيل كلها لسيطرتهم لأنهم كانوا ارستقراطية عسكرية وليس لديهم أعدادا كافية من السكان لتوطينهم فى الأراضى الاسرائيليه . وهكذا انحسرت السيادة العبرية إلى الحدود الجنوبية والشرقية لممتلكاتهم — لقد كانت عاصمة داود الأولى فى حبرون (جنوب يهوذا) بينما كانت عاصمة ايشبوشث بن شاؤل فى محنايم الواقعة فى جلعاد (صموئيل الثانى ٢ : ٨ — ٩) قبل أن يتراجع نفوذه غربا فى افرايم . لم يعد هناك تهديد يعكر صفو الانتصار الفلسطينى إلا بعد توحيد كل إسرائيل بقيادة داود .

الفلسطينيون وداود وسليمان

بعد أن أصبح داود ملكا على كل اسرائيل (١٠٠٠ — ٩٦٠ ق . م) — تحرك بسرعة لمواجهة الفلسطينيين فاستولى على قلعة اليبوسيين التى أصبحت بعد ذلك مدينة داود فى القدس . وحينما إدرك الفلسطينيون نوايا داود ، استعدوا لمقاومة هذا التهديد الجديد (صموئيل الثانى ٥ : ١٧ ومابعدها) ولكن محاولتهم الأولى لعزل داود باءت بالفشل . بعد ذلك تجمعوا فى وادى رفايم جنوب بيت المقدس ليوقفوا زحفة لاسترداد كل ممتلكات اسرائيل الجنوبية ولكن داود « هزمهم واخضعهم » (صموئيل الثانى ٨ : ١) بل طاردهم خارج اسرائيل وتعقبهم إلى جزر وربما إلى أبعد من ذلك .لم يعد الفلسطينيون قادرون على مهاجمة اسرائيل مرة أخرى بعد أن استولى داود على كل أراضى دان القديمة بما فيها عكرون وجاث (أخبار الإيام الأول ١٨ : ١)[١٠٢] لقد أصبح المرتزقة الحيثيون

---

102. G.E. Wright, "Fresh Evidence for the Philistine Story", BA 29 (1966), p. 84.

جزءا من قوات داود (صموئيل الثانى ١٥ : ١٨) كما يبدو أنه استطاع فرض الجزية على كل ممتلكات الفلسطينيين (قارن صموئيل الثانى ٨ : ١٢) وأقام الحصون فى مدن هضبة شفيلاه لحمايتها (١٠٣) وهكذا كسر داود شوكة الفلسطينيين وجعلهم فى موقف الدفاع مستعيدا سيادة اسرائيل الكاملة ولكن بدون أدماج فلسطيا ضمن ممتلكاته أو اخضاعها لحكمة الفعلى (١٠٤) . لم يعد الفلسطينيون مرة أخرى يمثلون تهديدا رئيسيا لاسرائيل بالرغم من محاولة واحدة على الاقل قاموا بها لاستعادة نفوذهم (١٠٥) . وقد يرجع السبب فى قوة اسرائيل هو بداية معرفتهم الحديد منذ أيام داود حين ضعفت سلطة الفلسطينيين فى البلاد (أخبار الايام الأول ٢٢ : ٣) كذلك فإنه بجانب تغلبه على الفلسطينيين قد فتح أيضا بلاد أدوم التى كانت مصدرا غنيا للحديد الخام بجانب تحكمها فى طريق التجاره العظيم بين سوريا والجزيرة العربية .

ورغم موت داود لم تتحسن الأحوال بالنسبة للفلسطينيين . ففى السنوات الأولى من حكمه ارتبط سليمان مع فرعون مصر برباط المصاهرة بأن تزوج الأول أبنة الثانى الذى أعطاه جزر باثنه لابنته التى كان فرعون قد استولى عليها(الملوك الأول ٩ : ١٦ ، قارن ٣ : ١) . وهكذا يمكن القول بأنه حوالى عام ٩٧٠ / ٩٦٠ ق . م استطاع أحد فراعنة مصر من اخضاع فلسطيا لنفوذه ومتوجا انتصاره بالاستيلاء على جزر التى كانت حتى ذلك الوقت احدى المدن الكنعانيه التابعة للفلسطينيين ولاشك أن فرعون المقصود هنا هو سيامون أحد ملوك

---

103. Cf. Albright, Archaeology of Palestine, p. 122

104. JNES 22 (1963), 14.

(١٠٥) لقد حدثت أربعة اشتباكات متتالية فى جوب أوجات ، قارن : صموئيل الثانى ٢١ : ١٥ — ٢٢ .

الأسرة الواحدة والعشرين (١٠٦) ، الذى عثر له على نقش بارز فى تانيس بصورة ممسكا بناصية اسير يقبض على فأس مزدوجه من النوع الذى كان يستعمل فى منطقة حوض بحر ايجه وغرب الأناضول (١٠٧) أى المنطقة التى قدم منها الفلسطينيون وحلفاؤهم . لقد كان من اليسير على فرعون مصر اخضاع الفلسطينيين بعد أن أرهقتهم الحروب مع داود (١٠٨) . لقد أضحى التحالف بين مصر واسرائيل خطرا موجها ضد الفلسطينيين وفى ذات الوقت كان يهدف إلى مصلحة المتحالفين السياسة وربما الاقتصادية . لقد شهد هذا الوقت أيضا ازدهار التجارة الفينيقية وانتشارها ولهذا أصبح متوقعا زوال سيطرة شعوب البحر (خاصة الفلسطينيين) على التجارة البحرية بل على الطرق البرية أيضا وذلك منذ مطلع القرن العاشر ق . م :

---

(١٠٦) لقد بدأت الأسره ٢١ فى حوالى ٩٤٥ ق . م . وقبلها حكم بسوسنس الثانى ١٤ سنة (٩٥٩ — ٩٤٥ ق . م .) وسيامون ١٩ سنة أى حوالى ٩٧٨ — ٩٥٩ ق . م. انظر :

K.A. Kitchen, Third Intermedicate Period in Egypt (1972)

107. P. Montet, L'Egypte et la Bible (1959), p. 40, Fig. 5.

(١٠٨) لقد عثر على جعل لسيامون فى تل الفرما ، كما عزى التدمير الذى أصاب الطبقات التى عثر عليها فى تل مور بالقرب من أشدود وفى جزر نفسهـــا إلى غارة سيامون ، انظر :

Malamat, JNES 22 (1963), 12 f. and n. 87.

الفلسطينيون فى الألف الأول قبل الميلاد :

من منتصف القرن العاشر إلى منتصف القرن الثامن ق . م .

فى الفترة من حوالى عام ٩٥٠ إلى ٧٥٠ ق . م . ، لم يعد لدينا إلا الاشارات المتناثرة فى العهد القديم لمعرفة بعض ملامح التاريخ الفلسطينى . لقد استمرت الاشتباكات بين فلسطيا وجيرانها العبريين وكان النصر ينتقل من طرف لآخر . كانت المعارك بين الجانبين ما تكاد تفتر حتى تستأنف من جديد وكان الهدف من ورائها الرغبه التى تملكت اسرائيل والفلسطينيين فى امتلاك جيبثون (الملوك الأول ١٥ : ٢٩ ، ١٦ . ١٥ وما بعدها) .

أما العلاقات بين يهوذا وفلسطيا فكانت فى أول أمرها وديه حتى أن « بعض الفلسطينيين أتوا يهوشافاط يهدايا وحمل فضه » (أخبار الايام الثانى ١٧ . ١١) ولكنها ساءت بعد ذلك فى عهد أبنه يهورام الذى شهد نهب مملكته وإذ لالها على يد الفلسطينيين وغيرهم (أخبار الايام الثانى ٢١ . ١٦ — ١٧) . ولكن عزيا ملك يهوذ انتصر على الفلسطينيين بعد أن هدم أسوار جاث وجبنه واشدود ولم يكتف بذلك بل استولى على بعض ممتلكاتهم التى شيد فيها مدنا . (اخبار الإيام الثانى ٢٦ . ٦ ـ ٧) ولم يكد احاز يتولى العرش حتى استعاد الفلسطينيون جميع ممتلكاتهم التى فقدوها بل هاجموا مدن الساحل وجنوبى يهوذا واستولوا « بيت شمس وايلون وجديروثا وسوكو وقراها وتمنه وقراها وسكنوا هناك » (أخبار الإيام الثانى ٢٨ . ١٨) . لقد تنبأ عاموس بخراب فلسطيا (عاموس ١ . ٦ — ٨) ضاربا المثل بجاث (٦ . ٢) كما أحرز حزقيا بن أحاز نصرا كبيرا ضد الفلسطينيين « فضرب الفلسطينيين إلى غزه وتخومها من برج النواطير إلى المدينة المحصنة » (الملوك الثانى ١٨ . ٨) .

من منتصف القرن الثامن إلى القرن السادس ق . م

لقد وضع تولى تيجلات ـ بيلزر الثالث عرش آشور حوالى عام ٧٤٥ ق . م . نهاية لتلك المعارك المتكررة بين العبريين والفلسطينيين ، إذ فى عهده شهدت آشور توسعا استعماريا فى سوريا وفلسطين . فمنذ قرن مضى أصبح شمال ووسط سوريا واسرائيل من توابع اشور . ففى حوالى عام ٨٠٦ ق . م . تطلع أداد ـ نيرارى الثالث نحو الجنوب وأدعى أن فلسطيا دفعت له الجزيه ولكن فى حقيقة الأمر لم يصل نفوذه إلى ما وراء دمشق (١٠٩) ولكن بعد ذلك بستين عاما هزم تيجلات ـ بيلزر الثالث الدويلات السورية فى غضون خمس سنوات (حوالى ٧٤٢ ـ ٧٣٨ ق . م .) (١١٠) ووصل نفوذه إلى جنوب فينيقيا (١١١) . وفى عام ٧٣٤ ق . م . توغل تيجلات ـ بيلزر الثالث فى جنوب فلسطين مدعيا أن ذلك بناء على استنجاد أحاز ملك يهوذا به (الملوك الثانى ١٦ . ١٧ ـ ٩) . نهبت غزه وأصبح حاكمها خانون تابعا لاشور . وفى العام التالى أخضع عسقلان واستبدل حاكمها ميتينتى الأول بحاكم آخر يدعى روكبتى (١١٢) . وهكذا أضحى الحكم الأشورى فى فلسطيا أمرا واقعا .

وبتولى سرجون الثانى عرش آشور قامت ثورة ضد آشور فى فلسطيا وكان

---

(١٠٩) قارن نقشه من نمرود ANET, p. 281b ولم يذكر النقش الذى عثر عليه فى تل الرماح بلاشتو (فلسطيا) :

S. Page, Iraq 30 (1968), 139-53.

110. A. Tadmor BA 29 (1966), 86-102.

(١١١) حيث كتب موظفا آشوريا تقريرا عن الحظر التجارى الذى فرضه مليكه ضد مصر وفلسطيا : Ibid., p. 88.

112. Cf. ANET, pp. 283-4; D.J. Wiseman, Iraq 13 (1951) 21-4 and Iraq 18 (1956), 117-29.

خانون حاكم غزه ضالعا فيها ولكن قضى عليها سرجون الثانى عام ٧٢٠ ق . م . بينما نفى خانون . بعد ذلك تشير الوثائق الأشورية بصورة عابرة إلى أحوال فلسطيا حتى عام ٧١٢ ق . م الذى شهد ثورة قامت بها مدينة أشدود ضد الحكم الأشورى نتيجة تعيين اخيمتو ملكا على اشدود مكان أزورى . أرسل سرجون الثانى قائد جيشه ترتان لاخضاع أشدود (قارن اشعيا ٢٠ . ١) واتبعها بالاستيلاء على عكرون وجيبثون (١١٣) . لقد أقام سرجون الثانى شاهداً تذكاريا فى أشدود مؤكدا انتصاره (١١٤) بينما عين حاكما آشوريا بجانب الملك الوطنى .

شجعت وفاة سرجون الثانى الثورة من جديد ولكن سرعان ما أخمدها سناخريب عام ٧٠١ ق . م سارع ميتيفتى حاكم اشدود بتقديم الجزية بينما استبدل صدق حاكم عسقلان الثائر بحاكم اخر يحمل اسما اشوريا وهو شارو ـ لو دارى . بعد ذلك فتحت عكرون واكره حزقيا بدوره أن يطلق سراح ملكها بادى الذى كان قد أودع سجنه من جانب الثائرين ضد الحكم الأشورى فى عكرون . وإذا كانت مملكة حزقيا قد ظلت بعيدة عن مخالب الغزو الأشورى الا أن سناخريب نقل بعض ممتلكاتها إلى الحكم الفلسطينى (١١٥) .

ظلت قبضة أسارحدون قوية على فلسطيا متخذا أياها نقطة إنطلاق ضد مصر . لقد وردت أسماء حكام غزه وعسقلان وعكرون واشدود فى حولياته خاصة فى عام ٦٧٦ ق . م . ولكن لم يذكر عنهم إلا قليلا (١١٦) . وحينما واصل اشور بانيبال

---

113. A. Tadmor; BA 29 (1966), 94 and Figs. 9, 10.
114. Ibid., p. 95, Fig. 11.
115. ANET, pp. 287-8.
116. Ibid., 290-4; BA 19 (1966), 99-100.

حربه ضد مصر فكر فى الاستعانة بالفلسطينيين فى عام ٦٦٧ ق . م . وتعبر الوثيقتان القانونيتان اللتان عثر عليهما فى جزر ويرجع تاريخهما إلى حوالى ٦٥١ / ٦٤٩ ق . م اخر بقايا الحكم الأشورى فى هذه المنطقة (١١٧) . لقد خطر على بال ابسماتيك الأول مؤسس الأسرة ٢٦ فى مصر أن يتوسع فى فلسطيا ويذكر هيرودوت نبأ حصار أزوتوس (ربما تكون أشدود) الذى استغرق تسعة وعشرين سنة ولكن دلالته الحقيقية غير واضحة . (١١٨)

نهاية الاستقلال الفلسطينى .

حينما حاولت عسقلان مقاومة هجوم جيش الامبراطورية البابليه الحديثة فى عام ٦٠٤ ق . م . أخضعها نبوخذ نزار الثانى ونفى ملكها إلى بابل حيث تظهر ابناؤه مع يهوياقين ملك يهوذا واقربائه على بعض اللوحات يتسلمون انصبتهم من الزيت والأطعمة . وأن ماجاء على هذه اللوحات من ذكر لعسقلان وملكى غزه واشدود فى البلاط البابلى ليعتبر اخر ماسجل عن فلسطيا باعتبارها كيان قائم قبل غروب شمسها كوحدة سياسية (١١٩) .

---

117. Ibid., 101.

118. Ibid. 102.

بشأن المبعوث المصرى بديسى بن عابى الى كنعان وفلسطيا الذى يرجع تاريخه الى الأسرات ٢٢ — ٢٦ ، قارن :

G. Steindorff, JEA 25 (1939), 30-3 and pl. 7.

(١١٩) بشأن المراجع الرئيسية ، قارن : A. Tadmor, op. cit., 102.

الحياة والحضارة الفلسطينية

اللغة والأدب :

لايوجد فى الحقيقة الا اثار قليلة خاصة بلغة أو لغات شعوب البحر بعامة والفلسطينيين بخاصة . فمن بين اسماء الأشخاص يظهر الأسم أخيش على هيئة (أ) كاشو و (أ) كاشت فى قائمة باسماء « الـكفتيو » ترجع إلى الأسرة ١٨ الفرعونية أى إلى القرن ١٦ ق . م . والذى يرى فيه البعض أنه الأسم اكاوسو الذى حمله مالك عكرون فى عام ٦٧٧ ق. م. ، بينما يقارنه البعض الآخر بالأسم انكيسيس • • Anchises والداينياس فى الياذه هو ميروس (١٢٠) أما الأسم جوليات فقد اعتبر كتابة أخرى للاسم والواتا الذى يرجع إلى أصل أناضولى غربى (١٢١) . وقد تكون النهاية (ـ يات) ذات صلة بالنهاية (ـ واتاش) التى توجد فى أسماء أعداء الحيثيين الغربيين (١٢٢) ومن الممكن اعتبار اسماء الأفراد الذين ينتمون إلى شعوب البحر وورد ذكرها فى بردية ويناموون من أصل أناضولى غربى أيضا (١٢٣) . وأياما كان الأمر ، ففى الألف الأول قبل الميلاد ، أصبح الحكام الفلسطينيون يتخذون أسماء سامية بصورة متزايده مثل خانون وسيل ـ بل وصيدق واخى ـ ميلكى واخيمتو واخرين فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد :

---

120. Cf. T.E. Peet in S. Casson (ed.), Essays in Aegean Arehaeology 1927), pp. 90-9.
121. Albright, CAH ii, ch. 33, 30.
122. Mitchell, AOTS, p. 415.
123. Cf. Albright, loc. cit.

ونادرة أيضا اثار اللغة خارج أسماء الأشخاص ولكنها تتفق معها فى الأصل المشترك . فالكلمة ٠٠٠، Koba / qoba، « خوذه » والتى ظهرت لأول مرة فى وصف درع جولياث (صموئيل الأول ١٧ : ٥) ، ربما دخلت العبرية من فلسطيا وربما ترجع إلى أصل أناضولى (قارن الكلمة الحيثية كوباخى . . . Kupahhi «خوذه»)(١٢٤) كذلك الكلمة argaz، « صندوق » التى ذكرت فى العهد القديم لتشير إلى الصندوق الذى وضع فيه الفلسطينيون التماثيل الذهبية التى أعادوها مع تابوت العهد (صموئيل الأول: ٨، ١١، ١٥)، من الممكن أن يكون أصلها الكلمة الحيثية Ark « يحبس » والأغريقية Arkos « حفظ »(١٢٥) أما الكلمة «سرن» Seren التى كانت تطلق على «أسياد» المدن الفلسطينية ، كثيرا ماتقارن بالكلمة الاغريقية Tyrannos وكذلك باللقب Tarwanes(١٢٦) الذى حمله ملوك الامبراطورية الحيثية الحديثة والذى يظهر فى نقوشهم المكتوبة بالهيروغليفية الحيثية منذ القرن ١١ حتى القرن السابع ق . م •

وستظل معلوماتنا عن الأدب الفلسطينى معدومة حتى يجود الحظ با كتشاف نصوص مطوله وترجمتها . أما اللوحات التى كشف عنها فى دير علا فلم يعرف محتوياتها بعد، علاوة على أن نصوصها ذات طول ومجال محدودين •

الديانة .

قليل ما نعرفه عن الديانة الفلسطينية بخلاف الاشارات القصيرة عنها فى العهد القديم . وحيث أن الآلهة الوحيدة التى نسبت إلى الفلسطينيين حملت أسماء

---

124. Cf. Mitchell, AOTS, p. 415.

125. Ibid.

(١٢٦) يحتمل أن الكلمة تعنى « قاض » أو ما شابه ذلك ، قارن :
P. Meriggi, Hierohlyphisch - Hethitisches Glossar (1962), p. 125-2.

سامية مثل اله القمح داجان (١٢٧) والالهة الكنعانية عشتروت (١٢٨) وبعل ـ زبوب (١٢٩) ، فمن الواضح أن الفلسطينيين اعتنقوا كثيرا من الأفكار الدينية الكنعانية حينما دخلوا فلسطيا . ولكن ليس من المحتمل بأن الفلسطينيين اعتنقوا كل المعتقدات الدينية التى وجدوها فى فلسطين بل ربما أحضروا معهم تراثا دينيا قويا واتخذوا بعض الأسماء والعادات والاصطلاحات السامية حتى لا ينفروا منهم الكنعانيون (١٣٠) . وكان لداجان معبد فى غزه حيث أخذ شمشون بعد أسره . وكان هذا المعبد بناء ضخما يختلف كلية عن « الأماكن المرتفعة » التى كانت سائده فى فلسطين قبل ذلك . وكان « أسياد » المدن الفلسطينية يقومون بتقديم الاضاحى فى معبد غزه (قضاه ١٦ : ٢١ ـ ٢٣) وفى رأى Macalister أنه ربما تعمدوا تقديم شمشون كقربان فى عيدهم السنوى (١٣١) . كما كان يوجد معبد اخر لداجان فى اشدود، وقد ذكر هذا المعبد فى سفر صموئيل الأول (٥ : ١ – ٥) باعتباره المكان الذى أخذ إليه تابوت العهد بعد الاستيلاء عليه وظل هناك ايلتين . وكان تمثال الآله يقام فى المعبد (لم يعرف هذا التقليد فى التصورات الكنعانية) حيث كان الكهنة يقومون بطقس « القفز فوق العتبه » بدلا من السير عليها ، وهذه هى الاشارة الوحيده عن « كهنة داجان » الفلسطينيين (١٣٢) . وكان

---

(١٢٧) بشأن داجان ، قارن : M.H. Pope & W. Röllig, in H.W. Haussing (ed.), Wörterbuch der Mythologie, i (1965), pp. 276-8.

(١٢٨) بشأن عشتروت ، قارن : Albright, Archaeology and the Religion of Israel (1953), pp. 74 ff.

129. Macalister, The Philistines, pp. 91-3.

130. Mitchell, AOTS, p. 415.

131. The Philistines, p. 90-91.

حيث يشير ان التضحيات البشرية كانت لاتزال تقدم فى معبد ماما فى غزه فى القرن الرابع الميلادى .

132. Ibid.

بعل ـ زبوب يعبد فى عكرون (الملوك الثانى ١ . ٢) ، بينما يفهم من العبارات التى وردت فى سفر صمويل الأول (٣١ ، ٩ ـ ١٠) أن معبد عشتروت كان موجودا فى فلسطيا أو فى بيت شأن .

لقد اشتهر الفلسطينيون بممارسة أعمال الكهانه والتنبوء بالغيب (ارميا ٢ . ٦) ولاشك أن ذيع صيتهم فى هذا المجال جعل أخزيا ملك اسرائيل يرسل من يسأل بعل زبوب اله عكرون عما إذا كان سيشفى من مرضه (الملوك الثانى ٢ . ١) . لقد اعتبر بعل زبوب « سيد الحشرات » التى كانت منتشره فى فى منطقة هضبة شيفلاه وارتبط هذا الاله بقدرته على التنبوء بالغيب الذى كان يأتيه بواسطة حشراته [١٣٣] .

كان الفلسطينيون أيضا يعتقدون فى قدرة آلهتهم على منحهم النصر فى المعارك لذلك كانوا يحملون تماثيلها معهم فى حملاتهم الحربية (صمويل الثانى ٥ . ٢١) وكانت تحمل هذه التماثيل الصغيرة (‘Asebôm......) كتمائم لجلب الحظ السعيد وكانت تعلق أنباء انتصاراتهم أمام الشعب عند بيوت هذه التماثيل (صمويل الأول ٣١ . ٩) وهكذا حرص هذا الشعب المحارب دائما على ابراز فضل الآلهة عليهم فى المعارك . أن هذا الاعتقاد فى قدرة الآلهة على منح النصر فى المعركة يذكرنا بالأصل الايجى الذى أنحدر منه حيث كانت الشعوب الايجيه القديمة تؤمن بقوة الآلهة فى المعارك . فالآلهة ذات الآلهة الانثوى التى تمنح أفرادها العون والمساعدة هى المنتصرة دائما . وتمشيا مع هذا الاعتقاد ، أتبع الفلسطينيون نهجا من الواضح أنهم ورثوه عن أسلافهم وهو الانتصار بالبطوله فى المعركة . ومن أوضح الأمثلة على ذلك المعركة بين داود وجولياث . فمثل هذا التقليد الذى يتمثل فى تقديم رجل واحد نيابة عن جيش با كمله لم يعرف من قبل بين الشعوب

133. Ibid., p. 92.

السامية التي اعتادت على توحيد جهود كل أفراد الشعب في المركة [١٣٤]. فمن يكسب معركة البطولة سيحقق النصر لامته . ومن الواضح أن مثل هذا الاعتقاد بنى على أساس الاعتقاد في قوة الآلهة التي تمنح البطل النصر وبالتالى للامة كلها . ولهذا فإن الاختيار في هذه المعركة إنما هو اختبار لقوة الآلهة وهذا يفسر السبب الذى من أجله تهكم جوليات من اله الأسرائيليين (صموئيل الأول ١٧ : ٤٥) . وحينما نازل جوليات داود في المعركة وسقط ميتا هرب الفلسطينيون إذ اعتبروا هذا نصرا ليهوا اله الاسرائيلين على آلهتهم .

ومثل هذا النوع من المعارك معروف في كثير من الروايات ذات الأصل الايجى مثل قصة المعركة بين اخيليز وهكتور التي أوردها هوميروس في معلقاته ورواية أبطال اللورانين والكوريانيين التي ذكرها ليفي [١٣٥]. وكل هذا يؤكد الأصل الايجى للفلسطينيين واعتقاداتهم الدينية . ومثل هذا الروايات وجدت أيضا بين الحيثيين في اسياء الصغرى في المنطقة التي عاش فيها الطرواديون بعد ذلك . فيذكر Hoffer أن الحيثيين كان لديهم جماعات من الابطـــال ويقارنهم برجال داود الأثني عشر الذين جاء ذكرهم في سفر صموئيل الثانى (٢ : ١٥) [١٣٦].

ولما كان الفلسطينيون قد اعترفوا بآلهة معينة في وطنهم ، فانهم اعترفوا

---

134. Cf. H. W. Robinson, Corporate Personality in Ancient Israel (Philadelphia, 1964).

135. Cf. Cf. Erdman, The Books of Samuel in Lange (ed.), Commentary on the Holy Scriptures (Grands Rapids. n.d.), p. 229.

136. Cf. H. Hoffer, "A Hittite Analogy to the David and Goliath Contest of Champions ?", Catholic Biblical Quarterly, 30 (1968), pp. 220-29.

الذى يرى أن هذه الرواية الحيثيه هي اقرب مثال شرقى شبيه لقصة جليات وداود المذكورة في صموئيل الأول ١٧ .

أيضا بسلطان هذه الآلهة وغيرها خارج حدود بلادهم . فمثلا كانوا يخشون بأس يهوا اله العبرانيين وقد تجلى ذلك فى حادثة تابوت العهد فى أشدود فقد أرسلوا هداياهم إليه عندما أعيد التابوت إلى الاسرائيليين (١٣٧) . وفى هذا العمل دليل على أن الفلسطينيين الذين يدينون بتعدد الآلهة ، اعتقدوا فى وجود يهوا وفى قوته حتى فوق أرضهم ، بينما اعتقد الكنعانيون بأن سلطان الآله لايتعدى المكان الذى يعبد فيه .

وكما ذكرنا آنفا ، استخدم الفلسطينيون وخلفاؤهم من شعوب البحر التوابيت الفخارية لوضع أجساد موتاهم فيها . وكانت ترسم صورة وجوههم فوق منطقة الرأس من الغطاء . لقد اقتبس الكنعانيون والفلسطينيون هذا الطراز من التوابيت عن المصريين (١٣٨) . أما عاداتهم الجنازية فلم تختلف بشكل ملحوظ عن عادات الشعوب السامية المعاصرة لهم خاصة فيما يتعلق ببناء المقابر الجماعية وما كان يوضع فيها من أثاث جنازى وغير ذلك. ولكن يبدو وأن الديانة الفلسطينية لم يكن لها الا تأثير ضعيف على العبريين حيث لم يرد بشأنها الاشارات قصيرة ونادرة فى العهد القديم (قارن قضاه ١٠ : ٦) . ومن المحتمل أنه على الرغم من أن الفلسطينيين أخذوا كثيرا من العادات والتقاليد والمعتقدات السامية ، فقد ظلت معتقداتهم الدينية غريبة عن المزاج السامى . ويتضح هذا أيضا فى نظره العبريين للفلسطينيين واعتبارهم أغرابا بسبب عدم ممارستهم لعادة الختان التى كانت سائدة عند الشعوب السامية المجاورة لهم (قارن قضاه ١٤ : ٣) . ولاتوجد أى اثار مادية ذات قيمة خاصة بالطقوس أو المعتقدات

---

137. M. Wandstra The Ark of the Covenant from Conquest to Kingship Philadelphia, 1965), pp. 30-34, 103-126.

138. Albright, AJA 36 (1932), 304 6.

الجنائزية عند الفلسطينيين (١٣٩) ولو ذهبنا مع Macalister وأعتبرنا « مكان الطرق الأربعة » فى العصر المسيحى انعكاسا حقيقيا لشعائر الفلسطينية (١٤٠) فيكون لدينا بعض الأفكار الخاصة بطقوسهم الدينية فكان يوجد عمود كبير من الرخام خاص بافروديت فوق مذبح من الحجر وتأتى امرأة لتحرق البخور وتضىء المصابيح من أجلها، وكان المفروض أن تسدى هذه المرأة النصيحة لراغبى الزواج وكانت كل هذه الطقوس تتم بطريقة سرية غامضة (١٤١) .

العمارة .

أن ما وصل إلينا عن العمارة الفلسطينية شىء قليل للغايه . لقد كشفت لنا الحفائر الحديثة فى اشدود عن بقايا قلعة ضخمة من اللبن متصله بسور المدينة وتشرف على المنطقة المحيطة ويتصل بها من الجانب الشمالى رصيف وطريق منحدر (١٤٢) وهذا شاهد على قوة الفلسطنيين الحربية والتى بفضلها تمكنوا من اخضاع كل المنطقه المحيطة بهم . كما عرف الفلسطينيون نظام الأسوار المزدوجة التى تحتوى على مخازن فيما بينها وأخذه عنهم العبريون (١٤٣) .

وما نعرفه قليل أيضا عن معبد فى غزه لصفة من الأعمدة ذات أهمية معمارية

---

(١٣٩) بشأن برازيز القرابين السائلة ، انظر :

BA 26 (1963), p. 32, Fig. 14.

140. The Philistines, pp. 68, 109.

141. Ibid.

والجدير بالملاحظة تشابه هذه الطقوس مع كثير من الطقوس الرومانيـــة الـكاثوليـكية .

142. Cf. D.N. Freedman, BA 26 (1963), 136-7.

143. Cf. J. Gray, Archaeology and the Old Testament World (New York 1962), p. 126.

(قضاة ١٦ : ٢٣ — ٢٧) كما أن هناك معبد صغير شهد فى اشدود تفاصيل عمارته لاتزال مجهولة [١٤٤] أما العمارة المدنية فتقدم لنا بجانب المنازل العظيمة العادية [١٤٥] منازل مستديرة كشف عنها فى اشدود [١٤٦] .

الحضارة المادية :

أن كل مانعرفه عن ملابس الفلسطينيين التى ذكرت فى الصفحات السابقة أتى إلينا من نقوش معبد رمسيس الثالث بمدينة حابو التى تعتبر مرجعنا الوحيد فى هذا الشأن ، بينما لاتقدم نقوش سرجون الثانى شيئاً ذا بال . ويعتبر الفخار الفلسطينى الذى تحلى سطوحه الصور والرسوم من أهم ما يميز الصناعات الفلسطينية بلا نزاع . ومن بين أسلحتهم التى تفاخر جوليات بامتلاكها الخوذات والدروع التى تحمى الجسم والدروع التى تحمى الساق والرماح وفى نقوش مدينة حابو يرتدى الفلسطينيون وحلفاؤهم نوع من درع الجسم ذا خطوط مائلة بينما يحمل كل منهم رمحين فى أغلب الأحيان ودرع على الذراع مستديرة ، بينما ارتدى الشردن خوذات ذات قرون كما حمل أفراد شعوب البحر أيضا سيوفا طويلة [١٤٧] وقد عثر فى سردينيا على آثار تحمل تفاصيل مشابهة كما

144. Cf. Ibid. 137.

(١٤٥) وهناك منازل ذات ثلاث غرف اعتبرت فلسطينية ، انظر :

Mazar, Philistines (1964), p. 6.

146. Cf. BA 29 (1966), p. 86, Fig. 8.

147. Y. Yadin, The Art of Warfare in Biblical Lands (1963), pp. 336-7, 340-1.

كما عثر على سيف بالقرب من يافا فى فلسطين نفسها [148]. أن معرفة الفلسطينيين بصناعة الحديد جعلتهم يحتكرون الصناعات المدنية وإنتاج الاسلحة وظهر ذلك فى الوقت الذى سيطروا فيه على العبريين (صموئيل الأول ١٣ . ١٩ ـ ٢٢). لقد كشف عن كثير من المشغولات المدنية فى مواقع مختلفة فى فلسطين أو كانت تحت النفوذ أو السيطرة الفلسطينية فى القرنين ١٢ ، ١٣ ق . م. [149].

المجتمع الفلسطينى

لقد وضع الفلسطينيون السلطة فى مدنهم الخمسة الرئيسية فى يد خمسة من « الأسياد » أو « الاقطاب » يحمل كل منهم لقب « سرن » [150] وبمرور الأيام اختفى اللقب « سرن » ليحل محله لقب « ملك » . [151] وكان يخضع لهؤلاء الاقطاب الخمسة من الطبقة الحاكمة « الأمراء » أو « القواد » Sarim (صموئيل الأول ١٨ : ٣٠ ، ٢٩ : ٣) ويأتى بعدهم بقية الشعب من الكنعانيين والذين ينحدرون من سلالة الغزاة الفاتحين .

ويبدو أيضا أن هذه المدن كانت تكون اتحادا وأن السيادة فيه كانت لمدينة

---

١٤٨ فيما يتعلق بسردينيا ، قارن :

Barnett, CAH ii, Ch. 28, pp. 12, 16.

وبشأن السيف الذى عثر عليه فى يافا ، انظر :

R.D. Barnett, Illustrations of Old Testament History (1966), pp. 29, 31, Fig. 16.

149. Mazar, Philistines, p. 13, n. 18.

(١٥٠) وتظهر صورة أحد هؤلاء الأقطاب بلحية على الغفة السفلى ويعصر مجدول على الجانب على غطاء تابوت من الخزف عثر عليه فى بيت يات (خربة الشاش) قرب بئر سبع فى أقصى جنوب اليهودية . ويبدو أن كلمة « سرن » كلمة مستعارة من اللغة الفلسطينية لأنها تستعمل عموما فقط عند الاشارة إلى الفلسطينيين ، انظر :

J.J. Davis, Conquest and Crisis (Granels Rapids, 1969), pp. 78-81.

(١٥١) كان يطلق على أخيش « ملك » جات منذ أيام داود (صموئيل الأول ٢١ : ١٠ ، ١٢) وكذلك فى الوثائق الأشورية بعد ذلك .

أشدود حيث كان يوجد معبد داجان الذى اعتبر ملتقى العصبة الفلسطينية . وفى رأى البعض أن السيادة السياسية كانت لمدينة غزه بحكم أنها كانت تذكر فى المقام الأول فى قوائم المدن الفلسطينية (يشوع ١٣ : ٣ ، عاموس ١ : ٧ ـ ٨) بينما أشدود كانت المركز الدينى للامة الفلسطينية حيث معبد داجان (صموئيل الأول ١٧:٦) [١٥٢] وكانت كل مدينة تمتلك ضياعها وقراها الخاصة بها (قارن على سبيل المثال يشوع ١٥ : ٤٥ ـ ٤٧) . أما عن تنظيماتهم الحربية فكانت تشمل راكبي العربات والفرسان والمشاه (صموئيل الأول ١٣ : ٥) كما أقاموا الحاميات فى الأراضى المحتلة كما حدث مع العبريين [١٥٣] .

الاستيعاب الحضارى .

لقد كان أمرا حتميا خلال القرن ١٢ ق . م . أن يتعلم المقيمون فى كنعان من شعوب البحر اللغة الكنعانية بسهولة[١٥٤] . ولكنهم أيضا احتفظوا ببعض من لغتهم الأصلية أو استحدثوا لهجة خاصة بهم استخدموها بجانب اللغة العبرية / الكنعانية السائدة [١٥٥] وكما هى العاده غالبا فقد اظهرت أسماء الاشخاص المشتقة من اللغة الاصليه (مثل اخيش وأكاوسو) القدرة على البقاء وسط سيل الأسماء المشتقة من اللغة الرئيسية المكتسبة . ولعل اختفاء اللقب « سرن » واستبداله بلقب « ملك » يعكس أيضا اختفاء الاستعمال القديم . وكان طبيعيا أيضا أن يختفى الفخار الفلسطينى المميز الذى انتشر خلال القرنين

---

(١٥٢) بشأن العصبه الفلسطينية ، قارن :

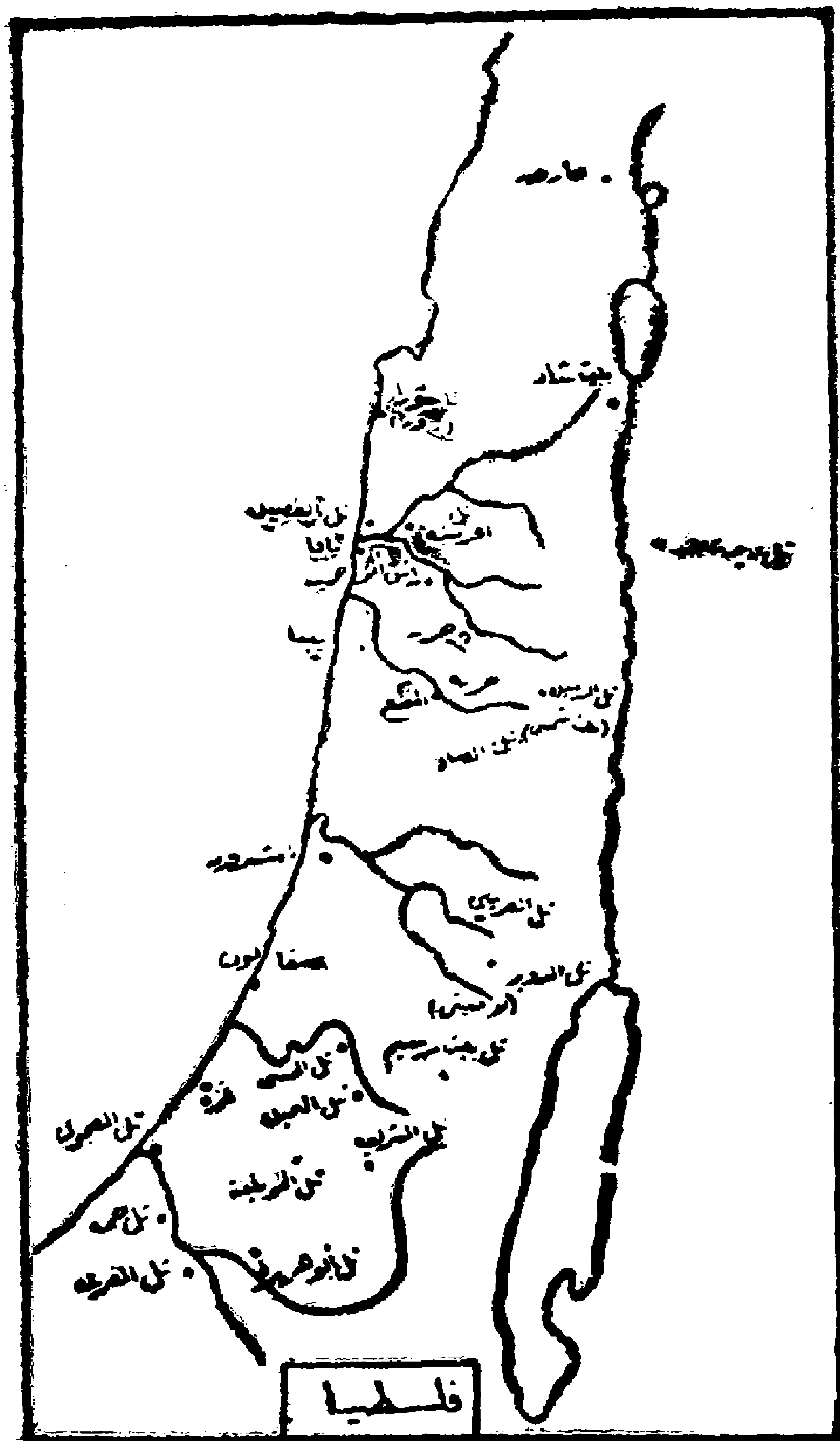
B. D. Rathjen, JNES 24 (1965), 100 - 4; J. Graybill, "Philistines" M. Tenney (ed.), Zondervan Pictorial Bible Dictionary (Grand Rapids, 1963), p. 651.

153. Cf. Mazar, Philistines, p. 10.

(١٥٤) لقد تخاطبت دليلة بسهولة مع شمشون والطاب الفلسطينيين ويبدو أن داود كان يتفاهم مع أخيش ملك جات بسهولة أيضا .

(١٥٥) فى سفر نحميا (١٣ : ٢٤) الذى يرجع إلى القرن الخامس ق . م . ورد ذكر اللهجة أشدود .

١٢ ، ١١ ق . م . بعد حوالى عام ١٠٠٠ ق . م . لتحل محله طرز الفخار المحلية . ولقد حدث مثل هذا فى مجالات كثيرة نتيجة تأثر الفلسطينيين بحضارة من جاورهم من الشعوب فلم يكد يمضى قرنين من الزمان ، حتى كانت حضارة الفلسطينيين الأصلية ومن يتصلون بهم من شعوب البحر المتوسط قد استبدلت كلية بحضارة أخرى . وأياما كان الأمر ، فقد بقيت بعض المظاهر الأصلية بالرغم من هذه التغيرات ، فعلى سبيل المثال ظلت السلطة فى المدن الفلسطينية الخمسة فى يد « اقطابها » الذين كان بيدهم مقاليد الحكم ولم تتحول أبدا إلى مملكة واحدة ، كما احتفظت فلسطيا بروح من الاستقلال شاركها فيها دويلات أخرى صغيرة فى منطقة شرق حوض البحر المتوسط حيث وقفوا جميعا فى وجه الأطماع الأشورية . لقد بقيت أثار هذه الشخصية المستقلة بعد أنهيار الإمبراطوريات واستمرت حتى العصر الهيلينستى .


حاصور
بيت شان
يافا
أشدود
غزة
تل الحسي
تل النجيلة
تل بيت مرسيم
تل الشريعة
تل العجول
تل جمه
تل الفارعة
تل أبو هريرة
فلسطيا

الاختصارات

AASOR : Annual of the American Schools of Oriental Research.

AFO : Archic für Orientforschung.

AJA : American Journal of Archoelogy.

AJSL : American Journal of Semitic Languages and Literatures.

ANEP : J.B. Pritchard, The Ancient Near East in Pictures relating to the Old Testament, 1954; Supplement, 1969.

ANET : J.B. Pritchard (ed.), Ancient Near-Eastern Texts relating to the Old Testament, 3rd edn., 1969.

AOS : American Oriental Series. New Haven : American Oriental Society.

AOTS : D. Winton Thomas (ed.), Archaelogy and Old Testament Etudy, . 7691

ARAB : D.D. Luchsenbill, Ancient Records of Assyria and Bobylonia, 1926.

ARI. : W.F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, 1953.

ARM : Archives royales de Mari.

BA : The Biblical Archaeologist.

BANE : G. Ernest Wright (ed.), The Bible and the Ancient Near East, 1961.

BASOR : Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

CAD : The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, 1956.

CAH : The Cambridge Ancient History, revised (2nd) edition, 1961 ff.

CRAIBL : Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions el Belles Lettres, Paris.

CT : Cuneiform Texts from Babylonian Tablets in the British Museum.

EA : J. Knudtzon, Die El-Amarna — Tafeln, 1908-15.

HSS : Hervard Semitic Series.

HUCA : Hebrew Union College Annual.

IEJ : Israel Exploration Journal.

JA : Journal Asiatique.

JAOS : Journal of the American Oriental Society.

JBL : Journal of Biblical Literature.

JCS : Journal of Cuneiform Studies.

JEA : Journal of Egyptian Archaeology.

JNES : Journal of Near Eastern Studies.

JSS : Journal of Semitic Studies

KAI : H. Donner and W. Rölling, Kanaanäische und Aramäische Inschriften.

MIO : Mitteilungen des Instituts für Orientforschung.

OA : Oriens Antiqu us.

Or : Orientalia.

PEQ : Palestine Exploration Fund Quarterly.

PRU : Les Palais royal d'Ugarit.

RA : Revue d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale.

RB : Revue Biblique.

RES : Revue des études Sémetiques.

RLA : Reallexikon der Assyriologie.

RSO : Rivista degli Studi Orientali.

UT : Ugaritic Text.

VT : Vetus Testamentum.

WO : Die Welt des Orients.

ZA : Zeitschrift der Assyriologie.

ZDPV : Zeitschrift des deutschen Palästina Vereins.

الفهرس

رقم الايداع بدار الكب ٣٩٥٧ / ٨٢